OSHO

أوشو

درب الحب

محادثات عن أغاني «كبير»

حصري لقناة عشاق الكتاب

ترجمة د. محمد ياسر حسكي

منال الخطيب

أوشـــو

حصري لقناة عشاق الكتاب

درب الحب

محادثات عن أغاني "كبير"

مُحاضرات أُعطيت

من صباح 21/12/ 1976 لغاية صباح 31/12/ 1976

على الرغم من أنّ الكتاب يحتوي في الحقيقة على أحد عشر فصلاً، إلا أنّ أحد تلك الفصول وهو الفصل العاشر بقي فارغاً لأنَ "أوشو" لم يظهر في ذلك اليوم.

.

ترجمة: د. محمد ياسر حسكي
منال الخطيب

قناة عشاق الكتاب - كل يوم كتاب جديد

The Path of Love

درب الحب

محادثات من أغاني "كبير"

أوشو

Copyright © 2008 Osho international fondation
www.osho.com
All right reserved

حقوق الترجمة العربية محفوظة للناشر ©

دار الخيال
بناية يعقوبيان بلوك B طابق 3 شارع الكويت
المنارة بيروت
لبنان تلفاكس: 009611740110
www.darelkhayal.com

التنفيذ الفني: دار الخيال

الطبعة الأولى 2016

Osho علامة تجارية مسجلة، عائدة إلى مؤسسة أوشو الدولية، لا يجوز استعمالها إلا بإذن خاص من المؤسسة الأم

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أم الألكترونية أم الميكانيكية؛ بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

أوشو

درب الحب

محادثات من أغاني "كبير"

مُحاضرات أُعطيت
من صباح 21/12/ 1976 لغاية صباح 31/12/ 1976

على الرغم من أنّ الكتاب يحتوي في الحقيقة على أحد عشر فصلاً، إلا أنّ أحد تلك الفصول وهو الفصل العاشر بقي فارغاً لأنّ "أوشو" لم يظهر في ذلك اليوم.

ترجمة: د. محمد ياسر حسكي
منال الخطيب

دار الخيال

الفصل الأول

الحُبّ هو المفتاح الرئيس

21 كانون الأول 1976 صباحاً في قاعة "بوذا"

إنه عزيز عليّ حقاً،

ذلك الذي يستطيع أن يدعو التائه إلى بيته.

الاتحاد الحقيقي في البيت، وفي البيت أيضاً مُتعة الحياة: لماذا عليّ أن أهجر البيت وأهيم على وجهي في الغابة؟

إذا ساعدني الربّ "البراهما" في إدراك الحقيقة،

سأجد دون شكّ كلا العبودية والخلاص في بيتي.

إنه عزيز عليّ حقاً

ذاك الذي يملك القدرة على الغوص عميقاً في الإله،

الذي يفقد دماغه نفسه بسهولة في حالة تدبره.

عزيز عليّ مَن يعرف الإله،

مَن يسكن إلى الحقيقة السامية أثناء التأمل.

مَن يستطيع أن يعزف مقطوعة اللانهاية

من خلال جمع الحُبّ والتخلّي في الحياة.

يقول "كبير":

إنّ البيت هو مكان الالتزام،

في المنزل تُوجد الحقيقة.

يُساعد البيت على تحقيق ما هو حقيقي.

إذاً ابقَ حيث أنت

وستأتيك كلّ الأشياء في وقتها المُحدد.

"سانتو ساهاج سمادهي بهالي"

"سادهو"! الاتحاد البسيط هو الأفضل.

منذ ذلك اليوم عندما التقيتُ سيدي،

لم يكن هناك نهاية لما ننعم به من الحركة المُتجددة لحبنا.

لا أُغمض عينيّ، لا أُغلق أُذنيّ،

لا أكبح شهوة جسدي،

أرى بعيون مفتوحة وابتسامة،

وألمح جماله في كلّ مكان:

أنطق اسمه،

وكلّ ما أراه يُذكّرني به،

وكلّ ما أقوم به يُصبح عبادة له.

إنّ الارتفاع والانخفاض شيء واحد بالنسبة إليّ،

كلّ المُتناقضات تُحلّ.

أينما ذهبتُ أدور حوله.

كلّ ما يُمكنني تحقيقه هو خدمته:

عندما أنحني أرضاً، أنام عند قدميه.

إنه محبوبي الجدير بالعبادة.

ليس لديّ شيء آخر.
أطبقتُ فمي عن الكلام الفاحش،
لساني يُغني أُغنيات مجده ليل نهار:
سواء ارتفعتُ أو جلستُ، لا يُمكنني أن أنساه أبداً؛
لأنّ إيقاع مُوسيقاه ينبض في أذني.
يقول "كبير":
قلبي شديد الاهتياج،
أكتشف في روحي ما كان خفياً.
أنا مغمور في تلك النعمة العظمى.
الأمر الذي يفوق كلّ اللذة والألم.

لقد وُجد الدين في حالة صحيحة على نحو نادر جداً فقط عندما كان "بوذا" سائراً على الأرض، أو "المسيح"، أو "كريشنا" أو "كبير"، وإلا فقد كان الدين مليئاً بالأمراض، والعصاب. إنّ مَن يُدرك الدين من خلال كينونته، تتشكل لديه مفاهيم مُختلفة تماماً عنه. بينما مَن يُقلّد الآخرين، يكون فهمه ليس صحيحاً على الإطلاق، فالحقيقة لا يُمكن تقليدها. لا يُمكنك أن تُصبح حقيقة إذا أصبحت نسخة طبق الأصل.

إنّ الحقيقة هي الشيء الأصلي، ومن أجل أن تصل إليها عليك أن تكون أصلياً أيضاً. لن تصل إلى الحقيقة من خلال اتباعك أحداً، بل تصل إليها عندما تفهم حياتك. إنّ الحقيقة ليست في أيّ عقيدة، ولا في أيّ جدال، بل هي في الجوهر الأعمق من وجودك، مُخبأة كما الحُبّ. إنّ الحقيقة ليست منطقاً، وليست علم "القياس المنطقي"، بل إنها محض انفجار للحُبّ.

عندما تنفجر الحقيقة فيك، تصل إلى رؤيا مُختلفة تماماً للحياة، الإله، الدين، ويُصبح لعينيك الآن رؤية خاصة، وشفافية مُختلفة، ووضوح.

عندما تُخيّم على دماغك أفكار مُستعارة من أحد ما، فكلّ ما تُسميه ديناً، لن يكون ديناً، بل محض حُلم.

إنّ الفارق الأساسي يجعل من الشخص المُقلّد انساناً غير سوي، فالمسيحي مريض، والهندوسي أيضاً، مع أنّ "كريشنا"، "المسيح"، صحيح، بل صحيح جداً. عندما يقول "المسيح" شيئاً، فهو يعرف ما يقول، ولا يُردد ما قاله شخص آخر، فهو ليس ببغاء، وما يقوله هو إدراكه الخاص، وهذا ما يصنع الفارق كلّه.

عندما تُصبح مسيحيا فأنت تُكرر "المسيح". شيئاً فشيئاً ستُصبح كالظلّ. وتفقد كينونتك، وتفقد نفسك. لستَ حقيقياً بعد الآن، ولا واقعياً، ولا أصيلاً. إنّ المسيحي انسان ميّت بالفعل، فالدين قلق من الولادة من جديد. نعم، إنّ الأمر قاس جداً: يجب أن يموت القديم، كي يُولد الجديد.

بيد أنك باتباع عقيدة ميتة، وتقليد الكنيسة، لن تسمح للقديم أن يموت، ولا للجديد بأن يُولد. أنت تهاب المُخاطرة، ولا تتحرّك أبداً في اتجاهها. عندما يُواجه "المسيح" كيانه الخاص، يندفع مُخاطراً، ويقوم بمُخاطرة كبيرة، ويدخل في المجهول.

في الليلة السابقة تماماً منحتُ شاباً صغيراً المريدية، وأخبرته أن يبحث عن المجهول. سألني: "ولكن لماذا؟ كيف؟ كيف يُمكنني البحث عن المجهول؟ كيف يُمكنني البحث عمّا لا أعرفه؟". نحن نبحث عمّا نعرفه، ولكن إذا كنتَ تسعى وراء ما تعرفه فقط، فلن تتعرّف أبداً على الإله، لأنك لا تعرف الإله. إذا كنتَ تبحث عن المعلوم، فستدور في حلقة مُفرغة، وتُصبح آلياً. ابحث عن المجهول، لأنه من خلال البحث عن المجهول ستُصبح خارج الحفرة، ولن تعود آلة. ابحث عن المجهول، لأنه من خلال البحث عن المجهول ستخرج من الحفرة،

ومن ذلك الطريق المُتكرر، ومن الرتابة في الحياة. إنه أيضاً على صواب عندما قال: "كيف يُمكنني أن أبحث عن المجهول؟".

تخلَّ عمّا تعرفه ولا تتمسّك به، وانتظر المجهول، لأنه عندما تترك ما تعرفه جانباً يأتيك المجهول. إذا كنتَ لا تتمسّك بما تعرفه، ووضعتَ المعرفة جانباً، يأتي المجهول من تلقاء نفسه. ينتظر المجهول عند الباب، ولكنك مملوء تماماً بالمعرفة، وليس لديك مكان للمجهول. يودُّ المجهول أن يُصبح ضيفاً، ولكنّ المُضيف مُحتلّ من المعرفة، وليس حُراً حتى كي ينظر إلى المجهول.

نعم يُمكنني أن أتفهّم سؤاله: "كيف لي أن أبحث عن المجهول؟"، لأنّ ما تبحث عنه يُصبح معرفة. لا يُمكن للدماغ البحث وراء المجهول، ولذلك فالدماغ حاجز بينك وبين المجهول. يستطيع الدماغ البحث عن المعروف مراراً وتكراراً، فهو يُحبُّ التكرار.

من أجل ذلك يُعتبر التأمل هو الطريق إلى إسقاط التفكير، بضع لحظات على أقلّ تقدير، بحيث تستطيع أن تنظر إلى المجهول، دون أن يعرف أحدٌ إلى أين أنت ذاهب. تلك هي أجمل اللحظات، عندما لا تعرف إلى أين أنت ذاهب، ولا تعرف مَن أنت، ولا تعرف الاتجاه، ولا حتى الهدف، حيث لا مكان للمعرفة. عندما لا تتواجد المعرفة، يتواجد الحُبّ، فالمعرفة ضدّ الحُبّ. إنّ الأشخاص الذين يتعاملون بالمعرفة لا يُمكنهم أن يُحبّوا، بينما الأشخاص الذين يستطيعون المحبة غير قابلين للمعرفة. يجعلك الحُبّ حكيماً، ولكن ليس قادراً على المعرفة أبداً. بينما تجعلك المعرفة ماكراً وذكياً، ولكنها لا تجعل منك مُحبّاً.

إنّ المعرفة هي التفكير، والمجهول هو الإله. يقول "المسيح": "الإله هو الحُبّ". يأتي الحُبّ من خلال المجهول، ومع المجهول، وكجزء من المجهول. يحتاج الولوج إلى المجهول إلى شجاعة هائلة، إنّ التشبث

بالمعرفة لا يحتاج أن تملك أيّ شجاعة، فأيّ جبان يُمكنه أن يفعل ذلك، فقط الجبناء يفعلون هذا.

عندما تُصبح تابعاً لأيّ دين، فأنت جبان، بينما عندما تُصبح مُتديناً فأنت جسور وشجاع جداً، تذهب إلى المُغامرة، وتبحث عن المجهول، وتتحرّك نحوه دون خريطة، ولا حسابات، ولا قياسات، ودون أيّ حدود. هناك مخاطر جمّة، ويُمكن أن تضيع وتُفقد هناك، وألا تتمكّن من العودة أدراجك، وتفقد كلّ السيطرة، وقد تُصبح مجنوناً. هذا هو الثمن الذي يُمكن أن يدفعه أحدنا كي يصل إلى التديّن الحقيقي.

إنّ الناس خائفون، ولذلك يتشبثون ببدائل زائفة. إنّ الأديان كلّها بدائل زائفة ورخيصة ومُتوفرة بيسر وسهولة. لا يتوجّب عليك فعل شيء، فقد وُلدتَ ضمن أُسرة مُعينة فأصبحت مسيحياً، أو وُلدت ضمن أسرة أُخرى فأصبحت هندوسياً، لم تفعل شيئاً، ولم تقُم باختيار أيّ شيء على نحو واعٍ، ولم تتحرّك خطوة واحدة. لم تُسافر في رحلة حج طويلة ولم تبحث عن أيّ شيء.

حتماً سيُصبح الدين مُجرّد اسم ليس إلا، وتلك التسميات أصبحَت مرضاً. لماذا تُصبح مرضاً؟ لأنّ واقعك الداخلي يختلف عن التسمية تماماً. بنظرة خاطفة عميقة إلى الأديان كلّها، سوف تجد أنّ ما يختلف هو الاسم فقط، أما في العمق السحيق، فهناك كينونة بشرية واحدة. إنّ هذه التسميات لا تخلق سوى المتاعب.

يستمرّ "الانجيل" الكتاب المُقدّس في القول: "أحبب عدوّك"، بينما أنت لا تستطيع حتى أن تُحبّ صديقك. بل لا تستطيع أن تُحبّ نفسك! يقول "يسوع": "أحبب جارك كما تُحبُّ نفسك"، وأنت لا تستطيع أن تُحبّ حتى نفسك، فكيف تستطيع أن تُحبّ جارك؟ يقول "يسوع": "أحبب عدوّك"، وأنت لم تعرف بعد حتى كيف تُحبّ صديقك، وكيف تُحبّ حبيبك. أنت لا تعرف طرق الحُبّ.

ماذا ستفعل بعد ذلك؟ ستلجأ إلى التظاهر والادعاء، وتُصبح مُنافقاً وعندها ستتحوّل إلى كيان زائف. هذا هو التشوّه، إذ أنك تُصبح مُزدوجاً، في أعماقك أنت شيء، وعلى السطح تستمرّ في التظاهر بشيء آخر. في أعماقك تنهمر الدموع، بينما تزرع البسمة على ثغرك في الظاهر. وهذا سيقسمك إلى نصفين. هذا هو الفصام، وانقسام الشخصية، وهذا هو السبب الجذري للعصاب.

هكذا، يُصبح الدين مرضاً ومحدوداً. إنّ الدين يخلق الأمراض، والعالم العصابي. عندما يُدرك الإنسان من خلال كينونته الدين، يُعطيه الدين الصحة الكاملة، الرفاهية، احتفال الحياة، الدعوة للفرح.

هذان النوعان المُختلفان من الأديان يجب أن يكونا مفهومين على نحو واضح. إذا ما استعرت دينك فسيخلق لك المشاكل في حياتك فقط، لأنه سيكون ضدّ الحياة. ستشعر بكلّ لحظة أنها ضدّ الحياة، وستكون في الجانب السلبي من الحياة، وسوف يجعل الدين منك جلّاداً لذاتك، وتبدأ في تعذيب نفسك، لأنك ستجد نفسك دائماً في صراع مع دينك. ماذا تفعل؟ سوف تشعر أنك مُذنب، وتكون كلّ لحظة من حياتك شعوراً بالذنب. مهما فعلتَ، حتى ولو كنتَ تحتسي فنجاناً من الشاي بكلّ براءة، فسيكون هناك أديان تجعلك تشعر بالذنب.

في زاوية "المهاتما غاندي"، كان الشاي محظوراً. إذا ما تمّ القبض على شخص يحتسي الشاي فإنه سيُعاقب: كان عليه أن يصوم يوماً أو يومين كنوع من العقاب. إذا كان مُجرّد القيام بعمل بريء كاحتساء الشاي يُمكن أن يُصبح ذنباً، ماذا عساي أقول عن الأشياء الأُخرى؟ ابحث عن أيّ شيء، وستجد أنّ بعض الأديان تقوم بإدانته.

هذه الإدانات لن تسمح لك أن تعيش حياة كاملة، وعندما لا تعيش حياة كاملة على الوجه الأمثل، فلن تتمكن من معرفة الإله، لأنه لا يُمكن

الاتصال بالإله إلا على الوجه الأمثل، عندما تتوهّج شعلتك وتسطع، ويحترق لهيبك الخاص من كلا الطرفين، وتُصبح طاقة حياتك مثل كرة النار، عندها فقط يتحقق الأمر. على الشكل الأمثل، وفي الحدّ الأقصى، وفي الذروة، ستتشكل لديك اللمحة الأولى للإله. عندما تكون في ذروتك، ستكون تلك خطوتك الأولى نحو الإله.

لقد كان "ابراهام ماسلو" على حقّ عندما قال إنّ تجربة الذروة تجعل المرء في عافية، والشخص المُعافى فقط يُمكن أن يحصل على تجربة الذروة تلك. نعم، تلك هي الحقيقة، كلّما تمكّنتَ من تحصيل تلك الذروة، أصبحتَ قادراً على استيعابها والحصول عليها مُجدداً في أيّ لحظة، فالأبواب مفتوحة. أنت تلمس قدمي الإله في ذروة تجربتك تلك، فتصل تجربتك إلى أوجها.

من أجل هذا السبب تقول "التانترا": خلال مُمارسة الحُبّ، عندما تصل إلى قمة النشوة، ويُشارك وجودك بأكمله فيها، سوف تنبض كلّ أليافك وتخفق، وتُصبح كلّ خلية من خلايا جسدك تتمتع بالحياة على نحو تامّ، وتُصبح أنت كالمُحيط، وتغرق تماماً ولا تعرف أين أنت، وتندمج كل الحدود، في تلك اللحظة من النشوة تحصل على اللمحة الأولى من لحظات العرفان أيّ كان اسمها "ساتوري، سمادهي، نيرفانا". بيد أنك في أيّ حالة، إذا استطعتَ الوصول إلى القمة، يُمكنك أن تحصل على لمحة عن الإله.

بيد أنّ ما تُسمّيه الأديان لن يسمح لك بأيّ قمة. إنها تُصيبك بالشلل والعجز وتقطع لك الطريق. إنها تسمح لك فقط بالحدّ الأدنى من الحياة.

هذا ما يعنيه التخلّي، أي العيش في الحدّ الأدنى، إذ تُشبع الاحتياجات الأساسية فقط. إنّ ما تُسميه بالأديان لا يُعلّمك كيف تمتلئ وتفيض، بل يُعلّمك فقط كيف تُصبح هزيلاً أكثر فأكثر. إنه يجعل منك نفقاً ضيّقاً،

بينما يجعلك الدين الحقيقي رحباً واسعاً فسيحاً كما السماء.

لا بُدّ للدين الحقيقي أن يكون ايجابياً، إنّ "يسوع" إيجابيّ على نحو كبير في حبّ الحياة، بينما المسيحيون ليسوا إيجابيين في الحياة. "كريشنا" إيجابي في الحياة، يرقص ويُغنّي ويُحبّ، بينما الهندوس ليسوا إيجابيين في الحياة، فترى أولئك الذين يُسمّونهم "ماهاتما"، والقديسين، حياتهم كلّها سلبية ويُسممون الحياة.

إذا ما وافق الدين تجربتك الخاصة، فستجد دائماً ذلك الفارق، ويكون دينك إيجابياً في الحياة، وتقول "نعم" تجاه الحياة بكلّ ما أُوتيتَ من قوّة. سوف تقول دائماً نعم، ومن خلال كلمة "نعم" سيدخل الإله إليك.

إذا كان دينك محض تكييف، وكان مُقترضاً ورخيصاً، بديلاً مُقلداً، فسيكون سلبياً في الحياة، فتُصبح خائفاً من العيش، وتشعر بالذنب، وتُصبح مُحتاراً حول الأشياء التي عليك فعلها، وتلك التي لا يجب عليك القيام بها: هل هذا صحيح؟ هل هو خاطئ؟ هل هو جيد؟ هل هو سيء؟

لن يتمكّن الدين المُستعار أن يذهب أبعد من الأخلاق، أما الدين الأصيل فهو يذهب دائماً أبعد من الأخلاق الجيد منها والسيء. ولا يعرف التمييز. إذا تمكّنت من فهم هذا الأمر، ستكون قادراً على فهم تلك الحكمة "السوترا" الجميلة من "كبير". إنه لا يتبع أيّ ديانة، بل هو رجل أصيل وحسب، وأقواله من أنقى الأحاديث في العالم. لا يقلق "كبير" حيال أيّ شيء مهما كان، ومهما شعر فسيقوله دون حلول وسطى أو تنازلات.

قبل أن نلج إلى الحكمة "السوترا"، لدينا شيئين أو ثلاثة أشياء بعد. الأول: عند العودة إلى عصور فائتة، نجد الدين يُنكر الحياة، ويتخلّى عنها، وهو وسيلة هروب من الحياة، لأنه يعتبرها خاطئة، وكان على الإنسان المتدين أن يُصبح راهباً وزاهداً، وينقطع عن الحياة، كما لو

أنّ الوجود على قيد الحياة هو خطيئة وإثم، وكأنّ البقاء على قيد الحياة عقاب. إنّ هؤلاء الذين يُسمّون "بالمتدينين" يُفكّرون دائماً: تُعاد للحياة من جديد، لأنك كنت آثماً في حياتك السابقة. لقد أُلقيتَ إلى هنا كي تُعاقب، هذا هو المفهوم الهندوسي. أما المفهوم المسيحي فيجعل منك الخاطئ الأكبر، لأنّ "آدم" عصى الإله، ولذلك فإنّ كل إنسان من بداية الخليقة خاطئ، بل لقد وُلدت في الخطيئة.

أمّا البوذيون فقد قالوا إنّ الحياة هي العبودية، ولذلك اخرج منها، وكلّما كان ذلك أسرع كان أفضل. اهرب منها! ثمّ عبر القرون، استمرّ الناس في صلاة واحدة فقط في جميع بقاع الأرض، وكانت الصلاة: لا تُرسلنا مرة أُخرى في العالم.

يقول "كبير": أنا لستُ مع التخلّي، إذا كان الإله خالق الكون، فالكون جميل. إذا خرج من الإله فهو جميل، ولا يُمكن أن يكون عقاباً، بل هو مُكافأة. هذا بيان ثوري جداً : "إنّ العالم ليس عقاباً، بل مُكافأة، لم يُلقكَ الإله في زنزانة مُظلمة كئيبة، إنه احتفال. لقد أحبّك الإله كثيراً، ولذلك خلق العالم من أجلك كي تلعب معه وترقص معه، إنه احتفال".

إنّ "كبير" ليس مع التخلّي، بل يدعم بكُليته الاحتفال، هذا أولاً، الشيء الثاني: يقول "كبير": إنّ الحياة في المجتمع، وفي التواصل، لذلك لا تُحاول الهرب من العالم، ولا تُحاول أيضاً أن تقبع في حياة انفرادية. لأنّ الثراء في المجتمع، وأنت ستنتعش وتُصبح ثرياً من خلال المجتمع، ومن خلال علاقاتك. كلّما ارتبطتَ بالناس، زاد ثراؤك، فالشخص المُنعزل الذي يعيش في كهف في جبال "الهيملايا" فقير جداً، ومسلوب الخصب، لأنّ أنهار العلاقات لا تتدفّق فيه، ممّا يجعله أشبه بالصحراء.

في كلّ مرة ينظر إليك أحدهم، يتدفّق نهر داخلك، في كلّ مرة يمدّ

أحدهم يده لك بالمُصافحة، تتحرّك الطاقة إليك، في كلّ مرة تحتكّ فيها مع الآخرين ستحصل على شيء ما. عندما تقطع كلّ الاتصالات، وتُصبح بعيداً عن العلاقات، وتتحوّل إلى شخص مُنعزل وراهب في كهف في جبال "الهيمالايا"، تُصبح تقريباً مُتعهداً بالانتحار. أنت حيٌّ بنسبة واحد في المئة. أنت على قيد الحياة لأنك تتنفّس فقط. هذا نوع من أنواع الموت: أنت تعيش في الحدّ الأدنى، لستَ حياً على الإطلاق، بل حيٌّ على مضض، حيٌّ وأنت مُكره على نحو كبير، أنت تعيش وفي أعماقك شكوى أنك لا تُريد أن تكون على قيد الحياة، وأنك أُجبرت على أن تحيا. أنت لا تُريد هذا العالم أبداً: قوس قزح، الأشجار، النجوم، الناس، كلا، أنت لا تُريد أن تتواصل مع أيّ شخص.

عندما ترفض اتصالك مع الناس فإنّ اتصالك مع الإله ينقص على نحو رهيب مُؤكّد. عندما تتواصل مع انسان، أو شجرة، أو حيوان، فإنك تتواصل مع الإله بطرق مختلفة.

يقول "كبير": أن تكون ضمن المجتمع، فهذا هو السبيل الوحيد كي تكون على قيد الحياة حقيقة. العلاقة هي الحياة، وهي جميلة فعلياً.

الشيء الثالث الذي يقوله "كبير": لا تجعل من الدين طقساً، فالطقس وسيلة من أجل تجنب الدين والابتعاد عنه. ينبغي أن يكون الدين عفوياً ودون طقوس، ويتوجّب عليك أن تفعل ذلك، لأنك تُحبُّ القيام به، وليس لأنه واجب. يجب أن تفعل ذلك من تلقاء نفسك عفوياً، وعندما يشعر قلبك بالرغبة في ذلك. ليست هناك حاجة من أجل الذهاب إلى مكان العبادة كلّ يوم، وليست هناك حاجة إلى الصلاة كلّ يوم بالطريقة نفسها مراراً وتكراراً، لأنه إذا تكررت الصلاة نفسها كلّ يوم، فإنك لن تُكرر ذلك بوعي، بل سيُصبح الأمر آلياً.

لقد سمعتُ..

حدث أنه جاء أحد الباحثين الألمان إلى "الهند" من أجل رؤية حكيم مُعمّر موثوق، والذي كان اسمه مشهوراً جداً وقتها، لأنه كان يحفظ الكتاب المُقدّس "ريج فيدا" عن ظهر قلب. كان يحتفظ بكلّ "ريج فيدا" في ذاكرته، ومن هنا كانت شهرته. لا أعتقد أنه كان حكيماً، بل كان مُجرّد باحث كبير مع ذاكرة جيدة جداً. يُمكنك تسميته حاسوباً جيداً، ولكن ليس حكيماً.

جاء هذا الباحث الألماني من أجل مُناقشة بضع حِكم من الكتاب المُقدّس "ريج فيدا"، وطلب ذلك من العجوز.

قال الرجل العجوز: "لم أسمع بهذا من قبل".

تفاجأ الألماني وقال: "لقد سمعتُ أنك تعرف "ريج فيدا" كلّها، وها أنت تقول إنك لم تسمع بهذه الحِكم من قبل!؟

أجاب العجوز قائلاً: "لا أستطيع تذكّر الأجزاء، يُمكنني تذكّر النص بأكمله من البداية إلى النهاية. أستطيع أن أُكرره كلّه، ولكن إذا أحضرتَ جملتين فقط، فلن أعرفه".

يحدث كثيراً أنك تستطيع تكرار الأمر كاملاً بسهولة، ذلك لأنّ اللاوعي يُشارك فيه، إنه مُجرّد تكرار آلي، وكلّ ما عليك فقط هو إعادة تشغيل الشريط. إنه مثل "الحاكي". إذا ما طُلب منك شيء مُفصّل، فلن تتذكّر حتى أنك كنتَ تعرف شيئاً عن ذلك، لأنه خارج النصّ. أنت تتذكّر فقط في إطار السياق. يُمكنك أن تقوم بالأمر على أنه طقس: يُمكنك الذهاب كلّ يوم إلى بيت العبادة، والقيام بطقس تعبّدي من خلال أيّ ديانة، أو يُمكنك ابتكار طقسك الخاص بك، ويُمكنك أن تفعل ذلك كلّ يوم. يُمكنك أن تفعل ذلك تديُّناً، وسوف يُصبح جزءاً من عادتك، ولن يُعزز وجودك على الإطلاق.

ولكن دون أيّ اجبار، وهي ليست أداء أو تمثيلاً. فقط قُل ذلك كما يأتيك، لا تُطوّره. لا تُكرر أيّ صلاة لفظياً، اسمح للصلاة أن تكون عفويةً تماماً. وهذا ما يسميه "كبير" "ساهاج" أيّ العفوية. إنه يقول: إذا بقيتَ عفوياً، ستصل إلى "سمادهي"، شيئاً فشيئاً ستصل إلى تلك المساحة الداخلية حيث يختفي كلّ شيء. تلك الفراغات جميلة جداً، وعندما لا يبقى أيّ شيء، فقط في ذاك الفراغ، يتنزّل الإله، وتتحقق أنت.

هذا ما يقصده "كبير" بعبارة "ساهاج سامادهي" أي النشوة العفوية. إنه يقول إنّ حياتك كلّها يجب أن تكون مملوءة بالصلوات. يجب ألا يكون الدين جزءاً، بل ينبغي أن يكون الحياة كلّها. ليس الدين أن تُصلي في الصباح وتُنهي بذلك كلّ تدينك، ولا أن تذهب إلى الكنيسة يوم الأحد وتبقى حراً بعد ذلك من الدين طيلة الأيام الستة التالية.

يكون الدين عندما يُصبح في كلّ مهمة، ويكون استمرارية في داخلك. ينبغي أن يكون تناول الطعام، مُمتلئاً بالصلاة، وكذلك يجب أن يكون المشي صلاة، والحديث، والاستماع. يجب أن نجعل الصلاة موجودة في كل أنشطتنا، بل حتى خلال النوم، يجب أن تكون في صلاة.

عندها فقط، ستُزهر النشوة الطبيعية، و"كبير" إنسان مُحب للنشوة الطبيعية على نحو هائل. يقول: هناك نوعان من النشوة. الأول: يُمارس بالإكراه، حيث يفعل ممارسو "اليوغا" ذلك من خلال التوقّف، والتنفّس، إنهم يُدربون أنفسهم على ذلك. يتدرّبون على الأشياء مع بذل جهد كبير. يقول "كبير": عندما تتدرّب على شيء يُمكن أن يكون خاطئاً، وعبارة عن تمثيل.

قال:

"سانتو، ساهاج سمادهي بهالي"

أيها الرهبان، أيها التلاميذ، إنّ النشوة العفوية هي الأفضل. لا ينبغي

عليكم مُمارستها، فأنتم من خلال مُمارستها، تضعون السُّمّ فيها. يجب ألا تبذلوا أيّ جهد كبير من أجل القيام بذلك، يجب أن تبقى مُسترخياً، وعندها شيئاً فشيئاً، رويداً رويداً ستختفي فيها.

الآن ننتقل إلى الأناشيد "السوترا":

إنه عزيز عليّ حقاً،

ذلك الذي يستطيع أن يدعو التائه إلى بيته.

الاتحاد الحقيقي في البيت، وفي البيت أيضاً مُتعة الحياة: لماذا عليّ أن

أهجر البيت وأهيم على وجهي في الغابة؟

إذا ساعدني الربّ «البراهما» في إدراك الحقيقة،

سأجد دون شكّ كلا العبودية والخلاص في بيتي.

إنه عاشق كبير للبيت. إنه يقول: لا تذهب من بيتك، ولا تُصبح هائماً على وجهك، لا تُصبح مُتخلياً. اِبقَ مع عائلتك. لا تُغيّر المواقف التي مُنحتها، اِقبلها. كلّ ما أعطاك الإله إيّاه فهو جيد: اِقبلها في امتنان عميق ولا ترفضها. عندما ترفض ذلك، فأنت ترفض الإله نفسه. اِقبل الأمّ، الأب، الأخ، الزوجة، الأطفال، ومهما حدث على نحو طبيعي، اِسمح له أن يكون هناك. لا تُحاول خلق حالة مُصطنعة، لأنك من خلال ذلك لن تصل أبداً إلى الطبيعي. لا يُولد أحدٌ وهو مُنعزل، ولا يُولد أحدٌ راهباً. يُولد الجميع ضمن الأسرة، في المجتمع. يُولد كلّ أحد ويخرج إلى هذه الحياة من خلال الأمّ والأب، يُولد الجميع وسط الحُبّ. إنّ «الراهب» اختراع بشري، بينما الأسرة هي الالوهية المُقدسة.

إنه عزيز عليّ حقاً،

ذلك الذي يستطيع أن يدعو التائه إلى بيته.

يقول «كبير»: مَن يُساعد الهائمين من أجل العودة إلى البيت، فهو عزيز عليّ.

إذا ما كان هنا يجب عليه أن يُحبّني على نحو كبير. لقد دعوتُ العديد من الهائمين، ودعتُ الكثيرين ممّن عندهم الاستعداد من أن يُصبحوا هائمين. لقد ساعدتهم أن يكونوا هناك، أينما كانوا، فالأمر ليس بتغيير الظرف الخارجي، وإنما بتغيير نفسك. إنّ تغيير الظرف هو خداع التفكير، ولن يُساعد على أيّ حال.

عليك أن تُغيّر وعيك.

إنه عزيز عليّ حقاً،

ذلك الذي يستطيع أن يدعو التائه إلى بيته.

العودة إلى العالم، العودة إلى الأسرة، العودة إلى المُحبّ، العودة إلى العلاقات.

الاتحاد الحقيقي في البيت، وفي البيت أيضاً مُتعة الحياة: لماذا عليّ أن أهجر البيت وأهيم على وجهي في الغابة؟

إذا ساعدني الربّ «البراهما» في إدراك الحقيقة، سأجد دون شكّ كلا العبودية والخلاص في بيتي.

نعم، البيت هو عبودية، والبيت هو الخلاص أيضاً، والأمر يعتمد عليك. إذا كنتَ ضدّ البيت، سيظهر الأمر على أنه عبودية. وإن لم تكن ضدّه، فسيُصبح خلاصك. في الأساس إنّ موقفك الخاص هو من يُحدد لك ذلك. حتى الأضداد يُمكن أن تكون نجاةً وخلاصاً، والأمر يعتمد عليك. يُمكنك أن تجعل الأضداد خارج إطار حريتك أيضاً.

إنه عزيز عليّ حقاً،

ذاك الذي يملك القدرة على الغوص عميقاً في الإله،

الذي يفقد دماغه نفسه بسهولة في حالة تدبره.

بسهولة، دون أيّ جهد أو توتر، يذوب في الإله.

إنه عزيز عليّ حقاً،

ذاك الذي يملك القدرة على الغوص عميقاً في الإله،

الذي يفقد دماغه نفسه بسهولة في حالة تدبره.

عزيز عليّ مَن يعرف الإله،

مَن يسكن إلى الحقيقة السامية أثناء التأمل.

مَن يستطيع أن يعزف مقطوعة اللانهاية

من خلال جمع الحُبّ والتخلي في الحياة.

هذا هو الانسجام الأسمى: جمع المحبة والتخلّي. يأتي الناس إليّ ويقولون: "لقد أوجدتَ نوعاً جديداً من المُريدين الذي يعيشون في البيت. أيّ نوع من المُريدين هم؟ لأنّ المفهوم القديم هو أنّ المريد هو الذي يترك العالم، ويترك الأسرة، ويذهب إلى الغابة، ويُصبح هائماً، فلماذا تُسمّون طلابكم "مُريدين"، إذا كانوا لا يتركون البيت، وكانوا يعيشون مع زوجاتهم ومع أطفالهم، وكانوا يعيشون في الحُبّ، لماذا تُسميهم مُريدين؟

أنا أدعوهم المُريدين الحقيقيين، فهم أكثر حقيقة من النوع القديم، لأنّ النمط القديم يفتقد إلى التناغم، وهو مُقسّم، مُجزأ، وليس كاملاً.

إنّ مُريديّ الجدد كاملون: لقد نبذوا، ولكنهم لم يفروا أبداً. سيعيشون في الحُبّ، ولن يتعلّقوا به. هذا هو التخلّي بالنسبة إليهم. سيُحبّون، ولن يكونوا غيورين. هذا هو التنازل بالنسبة إليهم. سيستخدمون الأشياء، ولن يسمحوا للأشياء أن تستخدمهم. هذا هو التنازل بالنسبة إليهم. سيجدون الخالق في الخلق، ولن يفرقوا بين الخالق والخلق، ولن يتسامحوا مع أيّ تفرقة. وسيُحاولون أن يجلبوا الانسجام بين الأضداد.

عزيز عليّ مَن يعرف الإله،

مَن يسكن إلى الحقيقة السامية أثناء التأمل.

مَن يستطيع أن يعزف مقطوعة اللانهاية

من خلال جمع الحُبّ والتخلي في الحياة.

يقول "كبير": إنّ البيت هو مكان الالتزام،

أنت وليدُ البيت، ليس هناك أيّ إمكانية لأن يكون أحدنا وُلد دون منزل، فالبيت هو العنصر الطبيعي. كُن في البيت، وتذكّر الفارق بين المنزل والبيت: المنزل هو المكان حيث يُمكنك تعيش دون حُبّ، أمّا البيت فهو المنزل الذي تعيش فيه مع الحُبّ. عندما تزرع الحُبّ في المنزل سيتحوّل إلى بيت. ليست كلّ المنازل بيوتاً. يعيش الكثيرين في المنزل ويعتقدون أنهم يعيشون في البيت. لا تضلّوا: ليست كلّ المنازل بيوتاً، فالبيت أكثر من كونه منزلاً، والذي هو الهيكل، وليس فيه روح. عندما يتواجد الحُبّ يتواجد الدفء، القرب، الحميمية، الصداقة، الانفتاح، عندما يكون هناك حُبّ، يتحوّل المنزل إلى بيت، ويُصبح البيت مُضيئاً.

يُمكنك أن ترى الفارق: عندما تدخل إلى منزل ما، تستطيع أن تشعر على الفور ما إذا كان هذا المكان منزلاً أم بيتاً. إن كان بيتاً ستشعر بالترحيب، والدفء، وتشعر أنك شخص مُختلف، في بيئة ووسط مُختلف. عندما يكون مُجرّد منزل، ستشعر بالهيكل البارد المُكوّن من الاسمنت والخرسانة دون روح. قد يبدو ظاهر المنزل جميلاً في البنيان ولكنه بارد، ولا تشعر فيه بأيّ دفء، ولا أيّ اهتزاز يُشير إلى أنّ الناس المُقيمين في هذا المكان يعيشون في حُبّ، ويعيشون الاحتفال، والفرح، وأنهم مُمتنون تجاه الإله. إنه شيء غير شهي. لو كان بيتاً فسيكون على الأرجح منزلاً دافئاً، ويتمتع بالترحاب، وتشعر على الفور بالحرارة

حولك. رُبّما لا يعيش أحدٌ في هذا المنزل، ولكن ما دام الحُبّ موجوداً، فسيهتزّ المنزل على أنغام الحُبّ.

ذات مرة كنت أعيش مع رجل جميل جداً، وقد كان شاعراً صوفياً، وكنا نُسافر معاً. كان لديه عادة غريبة جداً: كلّما كُنا نذهب إلى أيّ منزل كان يذهب إلى الزاوية ويستنشق. سألتُه: "ماذا تفعل؟"، قال: "أنا أحاول أن أرى ما إذا كان هذا المكان بيتاً أم منزلاً". لقد كان دقيقاً على نحو واضح. ومُتأكداً تماماً من ذلك. لم يسبق لي أن رأيته أخطأ في الأمر. عندما كان يشمّ، كان على الفور يقول: "يبدو لي أنّ هذا بيت، يُمكننا أن نبقى". كان دائماً على حقّ، وأحيانا كان يقول: "اِهرب من هنا، هذا المكان منزل، وسوف يقتلنا".

من خلال النظرة السطحية قد لا تُميّز الفارق، فالمنزل هو أيضاً شيء على قيد الحياة، ولكن إذا وُجد فيه الحُبّ، فهو حيّ حقيقة، والفارق كبير. قد ترى جسداً مرمياً هناك، كيف يُمكنك أن تُقرر ما إذا كان جثة أم على قيد الحياة؟ تذهب وتستخدم حاسة اللمس، تستشعر الدفء، تضع يدك على مقربة من الأنف فتشعر بالأنفاس، يُمكنك أيضاً أن ترى القلب الرقيق، وتستمع إلى نبضه. عندها ستُخبر أنها ليست جثة هامدة. تماماً وبالطريقة ذاتها يمتلك البيت إيقاعاً وصوتاً، ويتنفّس وينبض بالحياة، بينما المنزل ميت وعبارة عن جثة هامدة.

الآن في هذا العالم، هناك الكثير من المنازل، ولكنّ البيوت قد اختفت.

يقول "كبير":

إنّ البيت هو مكان الالتزام،

في المنزل تُوجد الحقيقة.

لقد وُلدتَ في البيت، وجذورك هناك، عليك أن تعيش في البيت،

وترحل عن العالم، وأنتِ لا تزال فيه. ليست هناك حاجة من أجل الذهاب في أيّ مكان آخر. إنّ البيت يُساعدك كما الشجرة مُتجذرة في الأرض، أنت مُتجذر في البيت، في الحُبّ، في المُجتمع.

يُساعد البيت على تحقيق ما هو حقيقي.

إذاً ابقَ حيث أنت،

وسعأتيك كلّ الأشياء في وقتها المُحدد.

لا تكُن على عجلة من أمرك، ولا تكُن تواقاً، ولا ترغب في حدوث الأشياء على الفور. انتظر. ليس هناك داعٍ إلى الخروج إلى الغابة أو إلى جبال "الهيمالايا". ولا حاجة إلى الانتقال إلى أيّ دير كاثوليكي. كما أنه ليس هناك حاجة إلى أن تُصبح راهباً من طائفة "الجاين"، فأينما كنتَ، كُن مُحبّاً، وفي علاقات عميقة، وانتظِر. عندما يحين الوقت سيأتي ويُعرّف عن نفسه.

إنّ الانتظار هو أحد أعظم الصفات الدينية، وهو أكثر أهمية من الجهد، فالجهد هو ظلّ الأنا المزيفة "الأيغو". عندما تبذل جهداً فإنك تقول: "سأمتلك هذا، وأحصل على ذاك، سأمتلك الإله حتى. لا يُمكنني أن أسمح للحقيقة أن تهرب مني. يتوجّب عليّ أن أعرف. أنا على وشك أن أُمسك الإله بيدي. أنا على وشك أن أُعلن للعالم بأسره يوماً أنني وصلتُ، نعم لقد وصلتُ".

إنّ الجهد من الأنا المُزيفة، بينما الانتظار من انعدام الأنا المُزيفة. إنّ الانتظار خامل، فهناك أحد يترقب، ومن أجل هذا السبب قال كلّ الصوفيون العظماء إنه من أجل الوصول إلى معرفة الإله على الإنسان أن يعتني بجانبه المؤنث. إنّ الذكورة وحدها تحمل طاقات عدوانية، وهي تمتلك صفات الجهد، الهجوم، بينما الأنوثة خاملة، غير فعّالة، مُتقبلة، ومُرحبة. المؤنث هو الرحم، عندما يأتي الإله يُصبح الدماغ الخامل،

الدماغ المُترقب، رحماً يستقبل الإله، ويُصبح حاملاً بالإله.

سادهو"! الاتحاد البسيط هو الأفضل.

إنّ عبارة "سادهو سمادهي" تعني النشوة العفوية هي الأفضل. لا تبنِ صروحاً مُعقدة حولها. هناك العديد من القواعد، والوضعيات، وتمارين التنفّس، لا تُشيّد الكثير من الهياكل حولها. إنّ "كبير" غاية في البساطة. لا تجعله مُعقداً، اتركه طبيعياً. بماذا كان ينصح؟

منذ ذلك اليوم عندما التقيتُ سيدي،

لم يكن هناك نهاية لما ننعم به من الحركة المُتجددة لحبنا.

إنّ الإله دائم المرح معك ودونما انقطاع. قد لا ترى الإله، فهو يُرسل إليك باستمرار هدايا وهدايا، ويصبُّ كينونته باستمرار في كيانك. رُبما تكون قد نسيته كُلياً، بيد أنه دائم المرح معك. كلّ ما تحتاجه هو إحياء الذكرى "سوراتي". لقد كان "غوردجييف"، يُلقبه "تذكّر النفس"، بينما كان "كبير" يُسمّيه "سوراتي" أي التذكّر.

ليست هناك حاجة إلى أي شيء. نحن في حالة مرح، والإله هو الشريك في المرح، وتستمرّ حالة الحُبّ المُتبادلة إلى أبد الآبدين. لقد نسينا وهذا كلّ شيء، لقد نسينا ما هو واضح وجليّ. تذكّر هذا.

لا أُغمض عينيّ

اِسمع "كبير" وهو يقول: "أنا لا أُغمض عينيّ"، حتى وإن تطلب ذلك جهداً كبيراً فأنا لا أفعله.

لا أُغمض عينيّ، لا أُغلق أُذنيّ،

لا أكبح شهوة جسدي،

لأنني أراه في كلّ مكان: كم هو جميل، وهو مُختبئ.

أرى بعيون مفتوحة وابتسامة،

وأُعاين جماله في كلّ مكان:

أنطق اسمه،

وكلّ ما أراه يُذكّرني به،

كلّ ما أقوم به يُصبح عبادة له.

إنّ الارتفاع والانخفاض شيء واحد بالنسبة إليّ،

كل المُتناقضات تُحلّ.

إنّ دين "كبير" فيه جمال وفنّ على نحو كبير. إنه شاعر عظيم، على الرغم من أنه غير مُتعلم. ولكن ما علاقة الشعر بالتعليم الأكاديمي؟ إنه شاعر عظيم، بل واحد من أعظم الشعراء. إنّ شعره عال ببساطة، وكأنه ليس من هذا العالم، يقول: "على الواحد منا أن ينظر إلى الجمال الموجود في جميع الأنحاء، فالطبيعة بأسرها مملوءة بالجمال. ولكنّ الجمال لا يعني شيئاً ما لم يكن الإله خفياً وراءه، بل إنّ الجمال هو الإله ذاته. عندما تُشاهد وجهاً بشرياً جميلاً، وجه رجل أو امرأة، فهو وجه الإله. عندما تُحدّق في عينين جميلتين، فأنت تعبر إلى معبد الإله. عندما تُشاهد تفتّح الزهرة، اعلم أنها دعوة من الإله".

لقد سمعتُ..

قبل ثمانية وثلاثين عاماً، وصل الفيلسوف "جورج سانتيانا" إلى تراث هائل، وكان قادراً على التخلّي عن منصبه في هيئة التدريس في جامعة "هارفارد". لقد رتب الفصل من أجل استقبال آخر ظهور له فيه، وكان "سانتيانا" فخور بنفسه. كان على وشك أن ينهي ملاحظاته، عندما رأى وردة تشتعل في رقعة من الثلج المُوحل عبر النافذة. توقّف فجأة، وتناول قبعته، قفازيه، عصاه، وتوجّه نحو الباب.

ثم استدار وقال بلطف: "أيها المُحترمون، لن أكون قادراً على إنهاء هذه الجملة، لقد تذكّرتُ للتوّ أنني على موعد مع شهر نيسان".

كلّ زهرة هي دعوة، وموعد مع الإله. كلّ تغريد طائر، وكلّ سحابة تسبح بلطف في السماء، كلها تُشبه الرسائل، رسائل مُشفرة. أنت تملك فكّ تشفير تلك الرسائل، وما عليكَ إلا أن تنظر بعُمق إليها، وما عليك سوى أن تستمع بصمت إلى تلك الرسائل.

يقول "كبير": أرى بعيون مفتوحة وابتسامة،

وألمح جماله في كلّ مكان:

ليست هناك حاجة حتى لإغلاق عينيك فأنت تراه سواء كانت عيناك مفتوحتين أم مُغمضتين، لأنه في الباطن والظاهر، الداخل والخارج.

أنطق اسمه،

وكلّ ما أراه يُذكّرني به،

كلّ ما أقوم به يُصبح عبادة له.

إنّ الارتفاع والانخفاض شيء واحد بالنسبة إليّ،

كل المُتناقضات تُحلّ.

كلّ التناقضات سيتمّ حلها عندما تصل إلى الإله، وليس قبل ذلك الوقت، لأنّ الدماغ يخلق التناقضات. عندما تصل إلى الإله، لا يعود التفكير موجوداً، بينما عندما تبقى تحت هيمنة التفكير، فهذا يعني البقاء مع التناقضات. إنّ الليل والنهار كلاهما واحد. والحياة والموت أيضاً كلاهما واحد، ثمّ إذا كنت موجوداً أو غائباً فلا فارق، ثمّ إنّ الشهيق والزفير ليسا شيئين مُختلفين بل عملية واحدة.

أينما ذهبتُ أدور حوله.

كل ما يمكنني تحقيقه هو خدمته:

عندما أنحني أرضاً، أنام عند قدميه.

إنه محبوبي الجدير بالعبادة.

ليس لديّ شيء آخر.

أطبقتُ فمي عن الكلام الفاحش،

لساني يغني أُغنيات مجده ليل نهار:

سواء ارتفعتُ أو جلستُ، لا يُمكنني أن أنساه أبداً،

لأنّ إيقاع مُوسيقاه ينبض في أذني.

يقول كبير:

قلبي شديد الاهتياج،

أكتشف في روحي ما كان خفياً.

أنا مغمور في تلك النعمة العظمى.

الأمر الذي يفوق كلّ اللذة والألم.

إنّ تناقضاتنا هي ابداعاتنا، تذكّر أننا لا يُمكننا أن نرى المُجمل، ونرى الجزئية فقط. ومن هنا التناقض. يُمكننا أن نرى فقط جانباً واحداً، وليس الكلّ، ومن هنا التناقض. هل لاحظتَ؟ حتى لو كنتَ تُشاهد حصاة صغيرة في راحة يدك، لا يُمكنك أن تراها كلّها في وقت واحد. إنك تشاهد جانباً واحداً فقط والجانب الآخر خفي بالنسبة إليك. وعندما تنظر إلى الجزء الثاني فإن الجزء الأول يذهب إلى الاختفاء. لا يُمكنك أن ترى مُجمل أيّ شيء حتى حصاة صغيرة. لن تتمكن من رؤية حبة الرمل حتى على نحو مُجمل. عندما تنظر إلى وجهي سيكون ظهري ما هو إلا استدلال :قد يكون هناك، وعندما تنظر إلى ظهري، يكون وجهي مُجرّد استدلال: قد يكون هناك، وقد لا يكون هناك. نحن لا نرى أيّ شيء في مُجمله، لأنّ الدماغ لا يُمكن أن يرى المُجمل

"الكلّ" في أيّ شيء. إنّ التفكير صاحب نظرة جزئية.

عندما تتخلى عن التفكير وينشأ التأمل، عندها سترى المُجمل، وكلّ شيء على حقيقته، وكلّ الجوانب معاً. عندها لن ينفصل الصيف والشتاء، ولن يكون الربيع والخريف سوى شيء واحد. ثمّ ستُدرك أنّ الولادة والموت وجهان للعملية نفسها، وأنّ السعادة والتعاسة ليسا ضدين، بل كلّها تجتمع معاً، مثل الوادي والجبل يبقيان مُتلازمين.

عندما ترى هذا التكاتف والاجتماع في الحياة، يتوقّف الاختيار، فلن يكون هناك شيء تختاره. ألم تر ذلك بعد؟ حينما تختار السعادة، تُصبح ضحية التعاسة. كلّما أردت النجاح، أتى الفشل. كلّما تأملت، كان الإحباط في انتظارك. كلّما تشبثت بالحياة، أتى الموت ودمّر كلّ شيء.

ألم ترَ ذلك يحدث في كلّ يوم، بل في كلّ لحظة؟ لا يُوجد هناك أضداد، بل كلّ الأمور موجودة معاً. عندما يرى المرء كلّ شيء في وحدة وتآلف، ماذا سيختار بعد ذلك؟ ليس هنالك شيء تختاره. يُصبح الإنسان غير قادر على الاختيار.

هذا ما يستمرُّ "كريشنامورتي" في قوله: كُن دون خيار، وابقَ في هذه الحالة من وعي اللااختيار، وهذا لا يُمكن أن يحدث إلا إذا شعرت بتكاتف واجتماع الأشياء. عندما تُدرك أنّ كلّ الأشياء مجتمعة ومرتبطة ولو مرة واحدة، يُصبح عندها الخيار مُستحيلاً، فلم يعُد هناك شيء تختاره، لأنه مهما اخترت سيأتي الشيء مع ضده. أين مربط الفرس إذاً؟ عندما تختار الحُبّ تأتي الكراهية، وعندما تختار الصداقة تأتي العدوانية، يمكنك اختيار أيّ شيء، وسوف يأتي نقيضه على الفور معه كالظلّ. على الإنسان أن يُوقف الاختيار، ويبقى دون اختيارات، وعندما يكون الإنسان دون خيارات، يتجاوز كلّ المُتناقضات.

إنّ تجاوز المُتناقضات ما هو إلا تجاوز التفكير، وعند تجاوز التفكير

يصل الإنسان إلى معرفة كينونة الحُبّ. كلّ ما تعرفه عن الحُبّ حتى الآن ليس له علاقة بالحُبّ. إنه إساءة استخدام لكلمة "الحُبّ". ليس هناك إلا كلمات قليلة تمّ إساءة استخدامها مثل الحُبّ، ومنها " الإله"، ومنها "السلام". بيد أنّ الحُبّ على رأس تلك القائمة. يتحدّث الجميع عن الحُبّ، ولكن لا أحد يعرف ما يعنيه بالضبط. يُغني الناس عن الحُبّ، ويكتبون الشعر عنه، ولكنهم لا يُدركون ما هو بالفعل.

تقول مُلاحظتي الشخصية إنه كلّما كتب شخص شعراً عن الحُبّ، فلا بُدّ أن يُضيّع شيئاً، لأنه لم يعرف الحُبّ حقيقة. خلاف ذلك، مَن يهتمّ لكتابة شعر عن الحُبّ؟ إذا كنتَ تستطيع أن تُحِبّ، ستُحبّ حقيقة، بدلاً من أن تكتب شعراً حول هذا الموضوع.

لقد بحثتُ في الشعراء ولم أرَ أبداً أيّ شاعر يعرف ما الحُبّ. إنّ المتصوفين وحدهم يعرفون الحُبّ. ليس للحُبّ أيّ علاقة مع كلّ تلك الأشياء التي أصبحَت مُرتبطة به. كيف أسأتَ استخدام الكلمة! يُمكنك الذهاب إلى "فريندافان" حيث ترى الناس يتحدّثون، فيقول أحدهم: "أنا أُحِبّ المثلجات!"، وشخص آخر يُحبّ سيارة "كاديلاك"، وشخص آخر يُحبّ كلبه، وشخص يُحب قطته، وشخص يُحبّ امرأته، ويمضي الناس في إطلاق كلمة "حُبّ" على أيّ شيء.

إنّ الحُبّ لا يرتبط بموضوعه، وليس مُعنوناً تجاه أحد. الحُبّ من الإله فقط. عندما تُحبّ امرأتك حقيقةً، سترى أنّ المرأة قد اختفت، وظهر الإله هناك. إذا كنتَ تُحبّ الشجرة، ستُشاهد فجأة أنّ الشجرة قد اختفت، وتجلّى الإله بلون أخضر فيها وازدهر. إنّ الحُبّ إلهي فقط، وهو لا يأتي من الجزء، وإنما يأتي دائماً من الكلّ. يُمكننا القول إنّ الحُبّ مُترادف مع الصلاة.

بيد أننا لا نعرف الحُبّ، فقد تمّ تدميرنا منذ طفولتنا. تقول الأم

للطفل: "أحبني، فأنا أمك"، كما لو كانت الأمومة تعني فرض الحُبّ على الطفل. يقول الوالد: "أحبني فأنا والدك"، وكأنّ الحُبّ هو المنطق الذي يقول: "لأنني والدك، عليك أن تُحبني"، ويبقى الطفل حائراً لا يدري ما يفعل. كيف يُمكنك أن تُحبّ أحداً فقط لأنه أعلن لك أنه والدك؟ ثمّ يبدأ الطفل في الشعور بالذنب إذا كان عاجزاً عن الحُبّ. عندها سيبدأ في الادعاء والتظاهر كي يُظهر الحُبّ دون أن يعرف ما تعنيه الكلمة، فيبتسم قائلاً: "أنا أُحبّكِ أمّي، أنا أُحبّكَ أبي"، ويُصبح الأب سعيداً جداً. يبدو الناس سعداء جداً مع الكلمات الجوفاء، فترى الأمّ سعيدة جداً لأنّ الطفل يبتسم، وتشعر أنها على أحسن حال لأنّ أحداً ما "في نهاية المطاف" أحبّها. إنّ طفلها يُحبّها على الأقل مع أنه لم يُحبّها أحد من قبل.

بعد ذلك، يُصبح الطفل بكلّ بساطة شخصية سياسية: فقد تعلّم طرق الخداع. عاجلاً أم آجلاً، سيُصبح مُتمرّساً في ذلك الخداع، ويمضي في التظاهر طوال حياته مُتحدّثاً عن الحُبّ. سيقول لزوجته مئة مرة في اليوم: "أنا أُحبّكِ، أنا أُحبّكِ"، دون أن يكون لهذه الكلمات أيّ معنى، ودون أن يكون هناك شيء وراءها، فهي مُجرّد كلمات فارغة. إنّ هذه الكلمات تُساعد، لأنّ الناس يعيشون مع الكلمات فقط، ولا يعرفون الحقيقة، فقد فقدوا كلّ الاتصالات.

يقول "ديل كارنيجي" لأتباعه: "حتى لو كنتَ لا تُحبّ زوجتك، قُل لها: "أنا أُحبّكِ" ثلاث أو أربع مرات على الأقل في اليوم، فهذه الكلمات مُفيدة. لستَ في حاجة أن تعني ما تقول، قُلها فقط لأنّ مُجرّد القول يُساعدك. يهتمّ الناس بالكلمات فقط ولا يعرفون الحقيقة.

عندما يتعلّم الطفل أن يدّعي الحُبّ ولو مرة واحدة، فلن يعرف الحُبّ أبداً، لأن الحُبّ ليس بالأمر الذي يُمكنك القيام به، بل هو أمرٌ يحدث. إنه أمر لا تقوم به، بل هو شيء أكبر منك، وأكثر سعة أيضاً، ولا يُمكنك

إدارته والتحكّم فيه. تذكّر هذا، وأبقه نُصب عينيك: لا تقُم بالادعاء، وعندما يأتيك الحُبّ اشعر بالامتنان، وعندما يُغادرك الشعور انتظر من جديد، ولكن لا تقُم بالادعاء والتظاهر.

إذا لم تكن تدّعي، فسيُزهر الحُبّ ويُشرق يوماً، وتتفتح زهرته. كلّما تفتح الحُبّ في قلبك، تذهب عطوره كي تُلامس قدمي الإله. قد يسلك الحُبّ اي طريق، قد يمرّ من خلال ولدك، زوجتك، زوجك، صديقك، ورُبّما من خلال شجرة أو صخرة، قد يمرّ من خلال أيّ شيء، ولكنه دائماً يصل إلى الإله.

إنّ الحُبّ هو شيء مُوجّه نحو الكلّ. انتظره، فالحُبّ هو المفتاح السّريّ القادر على فتح جميع الأقفال، وكلّ الحواجز. إنّ العائق ليس إلا قفل في كينونتك، والحُبّ هو المفتاح السريّ الذي يفتح جميع الأقفال، بل هو "المفتاح الرئيس".

الفصل الثاني

حتى الآن، هذا جيد

22 كانون الأول 1976 صباحا في قاعة "بوذا"

السؤال الأول من "فيريشوار":

هناك كثير من الناس في الغرب يقومون بإنشاء علم أو تقنية التنوّر. هناك ضرورة مُلحة بالتأكيد، ولكن كيف ترون الإمكانية؟ هل الأمر يُعتبر انعدام مسؤولية لو انخرط الإنسان هذه العلوم أو التقنيات دون التوصّل إلى حالة التنوير؟ هل أسلوب "أريكا" هو المنهج الصحيح؟

الأمر الأول والأكثر أهمية هو أن نتذكّر أنّ التنوير لا يُمكن ابداً أن يكون تابعاً للتقنيات، فهو بطبيعته يستحيل أن يكون كذلك. بيد أنّ كلّ ما يصل إلى يديّ الغرب، يبدؤون في اختزاله إلى تقنية، فالتقنيات هاجسهم. بالنسبة إلى العالم الخارجي، فإنّ العلم هو النهج الصحيح، ولكن جزئياً، وليس كلياً، فليس هو النهج الوحيد، وإنما أحد المناهج فقط. إنّ الشعر فعّال كالعلم.

العلم هو المعرفة دون حُبّ، وهذه هي الخطورة، لأنّ المعرفة دون حُبّ، ما هي إلا خدمة للموت، وليست خدمة للحياة أبداً، ومن ثمّ، فإنّ كلّ تطورات العلم تقود الإنسان نحو الانتحار الشامل الحتمي. في

أحد الأيام عندما انتحر الانسان وقام بالحرب العالمية الثالثة، فكّرت الصراصير: "نحن الأكثر مُلائمة من أجل البقاء على قيد الحياة". بينما برهنت بعض صراصير "داروين": "نحن الأصلح لأننا بقينا على قيد الحياة، فالبقاء للأصلح". لقد انتحر الإنسان، ودمّر نفسه. إنّ المعرفة دون حُبّ خطرة، لأنّه في أصلها يقبع السمّ.

يُحافظ الحُبّ على التوازن، ولا يسمح ابداً للمعرفة بالذهاب بعيداً جداً كي لا تُصبح مُدمّرة. إنّ العلم هو المعرفة دون حُبّ، وهذا أمر غاية في الخطورة. بيد أنّ العلم هو نهج فعال من أجل الموضوعات والأشياء المادية، التي يُمكن أن تُعرف دون حُبّ، ولذلك ليس هناك داعٍ له. ليست الحياة مادة فقط، بل هي مغمورة بشيء فائق على نحو هائل. لقد غاب ذلك الشيء الفائق، وبعد ذلك استدار العلم شيئاً فشيئاً نحو التقنيات، وأصبح آليا، وتحوّل أكثر فأكثر إلى وسيلة من أجل استغلال الطبيعة والتلاعب بها. لقد بدأ العلم منذ حداثته بالفكرة التالية: "كيف نقهر الطبيعة". يا لها من فكرة حمقاء.

نحن لسنا مُنفصلين عن الطبيعة، فكيف يُمكننا التغلّب عليها وقهرها؟ نحن الطبيعة، مَن سيقهر مَن؟ هذا مُنافٍ للعقل، لقد دمّر العلم الكثير: لقد دُمّرَت الطبيعة كلها، وتسمم المناخ، الهواء، الماء، البحار، وأصبح كلّ شيء مُلوثاً. يحتضر الانسجام والتوازن، حيث يستمرّ تدمير النظام البيئي. أرجوك أن تتذكّر أنّ هذا يكفي، بل أكثر من كافٍ.

لا تدع العلم ينال من داخلك، فلو كان تطبيق المنهجية العلمية مُدمّراً للطبيعة الخارجية، فسيكون تأثيره على الطبيعة في الداخل أكثر تخريباً، لأنك تبذل جهداً كي تُصبح أكثر دقة ومهارة. حتى فيما يتعلّق بالطبيعة الخارجية، هناك نوع مُختلف من المعرفة مطلوب وهو متأصل في الحُبّ، ولكن فيما يتعلّق بالجوهر الأكثر عمقاً من وجودك، والأكثر

لطفاً، الجوهر الفائق، ليست هناك حاجة إلى المعرفة على الإطلاق. هناك حاجة إلى البراءة مع الحُبّ، وعندها ستتعرف إلى الداخل، وبعدها ستكتشف داخل كينونتك، وذاتك.

بيد أنّ الغرب مهووس بالتقنيات، ويبدو أنّ التقنيات قد نجحت في الطبيعة، فأصبح الإنسان أكثر قوة في الظاهر، مع أنّ الأمر ليس كذلك في الحقيقة! إنّ الفكرة برمتها مُضللة، فنحن لم نُصبح أكثر قوة، بل أصبحنا أشدّ ضعفاً في كلّ يوم، لأنه يتمّ استنفاد موارد الطبيعة، وعاجلاً أم آجلاً ستنتهي موارد الأرض وتُصبح خاوية، ولن ينمو عليها أيّ شيء. لن نتمتّع بالقوة، بل ستخور قوانا ونضعف، ثمّ نضعف يوماً بعد يوم. إننا على فراش الموت. لا يُمكن للإنسانية أن تبقى على قيد الحياة من خلال تلك الطريقة التي يتمّ التعامل بها مع الطبيعة أكثر من خمسين أو ستين سنة، أو على أكبر تقدير مئة سنة، وهذا لا شيء أبداً. إذا لم تندلع الحرب العالمية الثالثة، فإننا نسير نحو الانتحار البطيء، وخلال مئات السنين، سنندثر ولن يبقَ لنا أيّ أثر.

لن يكون الجنس البشري أول مَن ينقرض، بل العديد من الحيوانات، فالكثير من الحيوانات القوية جداً قد انقرضت من على وجه الأرض، مع أنها كانت تجوب الأرض وكأنها ملوكها، وكانت أكبر من الفيل، ولكنها لم تعُد موجودة في أيّ مكان. كانت تظنّ أنها قوية كفاية، فقد كانت ضخمة في حجمها، وقوتها الهائلة، ولكنّ الأرض لم تعُد قادرة على توفير الغذاء لها. لقد استمرّت تلك الحيوانات بالكبر والتضخّم مرة تلو الأخرى، حتى عجزت الأرض كلياً عن توفير الغذاء لها، فتوجّب عليها أن تموت.

هذا ما يحدث مع بني البشر، إذ يظنّ الإنسان أنه أصبح قوياً أكثر فأكثر، وأنّ بوسعه أن يصل إلى القمر، ولكنه يُدمّر الأرض، ويُدمّر

احتمالية الحياة المستقبلية، مما يجعل البشرية تختفي ببطء. من فضلك، لا تُدخل التقنيات إلى العالم الداخلي، فقد أحدثت ما يكفي من الأضرار، ولا يُمكن للتنوير أن ينخفض كي يكون تقنية.

هكذا، فإنّ أول شيء يجب فهمه هو أنّ الرحلة الداخلية من البراءة، وليست من المعرفة؛ وبالتأكيد ليست من العلوم والتقنيات، وهذا أمرٌ مُؤكّد. إنّ الرحلة الداخلية تتكوّن أكثر من الحُبّ، البراءة، الصمت، وليس التأمل تقنية أبداً، ولكنك عاجز عن فهم أيّ شيء سوى التقنية، فلذلك لا بُدّ لي هنا أن أتحدّث عن التقنيات، وإلا فإنّ التأمل ليس تقنية على الإطلاق. إنّ التأمل ليس شيئاً يُمكنك القيام به، بل هو الشيء الذي تقع فيه، تماماً مثل الحُبّ، وهو الشيء الذي يُمكن أن تكونه، ولا يُمكنك القيام به. قُم بالتأمل في فترة التوقفات.

كيف يُمكن أن يكون هناك تقنية لمسألة اللافعل؟ إنّ التقنية مُتعلقة بالفعل، عليك أن تفعل شيئاً ما، أمّا التأمل فليس شيئاً عليك القيام به، بل يحدث فقط عندما يختفي الفاعل، وأنت في حالة من الاسترخاء التام، لا تفعل شيئاً، عندها ستبدأ حالة التأمل، ثمّ بعد ذلك يُزهر التأمل، فهو ازدهار وجودك، ولا علاقة له بأن تُصبح شيئاً، إنّ التأمل ليس إنجازاً، كما أنه ليس تحسيناً أو تطويراً. إنه فقط ما أنت عليه حقاً. ما الذي تطلبه التقنية؟

بيد أنّ الناس حمقى، ولهذا السبب هناك ما يستدعي الحديث عن التقنيات. إذا كنتَ تفهم ما أعني، فليس هناك حاجة إلى أيّ شيء. اِبقَ صامتاً، وكُن نفسك، وليس عليك أن تتحرّك في أيّ اتجاه، دعك من الحركة كُلياً، عندها سترى البركة والخيرات، ويحدث التأمل. عندما يُصبح التأمل محض تدفّق عفوي بحيث لا تكون في حاجة حتى إلى اتخاذ وضعية مُحددة، ولا إلى البحث أيضاً عن ركن صغير في المنزل

حيث لا يُزعجك أحد، فسيبقى التأمل معك في السوق، وعندما تتحدّث، تمشي، تفعل، تأكل، حتى عند النوم يبقى معك، ويُمكنك الشعور به فهو يمضي كما التنفّس، أو كضربات القلب، وهذا ما يُسمّيه "كبير" النشوة العفوية "ساهاج سامادهي"، وهو أمرٌ لا يحتاج إلى التقنية. كلّ ما تحتاجه هو العفوية فقط، الفطرة فقط، البساطة فقط.

من أجل ذلك أنا أقول لك: "طوبى للجاهل"، لأنّ له ملكوت الإله. يجب أن تُصبح بريئاً، جاهلاً، ولا تبقى مُطلعاً ومليئاً بالمعارف.

بيد أنّ هذا ما يحدث في الغرب، فهم يُحاولون الآن التلاعب بالدماغ، ويسعون إلى ابتكار آليات من أجل التلاعب به، وهذا ما سيكون أكثر خطورة من العلم. إنه أمر أكثر خطورة، لأنه في اللحظة التي يُمكنك فيها التلاعب بدماغ الإنسان، فسيتحوّل إلى شيء آليّ، وهذا في طريقه إلى الحدوث. عندما تعرف أنّ الإنسان وعقله يُمكن التلاعب بهما تلاعباً كاملاً، عندها تندثر الحرية، وتزول الفردية أيضاً. عندها يُمكن وضع أقطاب في رأسك دون أن تعلم ذلك أبداً، ويُمكن التلاعب بك من مدينة "دلهي"، من "موسكو"، من "واشنطن"، ومن أيّ عاصمة. عن طريق موجات الراديو يُمكن التلاعب بك، ويُمكن أن تُصدر الأوامر إلى بلد بأكمله دون أن يعرف أحدٌ من أين تأتي تلك الأوامر عبر الموجات، بل سيشعرون أنّ الأوامر تأتي من داخلك، فأقطاب التحكّم موجودة هناك في أعماقك، وعبر تلك الموجات أصبح مُمكناً أن يُطلب منك أن تفعل وألا تفعل، وسوف تستجيب إلى ذلك تلقائياً. سيندثر كلّ ما تعنيه كلمة "حرية"، وتُصبح مُنوماً في أيّ لحظة. يُمكن وضعك ضمن أيّ هلوسة، وستُصدق ذلك، وسيبدو الأمر حقيقياً جداً، وكأنه ينبع من داخلك. ثمّ من "دلهي"، من "موسكو"، من "واشنطن"، من "لندن"، ومن كلّ العواصم، ولا يعود هناك داعٍ إلى الشرطة أو القضاة، فوجودهم مُكلف جداً وغير اقتصادي. لا يعود هناك حاجة إليهم كما أنه لم يعُد هناك حاجة

إلى العربات التي تجرّها الثيران. ستتوفر التقنيات الأفضل. ولا يعود هناك حاجة إلى كلّ هؤلاء الناس بالإجبار، ولا حاجة إلى الكاهن كي يستمرّ في تعليم الأخلاق والدين. فقط من مكان القيادة، يُمكن إعطاء الأوامر: أنكم جميعاً سعيدون، وستشعر أنك مُمتلئ بالسعادة والرضا والقناعة. قد تكون على فراش موتك وتشعر بالمُعاناة، ولكنّ الأوامر تأتيك أنك سعيد، وأنّ الموت بعيد عنك، فتقتنع أنك سعيد، وأنّ المنية لن تُوافيك. وتشعر أنّ هذا الشعور نابع من داخلك.

هذا ما يعتزم "ديلغادو" القيام به يوماً ما، فيقول: "سيكون الإنسان سعيداً، ولن يكون هناك أحد تعِس"، بيد أنّ هذه السعادة ليست سعادة حقيقية.

بعد ذلك سيكون هناك تقنيات تُنشأ في دماغك موجات "ألفا" آلياً عبر التحفيز الكهربائي. إنه أمرٌ خطير، لأنّ ذلك لن يسمح لك بالتعرّف على الحقيقة. تلك الموجات ستنشأ من الخارج ولن تكون حقيقية، وسوف يختفي الإله، ولا يعود هناك حاجة إليه. إنك لا تشعر أنك تعِس، فما الحاجة إلى البحث عن السعادة؟ سوف تؤمن بعقيدة ما أيّ كانت، وتتبع رجال السياسة، ورجال الدين. ستُؤمن بالعقيدة على نحو مُطلق، ولن يكون هنالك شكّ. سيختفي التشكيك، وهذا أمر في غاية الخطورة.

لا ينبغي التقليل من شأن التأمل عبر التقنيات، ولا يُمكن التقليل من شأن التنوير كذلك.

إنّ التنوير يعني الوعي والمراقبة، وليس نابعاً من الدماغ أو من الجسد. إنه من الماوراء. إنّ الجسد قابل للتحكّم والتلاعب من خلال التقنيات والآلات، كذلك الدماغ يُمكن أن يُتحكّم به، بيد أنّ الروح ماورائية، ولا يُمكن التلاعب بها من أيّ آلة أبداً.

تسأل: "هناك كثير من الناس في الغرب يقومون بإنشاء علم أو تقنية التنوّر".

هؤلاء الناس مُجرمون وخطرون، وعليك تجنبهم.

إنهم الأشخاص أنفسهم الذين شاركوا في صناعة التقنيات منذ مئتي عام ودمّروا الطبيعة، وها هم الآن يتجهون نحو الوعي كي يُدمروه أيضاً.

في وقتنا هذا نشأت حركة حول العالم تُناشد بالحفاظ على البيئة الطبيعية، والحفاظ على أصولها وطبيعتها، ولكنّ ذلك حدث بعد فوات الأوان دون شكّ. لم يعُد بالإمكان القيام بشيء الآن، أو بالأحرى لا يُمكن القيام بأشياء كبيرة، وأولئك الذين ينشرون الدعوة إلى حماية البيئة والحفاظ عليها، يُحاولون أن يكونوا بذوراً، وفئات مُشابهة لشهود "يهوه" المُتعصبين، الذين يُحاولون دون جدوى الصراع من أجل شيء يستحيل تحقيقه.

أوقف هذا الطاعون المُتفشي للتقنيات قبل أن ينتشر ويُهاجم الوعي البشري، أوقفه واقتل بذوره قبل أن تنتشر.

أنت تقول "هناك ضرورة مُلحة بالتأكيد، ليس هناك احتياج بكلّ تأكيد، بل لا يُوجد احتياجات أصلاً، ولكن كيف ترون الإمكانية؟ ". ليس هناك امكانية أيضاً، ولكنّ الانسان خطير، كلّما كان الأمر مُستحيلاً، جذبه تحدّي هذا المستحيل أكثر. هذا ما قاله "ادموند هيلاري" عندما وصل إلى قمة "إيفرست". لقد سأله أحدهم: "لماذا قمتَ بكلّ هذه المحاولة؟ ماذا ستجني من وراء ذلك؟ ". أجابه "إدموند هيلاري": "كان عليّ المحاولة، فالقمة هناك، ويجب أن أُحاول فهي مُنتصبة هناك، وكأنها تدعوني إلى التحدّي". إنّ أيّ شيء لا يُقهر، يعتبره الإنسان تحدياً لأناه المُزيفة.

في الحقيقة لا يُوجد أيّ احتمالية لا يُمكن الا تحدث أبداً. بيد أنّ المُستحيل حدوثه يُصبح تحدياً عند هؤلاء المجانين اللذين يُريدون إدراج كلّ شيء في التقنيات. إنهم عاجزون عن خلق تقنيات التنوير،

فهذا أمر لا يُمكن أن يحدث أبداً في الواقع، ولكنهم قادرون على ابتكار تقنيات تتحكم بالدماغ وتخدع الناس، وتخلق وهم التنوير.

هذا ما يحدث مع العقاقير، فقد أصبحت المُخدرات تقنية من أجل التنوير، وتلعب دور المُعلّم، وتستمرُّ في الحديث كما لو أنّ كلّ حكماء العالم كانوا يقولون الأشياء نفسها، ويُحاولون منحك الرؤية ذاتها التي يُمكن أن تقدمها حبوب الهلوسة، أو الحبوب المنشطة، أو "الماريجوانا"، مع أنّ كلّ هذا كلام فارغ. لا يُمكن لأيّ دواء أو عقاقير أن تُوصلك إلى التنوير، وكلّ ما هنالك أنّ العقاقير تمنحك الوهم أنك مُتنوّر.

هل الأمر يُعتبر انعدام مسؤولة لو انخرط الإنسان هذه العلوم أو الآليات دون التوصّل إلى حالة التنوير؟

يستطيع الناس الذين لم يتذوقوا حلاوة التنوير أن يُجربوا الأمر. أما أولئك الذي عرفوا، فلا يُمكن أن يخطر على بالهم هذه الامكانية، لأنه عمل غير مسؤول.

هل أسلوب "أريكا" هو المنهج الصحيح؟

إنّ منهج "أريكا" هو تقنية أو مجموعة تقنيات، معرفة دون حُبّ، وهذا ما يجعله طريقاً خطراً، وسوف يُحوّل الإنسان إلى آلة.

تذكّر دائماً أنّ الحرية هي الهدف، الحرية المُطلقة "موكشا". يُمكن تحويل الكائنات البشرية إلى آلات، وستُصبح في الحقيقة أقلّ كآبة من ذي قبل. إذا ما أصبح الناس آلات كاملة، كيف لهم أن يكونوا بائسين؟ لا يُمكن للآلة أن تكون بائسة أبداً، ولن تُصبح سعيدة أيضاً، ولن يصل إليها اليأس على الإطلاق. إنّ طرق "أريكا"، أو أيّ منهج آخر موجود دون الحبّ خطير جداً. من الصعب جداً أن تجد الاختلاف، لأنّ المنهج ذاته يُمكن أن يُستخدم مع الحُبّ، وعندها يكون المنهج ذا معنى، ويُمكن

أن تُستخدم الطريقة ذاتها دون حُبّ، فتُصبح خطِرة. من الصعب جداً أن ترى من الخارج، ما إذا كان هذا المنهج يُستخدم مع الحُبّ أو دون الحُبّ.

لقد تمّ اختيار منهج "أريكا" في عدد من المدارس: كالصوفية، "غوردجييف"، "التيبت"، "الهندية"، "اليابانية". إنه أمرٌ انتقائي في كلّ أنحاء العالم، وقد اختارت المدارس المختلفة هذه التقنيات، فلم يتحقق الانسجام بينها نظراً لعدم وجود مركز فيها. إنها محض أشياء مُتراكمة كحشود الناس، وليست أسراً، وإنما محض حشود وغوغاء، لأنّ التقنيات تأتي من مدارس مُتعددة.

إنّ تقنيات المتصوفة تتجه كي تكون مُختلفة عن تقنيات "الزن"، فكلاهما يعمل، ويقوم بوظيفته، ولكن حسب منهجه الخاص، فلا يستطيعون العمل خارج النظام، وكأنك تأخذ جزءاً من المركبة، وتُحاول أن تجعله يعمل مع أجزاء مُركّبة مُختلفة الصنع. لن تعمل هذه السيارة، وستكون في حيرة من أمرك: "لماذا لا تعمل هذه المركبة؟". لقد كانت تلك القطعة مُخصصة كي تعمل في السيارة الأولى بانسجام تامّ، لأنها صُممت من أجل تلك السيارة. يعمل منهج "الزن" وفق فلسفة "الزن"، ويعمل منهج الصوفية وفق فلسفة الصوفية، وتعمل طريقة "التيبيت" وفق المنهج السريّ البوذي الغامض، ويعمل منهج اليوغا وفق نظام "باتنجالي". لا يُمكنك اختيار تلك الطرق من أيّ مكان، وإلا استطعتَ أن تجمع سيارة من قطع سيارات من طرازات مُختلفة، ومع أنّ الأمر غاية في الخطورة، فلن تسير هذه السيارة إلى أيّ مكان، ستُصبح سعيداً لو تحرّكت، ولكن هل تتحرّك؟ ستُصبح أكثر تعاسة.

تجمّعت "أريكا" من مدارس مُختلفة، إنها جشعة جداً، ومُنتقاة، ولكنّ المركز ليس موجوداً. إنها ليست جوقة موسيقية، بل ضجيج في السوق.

الأمر الأول: إذا كنتَ تتبع طريقة "أريكا" على نحو مُكثف، فلن تصل إلى مركزك. ستحصل على العديد من التجارب السطحية، ولكنك لن تصل أبداً إلى مركزك، ولن تكون كلّ تلك الخبرات مُجتمعة، بل مُجزأة، وهذا ما يجعلها خطرة، لأنك يُمكن أن تتبعثر إلى قطع.

الأمر الآخر: لن يكون هناك حُبّ، لأنه لا يوجد مركز، والحُبّ ينشأ فقط من المركز. هذا التجمّع من العديد من الأساليب هو أمرٌ يفتقد إلى الروح، أي أنه أمرٌ لا روح فيه، ولذلك لا يُمكنك أن تكون فعالاً ومُؤثراً في الطرق والأنظمة والمناهج، وسترى بعد ذلك أنّ قلبك لن يزدهر، ولو أصبحت فعالاً، فلن تشعر بالرضى والهناء. قد تُصبح أقلّ بؤساً، أو أقلّ توتراً، أو أكثر قدرة على السيطرة على نفسك، أو تُصبح الأنا أقوى، ولكن لن يكون لديك روح.

كل الطرائق والأساليب هي طرق صحيحة إذا ما أُخذت في سياقها الخاص، ولكنّ "أريكا" ليس لديها أيّ فلسفة بعد، ولا تملك أيّ انسجام، وهي ليست طريقاً من أجل خلق التناغم، بل على العكس من ذلك. في الحقيقة، وُلدَت البوذية عندما أصبح "بوذا" مُستنيراً، لقد وُجد المركز في أول الأمر، وبعد ذلك بدأ بإنشاء بعض الطرق كي يُساعد أولئك الذين لم يصلوا إلى التنوّر بعد في الوصول إلى المركز الذي حصل عليه فعلاً. يأتي المركز أولاً وبعد ذلك المُحيط.

هذا هو الحال مع "جلال الدين الرومي": لقد أصبح مُستنيراً أول الأمر، وعندما حدث الأمر، صار يرقص ويدور، ولم يكن يهدف إلى الوصول إلى التنور، فلم يكن يعرف شيئاً عن الدوران. لقد كان يُحبّ الدوران والالتفاف على نحو كبير، وكان يشعر بسلام غامر عند فعل ذلك، وكان من قبيل المُصادفة أنه دار فأصبح مستنيراً. عندما أصبح مُستنيراً، بدأ يُفكر في كيفية مُساعدة الآخرين. لقد أنشأ المركز في البداية،

وبعد ذلك بدأ بطريقته "الصوفية"، هذا ما حصل أيضاً مع "باتنجالي".

أمّا مع " أريكا" فالأمر مُختلفٌ تماماً، إذ لا يُوجد كائن مُستنير في الجوهر، وبطبيعة الحال، فإنّ أيّ شخص يتمتّع بالذكاء يُمكنه جمع العديد من الطرق والأساليب من عدة مصادر واتجاهات وتقاليد مُتعددة، ولكن يبقى الجوهر مفقوداً، ولا يكون الأمر إلا على المُحيط فقط، ولذلك فإنّ الناس الذين يتجهون نحو "أريكا" سيشعرون أنهم عالقون عاجلاً أم أجلاً، ستأخذك الطريقة إلى حدود مُعينة، وفجأة لن يكون هناك أيّ تطوّر أو نمو، وتُصبح جافاً كالصحراء، ذلك أنه إذا لم يتدفّق الحُبّ، فلن تتفتح الأزهار أبداً، ولن تنمو الأشجار، ولن تجري الأنهار.

إنّ ذروة الازدهار دائماً مع الحُبّ.

السؤال الثاني:

في أحد الأيام قلتَ إنك كنتَ أنانياً، وفي يوم آخر لم يتمكّن هذا الأنانيّ من أن يُصبح سعيداً، وتقول الآن أنك سعيد. هل يُمكنك التعليق من فضلك؟

لا تستمع إلى ما أقوله أبداً! بل انظُر إليّ جيداً، واستمِع إلى ما أقوله، لا تدع كلامي يُزعجك كثيراً، انظُر على نحو مُباشر، هل تُلاحظ الأنا المزيفة عند هذا الشخص الذي تتحدّث إليه؟ لا تهتمّ كثيراً بما أقوله، في الحقيقة، وحده مَن لا يمتلك الأنا المزيفة يُمكنه أن يقول: "أنا أكبر أناني في العالم".

تُحاول الأنا المزيفة إخفاء نفسها عادة. عندما تُخبر أحداً أنه أناني، سيشعر بالإهانة، ومع أنه أناني، إلا أنه يشعر بالإهانة حقيقة، وكلّما كان أنانياً أكثر، شعر بالإهانة أكثر. تُريد الأنا أن تعمل من الناحية المُظلمة من اللاوعي، كيلا تأتي إلى النور أبداً. يُمكنني أن أقول لك إنني الأكثر أنانية في العالم بأسره، ولا أجد في ذلك مُشكلة. قلتُ لك أنّ الأنا المزيفة لديّ تشمل كلّ شيء. كيف يُمكن للأنا المزيفة أن تشمل كلّ شيء؟ يجب

أن تقوم الأنا المزيفة بالاستبعاد، وإلا كان التحديد مفقوداً. يجب أن تقول الأنا المُزيفة: أنت، أنتَ وأنا، أنا أعلى منك شأناً، وأعظم منك قدراً. تعتمد الأنا المزيفة على التعريف ووضع الحدود. عندما أقول أنني أحتويكم كلّكم، فهذا يعني أنّ الأنا المزيفة لديّ كبيرة كفاية كي تشمل الجميع. إنها في الحقيقة لا تستثني شيئاً حتى الشيطان نفسه. عند ذلك تختفي "أنت"، وعندما تختفي "أنت"، كيف يُمكن أن تبقى الأنا موجودة؟

يبد أنّ السؤال من رجلٍ انكليزي، وهذا أمرٌ طبيعي، فالرجل الانكليزي لا يمتلك حسّ الفكاهة، ويأخذ كلّ شيء على محمل الجد، إنهم أناس جدّيون. عليهم أن يبدؤوا بالتفكير جدياً: "هذا الرجل مُتناقض".

أنا شخص غير جاد، أنا أسمح لنفسي بالتعارض والتناقض.

يُقال إنه عندما تُقال "نكتة" لرجل انكليزي فإنه يضحك ثلاث مرات، المرة الأولى عندما تروي النكتة، وهو دون شكّ لا يفهم ما تعنيه النكتة، ولكنه يضحك لأنه مُهذب فقط، كيلا يجعل الرجل المُتحدّث يشعر بالإحراج أو الاهانة، يضحك حينها بصوت مُرتفع. ثمّ يضحك مرة ثانية في مُنتصف الليل، عندما يُدرك ما كانت تعنيه الدعابة. يقول: "حقاً"، ثمّ يُتابع الضحك. ثمّ يضحك مرة ثالثة من تفاهته، فهو يضحك على دعابة في مُنتصف الليل! يا له من أحمق! ويالهم من شعب أولئك الانكليزيون!

السؤال الثالث:

إنّ الفضول والعطش من أجل الوصول إلى الهدف الأبدي قادني إلى مخيمك. هل يُمكن للشخص الفضولي، أو الشخص المُفعم بالشكّ أن يكونا أتباعاً جيدين؟ إنّ نصيحتك لي أن أترك هذا المخيم على الفور، تبدو قاسية نوعاً ما؟

أولاً: إنّ الفضول والعطش الشديد أبداً غير موجودة معاً. والعطش ليس الفضول أبداً. إنّ الفضول طفولي، ويكون عندما يُريد الإنسان

ببساطة أن يعرف. إنه مثل الحكة، ولا يتضمن أيّ شيء هام، ولستَ على استعداد كي تدفع أيّ شيء من أجله. أنت ببساطة فضولي، ولست جاداً في ذلك، فالأمر ليس عطشاً في أعماقك، وليس أنّ هذه المعرفة ستقوم بتغيير حياتك، طريقتك، طريقك، وجودك، كينونتك. فقط بالمناسبة تُريد أن تعرف، ولست قلقاً جداً حول ذلك.

يأتي الكثير من الناس كي يسألوني سؤالاً واحداً: "ما رأيك: هل الإله موجود؟". إنّ سؤالاً مثل هذا يحتاج إلى شخص غبي جداً، فهذا السؤال واسع جداً ولا يُوصف، إلى درجة أنه لو كنتَ عطشاً جداً لن تتمكّن من الافصاح عن ذلك. قد تبكي وتنتحب، ولكن لن تتمكّن من التفوّه بما يُبكيك. هذا السؤال واسع جداً وهائل جداً، كيف تقدر على تلفظه؟ فالتلفظ به يُدنسه. إنه انتهاك الحرمات، إنه سؤال مُقدّس، إلى درجة أنك ترتجف معه، بيد أنك عاجز عن صياغته.

أنا أعرف أيضاً هؤلاء الأشخاص الذين يأتون ويبدؤون بالارتجاف ويقولون: "لا نعرف بالضبط ماذا علينا أن نسأل"، وفي بعض الأحيان يأتي أحدهم ويقول: "أوشو، ماذا عليّ أن أسأل؟". هذا الرجل الآن من نوع مُختلف تماماً، فهو لا يستطيع حتى صياغة سؤاله، ذلك لأنّ الحياة فسيحة جداً وكبيرة، فكيف يُمكن وضعها في سؤال واحد؟ في لحظة وضعها في سؤال، سيبدو الأمر صبيانياً، لأنّ السؤال والجواب في المدرسة فقط، وليس في الحياة.

يأتي شخص ما ويسأل: "هل الإله موجود؟"، ويتوقّع جواب نعم أو لا. لقد تمّ تدريبكم في المدارس، الكليات، الجامعات على الاجابة على كلّ شيء، وأيّ شيء، ولكن لن يتمّ تدريبكم على السؤال، تذكّر، لقد تمّ تدريبكم على الإجابة فقط. إنّ أوراق امتحاناتك تُعطيك ببساطة بعض الأسئلة، وعليك أن تُجيب. بيد أنّ سؤال: "هل الإله موجود"، يجعلك

تنتظر هناك، وبالطبع لا يُمكن أن يكون هناك سوى إجابتين، نعم أو لا. هل ستحمل معنى الإجابة: "نعم الإله موجود؟"، هل سيُنقذ ذلك أيّ شيء على الاطلاق؟ من المُؤكّد أنك سمعتَ هذا الجواب سابقاً، أو رُبّما تمّ الرد عليك: "كلا، إنّ الإله غير موجود". هل ساعدك هذا الجواب بأيّ شيء؟ لقد سمعتُ هذا الجواب سابقاً أيضاً. هاتان الإجابتان معروفتان. ماذا ستسأل؟

من الأفضل أن تبقى صامتاً، ومن الأفضل أن ترتجف، ومن الأفضل أن تبكي وتبكي، ومن الأفضل أن تفتح قلبك، وقوتك، وتعطشك، ولن يكون ذلك فضولاً، فالفضول لا يُمكن أن يتواجد مع العطش الشديد، وأنت تقول: "**إنّ الفضول والتعطّش من أجل الوصول إلى الهدف الأبدي قادني إلى مُخيمك**". لا أظن هذا، قد يكون الفضول مَن قادك. هذا الشخص قد طرح اسئلة حمقاء، وقد يطرح مئات الأسئلة على الأقل في غضون عشرة أيام فقط.

سوف يطرح التعطّش الشديد سؤالاً واحداً يُغني عن كلّ الأسئلة. عندما يكون تعطّشك شديداً، فإنّ كلّ الأسئلة تُختصر في سؤال واحد، وذلك السؤال هو «مَن أنا؟"، وكلّ ما سوى ذلك غير مُهمّ.

ليس المُتعطّش إلى الحقيقة قلقاً بشأن الإله، كما لا يهمّه إن كان هناك جنة أو نار، ولا تهمّه الحيوات السابقة، ولا نظريتي الكارما والتناسخ، بل تكمن مُشكلته بأكملها في: «أنا لا أعرف مَن أنا». هذا هو السؤال الأول والأخير: «يجب أن أعرف ذلك، فإذا عرفتُ، يغدو كلّ ما عداه ثانوياً. نعم من المُمكن أن أعرفه لاحقاً، ولكن إذا لم أعرف نفسي، فما الجدوى من معرفة كلّ ما سواها؟". عندما يكون هناك شغف إلى الحقيقة، فلا مجال سوى إلى سؤال واحد: «مَن أنا؟". من خلال مئة سؤال التي سألها الرجل، لم يكن هناك حتى سؤال واحد عن «مَن أنا؟"،

لماذا لم يقُم بطرح ذلك السؤال. إنه فضوليّ، ويقول: «الوصول إلى الهدف الأبدي»، إنه طماعٌ أيضاً.

أنت لم تعرف حقيقة ذاتك بعد، وها أنت تقفز إلى الهدف الأبدي. إنه الجشع، إنّها الأنا: يتوقون إلى هذا العالم، ويتوقون إلى العالم الآخر كذلك. إنهم يشتهون المال، وحساب مصرفي أكبر، ومنازل أكثر رحابة، وسيارات أكثر رفاهية، ثمّ يظهر لديهم توقٌ إلى الجنة والفردوس والإله. إنهم يُريدون أن يكون كلّ شيء في حوزتهم، فهم أشخاص جشعون.

ينبغي أن تعرف حقيقة مَن تكون، وبمعرفة ذلك ستتكشف لك الحقيقة الأبدية. أنت لا تتعرّف على نفسك من خلال استحواذك على الحقيقة الأبدية أبداً، فلا يُمكنك الوصول إليها. أنت ضئيلٌ للغاية. فقط فكّر في أنّ إنساناً غير جوهري، يُفكّر في الاستحواذ على الحقيقة الأبدية! في حين أنّ حمّى بسيطة كفيلة بقتله. إذا كانت درجة حرارتك 98.6 فهرنهايت «37 مئوية»، فأنت على ما يُرام، بيد أنّ أربع أو خمس درجات تحت 98 وسينتهي أمرك، ويُقضى عليك. لا يُمكنك أن تعيش إذا زادت حرارتك عن مئة وعشر درجات، وتُريد أن تعرف الحقيقة الأبدية؟!

لا تستطيع العيش دون تنفّس أكثر من عدة دقائق لا تتجاوز ثمان دقائق، وتُريد أن تصل إلى الحقيقة الأبدية؟

إنّ الجسد يحتضر بالفعل، ويسير نحو الموت منذ لحظة الولادة الأولى. لا تُشكّل سبعين سنة شيئاً في هذه المسيرة الخالدة، وهذه الأبدية. ثمّ يُريد هذا الإنسان الذي يعيش سبعين سنة أن يحوز على الأبدية؟ يا له من تفكير قاصر، كيف لك أن تضع الأبدية فيه؟ إنّ الأمر أشبه بمُحاولة وضع البحر برمته في ملعقة.

لقد سمعتُ عن فيلسوف عظيم، لا بدّ أنّه «أرسطو». لا أعرف بالتحديد، لكنني أظن أنّه هو.

كان يتمشّى على الشاطئ مُستمتعاً بأشعة الصباح، وصادف رجلاً مجنوناً. لقد بدا الرجل مجنوناً، فقد كان يحمل الماء في ملعقة صغيرة، ويسكبها في حفرةٍ حفرها في الرمل، ثمّ يجري إلى البحر، ويعود إلى الحفرة مرة تلو الأُخرى. رآه أرسطو فقال: «ما الذي يفعله هذا؟». اقترب منه وقال: «ما الذي تفعله؟»، أجاب الرجل: «لقد قررتُ أن أُفرغ البحر بأكمله في هذه الحفرة»، قال أرسطو: «هل جُننتَ؟ بتلك الملعقة الصغيرة؟ وفي هذه الحفرة الصغيرة؟ وذلك المحيط الواسع؟». بدأ الرجل المجنون يضحك، وقال: «كنتُ أظنّ أنك مجنون. لقد تناهى إلى سمعي أنك تُريد أن تفهم الحقيقة الأبدية، من خلال هذا الرأس الصغير؟ مَن المجنون؟!».

لا بدّ أنّ الرجل كان مستبصراً عظيماً، وقد صدم «أرسطو» بشدة، ولكنه كان على حقّ، فالحقيقة دائماً ما تصدم. لا تكُن جشعاً حيال الحقيقة، لأنّ الحقيقة تأتي فقط عندما تتخلّى عن الجشع، لأنك عندها لن تكون قليل الشأن، فالجشع يجعلك صغير الشأن. عندما يختفي الجشع تماماً، تسقط كلّ الحدود، ولن تكون حينها كالحفرة الصغيرة على شاطئ المُحيط. عندما يختفي الجشع يغدو المُحيط بحجم الحفرة الصغيرة بالنسبة إليك. ليست الحقيقة أمراً ينبغي الاستحواذ عليه، بل هي أمرٌ ينبغي أن يستحوذ عليك، ويجب أن تسمح لها بذلك.

بيد أنّ الإنسان مليء بالمعارف، والمعرفة لا تسمح للحقيقة بالدخول. في أسئلته المئة كلّها، يستعرض السائل معرفته، وكلّ النصوص التي يعرفها، وكلّ ما سمعه، وكلّ ما تمّ تكييفه عليه في رأسه.

«هل يُمكن للشخص الفضولي، أو المُفعم بالشكّ أن يكونا أتباعاً جيدين؟».

لا يُمكن للإنسان الفضولي، والإنسان النزّاع للشك أن يكونا تابعين أبداً. إنّ التابع الصالح بعيدٌ عن ذلك كلّ البعد، لأنّه عندما تتبع، فأنت

في حاجة إلى الثقة. كي تسبر عالم المجهول مع شخص ما، لا بد أن تتحلّى بقدر بسيط من الثقة على الأقل. بيد أنّ هذا السائل لا يعرف الثقة أبداً. إنّه مُتشكك، ولا يعرف الثقة. ليس بمقدور الشكّ أن يُرشدك في رحلتك الداخلية. إنّ الشكّ مُفيد في مجال العلم، فالعلم يعتمد عليه، وهو منهج في مجال العلوم. إذا كنتَ تتحلّى بالثقة، فلن تتقدّم مُطلقاً في مجال العلوم، بل يجب أن تتخلّى عن الثقة. إنّ العلم منهج مُعاد، وهو يعتمد على الخصومة والعداوة.

أمّا الدين، والتصوف فهما مُختلفان تماماً، وعلى النقيض بكلّ ما تعنيه الكلمة من معنى. فالمنهج فيهما الثقة والتسليم، وليس الشكّ. إذا كنتَ تثق بي، تستطيع المضي معي. وما من سبيل آخر.

يقول السائل: "إنّ نصيحتك لي أن أترك هذا المخيم على الفور، تبدو قاسية نوعاً ما".

قاسية؟ تقول قاسية؟ إذاً أنت لا تعرف أيّ شيء عن المُعلّمين. إنّها ليست قسوة! إنّها في غاية الأدب. هل سمعتَ من قبل عن مُعلّمي "الزن"؟ لو وجّهتَ السؤال ذاته إلى مُعلّم "الزن"، رُبّما كان سيقفز عليك، ويضربك مُباشرة. رُبّما يُلقي بك خارج الزاوية. يوماً ما سأفعل ذلك، انتظر. لماذا تظنّ أنه لديّ "سانت" و"كمال" و"غوروديال"؟ سيتولونَ هُم أمر ضربك. انتظر قليلاً، ثِق بي أكثر، وسترى.

تقول قاسية؟ إنّها ليست قسوة، بل شفقة بسيطة تجاهك.

أنت تحتاج إلى هذه القسوة وتستحقّها، لأنّ الرجل واسع المعرفة يحتاج إلى الصدمات الكهربائية. لستُ هنا كي أجعلك أكثر معرفة، بل كي أساعدك على التخلّي عن معرفتك بأكملها. إنّ الأمر أشبه بشخص يغط في نوم عميق، ويتوجّب عليك إيقاظه، وهو أمرٌ قاس بالطبع. ألم ترَ ذلك بنفسك؟ عندما يرنُّ المُنبه في الصباح الباكر كي تتأهب من أجل

التأمل الديناميكي الفعال، ألا تودُّ أن تقول: "تباً لك!"، وترغب في رمي المنبه. إنّ ذلك أمرٌ قاس.

إنّ المُعلّم بمثابة المُنبه، ولا بدَّ للمُعلّم أن يكون صادماً للغاية: ينبغي عليه أن يهزّك من الأعماق ومن جذورك، ينبغي عليه أن يجتثّ تفكيرك، وينقلك إلى عالم مُختلف تمام الاختلاف. عليه أن يُغيّر مستوى وجودك، وليس ذلك بالأمر السهل، إنّه أمرٌ شاق، كما أنّه مؤلم أيضاً. إنّه أمرٌ يحتاج إلى تضحية، فإذا كنتَ على استعداد من أجل التضحية، فقط حينها سيكون لك مكانٌ هنا. وإلا، ارحل عني، لأنّك في تلك الحال تُضيّع وقتك، ووقتي أنا الآخر. إذا كنتَ على استعداد من أجل خوض كلّ هذه المعاناة، وهي أمرٌ لا مناص منه، هذه هي التضحية....

إنّ كلمة "تضحية" كلمةٌ جميلةٌ وهي تعني: القيام بشيءٍ مُقدّس، وفعل شيءٍ قُدسي. إذا كنتَ مُستعداً من أجل تقبل صدماتي بثقة عميقة وحُبّ، فستُصبح الصدمات مُقدّسة. حينها لن تبدو قسوتي قسوة، بل ستبدو قمة الرحمة. سوف تشعر أنّني أقول ما أقوله لأنّني أُحبّكَ كثيراً، وإلا لماذا أُزعج نفسي؟

السؤال الرابع:

أنت و"بوذا" و"المسيح" وغيرهم، كلّكم رجال. وأنت تقول إنّ النساء أقرب ما تكون إلى اللاتفكير. لماذا اخترتَ جسد رجل؟ لماذا لا يُوجد مُعلّم في هيئة امرأة؟

يأتي السؤال من "ديفا شاندان" وهي بالطبع، سيدة تنتمي إلى حركة تحرير المرأة. إنّه سؤالٌ هام، ولا بُدّ من فهمه.

لم يكن ذلك هو الحال في الماضي على الإطلاق، فلم تكن المرأة مُعلّماً عظيماً، ولن تكون كذلك في المستقبل. يكمن السبب في أنّ تفكير الأنثى بحُكم طبيعته الخاصة ليس عدائياً. كي تكون مُعلّماً لا بُدّ أن تكون

عدائياً. لا علاقة لذلك بتعنت الرجل وتكبره، ولا علاقة له بالمجتمع الذكوري الشرقي. يكاد يكون سؤالك كالتالي: لماذا الرجل هو الأبّ دائماً، ولماذا لا يكون الأمّ أبداً؟ لا يُمكن عمل شيء حيال ذلك، إنّه أمرٌ طبيعي. حدث ذلك مرة واحدة فقط: دعني أخبرك هذه القصة الطريفة.

دخل كاهن إلى المشفى كي يُجري عملية استقصائية من أجل معرفة السبب وراء الآلام المبرحة التي كان يُعاني منها. في المشفى ذاته، وفي الوقت نفسه أنجبت فتاة عزباء مولوداً، وأوضحت للطبيب أنها لا ترغب في الاحتفاظ به.

دنا الطبيب سريع البديهة من سرير الراهب، بينما كان يستعيد وعيه بعد العملية، وراح يشرح للراهب أنّ معجزةً قد حصلت: لقد حباه الإله ولداً. قام الكاهن الذي أصيب بالصدمة في بادئ الأمر بأخذ الطفل بين ذراعيه، وأحنى رأسه مُصلياً شاكراً الإله على هذه المُعجزة.

ماذا عساه يفعل غير ذلك؟

مضت السنون. عاش القسّ والولد سوياً كأبٍ وابنه. حانت ساعة مُغادرة الولد دياره من أجل الالتحاق بالكليّة. في ليلة السفر، دنا القسّ من الولد وقال له الحقيقة الصادمة: "بني، لديّ اعتراف خطير لك". نظر الولد الحائر إلى الأعلى بينما استمرّ القسّ بالكلام: "لقد جعلتُك تعتقد أنني والدك. حسناً بني، هذه ليست الحقيقة. أنا أمك. والأسقف هو أبوك".

وحده العقل الذكوري يُمكن أن يكون مُعلّماً، فأن تكون مُعلّماً يعني أن تكون عدائياً "هجومياً"، ولا يُمكن للمرأة أن تكون عدائية. إنّ المرأة بحُكم طبيعتها الخاصة مُتلقية، وهي الرحم، ولذلك تستطيع المرأة أن تكون أفضل مُريد مُمكن. من الصعب جداً على الرجل أن يكون مُريداً، بينما بالنسبة إلى المرأة، فالأمر أبسط ما يكون.

إنّ علاقة المُعلّم والمُريد هي علاقة رجل وامرأة. رُبّما لم ترها من قبل من هذه الزاوية، ولكن حاول أن تنظر إليها بهذه الطريقة. إنّ المريد مُتلقٍ، وهو كالرحِم، ولهذا السبب يصعب على الرجال أن يكونوا مُريدين، وهناك عندهم دائماً بعض المُمانعة، والمُقاومة، والصراع، والأنا. من الصعب جداً على الرجل أن يُصبح مُريداً. طالما كانت النسوة أعظم المريدين: لقد كانت "ماريا المجدلية" أعظم مُريدي "المسيح"، ولكنها لم تستطع أن تكون رسولاً، ولا أن تكون مُعلّماً. أجل، لقد كان "بوذا" هو الآخر مُحاطاً بنساء جميلات مُؤهلات إلى حدّ بعيد، وكان "مهافيرا" مُحاطاً بأربعين ألف مُريد: ثلاثين ألف منهم من النساء، وعشرة آلاف من الرجال. طالما كانت القسمة على ذلك النحو. يأتي أربعة مُريدين، فيكون منهم ثلاث نسوة ورجل، وحتى ذلك الرجل لا يُمكن التعويل عليه كثيراً، فقد يكون جاء من أجل النساء، ولم يأتِ من أجل المُعلّم، وتلك الخطورة قائمة باستمرار.

طالما كان المُعلّمون الكبار رجالاً. قد يكون الأمر غير منطقي، ولكنّ هذا هو الحال، لأنّه يجب على المُعلّم أن يُمارس ألف طريقة وطريقة كي يُدرّبك. ينبغي على المُعلّم أن يتحرّك كي يُساعدك، ويأخذ بيدك، يحميك، يصدمك، يستدرجك إلى المجهول، يدفعك. عليه أن يقوم بألف شيء وشيء عدائي، هذا هو السبب. لا علاقة لذلك بالمجتمع الذكوري الشرقي. حتى في المُستقبل، عندما تتوطّد المساواة، سيبقى الرجل هو الأبّ دون أدنى شك، وستبقى المرأة هي الأمّ، ولا مكان للمعجزات.

السؤال الخامس

كلّ شيء مثالي، ولكنّ الحرب العالمية الثالثة على الأبواب. أنت تقول: لا تُحاول تغيير العالم، ولكن هناك خارج أسوار زاويتك، يبدو

أنّ الطفل المُتسوّل على وشك الموت جوعاً. ما الذي يُمكن عمله؟

"كلّ شيء مثالي، ولكنّ الحرب العالمية الثالثة على الأبواب"، سيكون ذلك مثالياً هو الآخر. سوف تُودي بحياة الكثيرين، وستكون حرباً شاملة، إنها الحرب المثالية، بل الأكثر مثالية على الإطلاق. الآن ستبرز مُشكلة: الحرب العالمية على الأبواب، ما الذي تفعله أنت هنا؟ تتأمل؟ ينبغي عليك الذهاب إلى العالم والحيلولة دون وقوع الحرب العالمية. هل تستطيع فعل ذلك؟ هل من المُمكن الحيلولة دونها؟ هل من المُمكن عمل أيّ شيء حيالها؟ سوف تخسر حياتك. لديك حياة قصيرة جداً، وهذه اللحظات المعدودات قيّمة للغاية، وهي اليوم أغلى بكثير من ذي قبل، لأنّ الحرب العالمية على الأبواب. سابقاً كان هناك مُتسع من الوقت، أمّا الآن، يبدو أنّ الوقت يُمكن أن ينتهي في أيّ لحظة. قد تقع الحرب غداً صباحاً، رُبّما يخرج أحدٌ ما عن طوره.

بينما كان "ريتشارد نيكسون" يُعاني من اضطراب بعد فضيحة "ووترغيت"، كانت لديه أفكار حول اندلاع الحرب العالمية الثالثة. لقد كان قادراً على إشعال تلك الظاهرة، وبالطبع كان في قلق وكرب شديدين. يجب أن أقول شيئاً كي أُنصف الرجل: لقد قاوم إغراء الحرب، فقد كان من السهولة بمكان أن يُشعل فتيل الحرب، ولو قام بذلك لكان رُبّما آخر رئيس للولايات المُتحدة الأمريكية، المأسوف عليها. لقد كان التاريخ بأكمله ملك يديه. ولو فعلها لكان الشخصية التاريخية الأبرز على الإطلاق. بطبيعة الحال لم يكن سيبقى أحد كي يكتب التاريخ؛ ولكنّ ذلك أمرٌ آخر. رُبّما كان الأفضل بالنسبة إليه على الأقل، ألا يلحق به ذلك العار، ويُنقذ أناه. يجب الاعتراف أنّ الرجل قاوم الإغراء، ولم يكن ذلك بالأمر السهل. لقد كان بإمكانه ببساطة أن يبدأ بإلقاء القنابل الذرية على "موسكو". وخلال خمس عشرة دقيقة وحسب، تفني كلّ نفس على وجه البسيطة.

لدينا القدرة على تدمير الأرضِ بأكملها سبع مرات. لدينا القدرة على التفوّق بالقتل. يُمكن أن يُقتل كلّ إنسان على وجه الأرض سبع مرات، فتلك القنابل الذرية والهيدروجينية الكثيرة على أهبة الاستعداد، مُكدسة في الانتظار. رُبّما يفقد أحد السياسيين صوابه يوماً ما، والسياسيون مجانين. إنهم ليسوا مُتزنين إلى حدّ كبير، وإلا لماذا انخرطوا في سلك السياسة في المقام الأول؟ أنت تجلس علي فوهة بركان، ولم يسبق أن كان الأمر خطيراً إلى هذا الحدّ. وأنت تُفكر: "**ما الذي أفعله هنا؟ أتأمّل؟ ما الذي يُمكن فعله؟**".

بينما لا يزال هناك وقت، قُم بالتأمل. إذا ثار البركان ولقيتَ حتفك وأنت تتأمل، فستذوق طعم الخلود. رُبّما لا تندلع الحرب العالمية الثالثة، في حال قرر الكثير من الناس التأمل، وقد شهدنا ذلك مراراً وتكراراً، عبر القرون، عندما يبدأ شخصٌ واحدٌ بالتأمل في قرية يقطنها مئة شخص، فإنّ نوعية الوعي في القرية تتغيّر، واحدٌ بالمئة فقط، لأنّ هذا الشخص يتواصل مع المئة الآخرين في القرية الصغيرة. إنه مُرتبط بالجميع، فهذا عمه، وهذا أخوه، وذاك قريبه من جهة زوجته. لديه قرابات، وهو مُرتبط بالجميع. إنّه يشرع في إطلاق ذبذبات طاقية مُختلفة، وطاقة تأملية. تتغيّر نوعية وعي القرية كلّها بفعل تأمل شخص واحد. لو بدأ واحد بالمئة من البشر بالتأمل، من المُحتمل تجنب وقوع الحرب العالمية الثالثة، وما من احتمال آخر.

علينا أن نتساءل عن السبب الذي يجعل البشر عنيفين في المقام الأول، إلى درجة تجعلهم يتقاتلون مرةً تلو أُخرى؟ خلال ثلاثة آلاف عام من الزمن، كان هناك خمسة عشر ألف حرب، أي خمسة حروب في كلّ سنة. يبدو أنّ البشرية بأكملها قد فقدَت صوابها، فلم نكن نفعل شيئاً سوى التقاتل فيما بيننا. وها هي ثلاثة آلاف سنة من العنف قد وصلت إلى ذروتها، وإلى السبيل النهائي، والطريق الشامل. رُبّما ترغب في اقتحام

العالم وإقناع السياسيين، أو ترتيب مسيرات احتجاج ضدّ "موسكو" و"واشنطن"، ولكنّ ذلك لن يُجدي نفعاً. ألم ترَ ذلك؟ إنّ الأشخاص الذين يُشاركون في هذه المسيرات الاحتجاجية هم أناسٌ عنيفون للغاية. ألم تُشاهد ذلك من خلال صراخهم، وشعاراتهم؟ إنهم أشخاصٌ عنيفون وعدائيون. رُبّما يؤيدون السلام، ولكنهم على استعدادٍ كي يُقاتلوا من أجله. الاقتتال هو المشكلة. ما الذي ستفعله؟ سوف تبدأ في الصراخ، سوف تبتكر شعارات، ثمّ تتحمّس لها، وتشرع في القتال!

هذا ما يستمرُّ السياسيون في القيام به. لا تُؤيّد "موسكو" الحرب، ولا "واشنطن". يقول الشيوعيون: علينا الاستعداد من أجل الحرب، لأننا نُريد السلام في العالم، ويقول الرأسماليون الشيء ذاته. إنّ الرأسماليين والشيوعيين والفاشيين سواء، فكلّهم يتحضّرون من أجل الحرب، بينما يقولون إنهم يُعدّون من أجل السلام. إنّ خروجك في مسيرة احتجاجية يعني أنك شخص عنيف.

إنّ المسيرة الاحتجاجية الوحيدة المُمكنة هي أن تتأمل، وتجلس بسكينة وصمت، وتخلق طاقةً تأملية.

أُقيمت ذات مرة مُنافسة هنا في الزاوية في كتابة مقال عن الشخص التأملي. بالطبع وكما هو مُتوقّع حلّ الملا "نصر الدين" أولاً. لقد كان وصفه جميلاً حقاً، فقد أوضح الفارق بين الشخص التأملي والشخص غير التأملي على النحو التالي: "لو قفز الشخص الذي لا يُمارس التأمل من ناطحة سحاب، فإنه سيرتطم بالأرض وينتهي الأمر. أما الشخص الذي يُمارس التأمل، فإنه سيُطقطق أصابعه في مُنتصف المسافة ويقول: "كل شيء على ما يُرام حتى الآن".

إذا كانت الحرب ستقع فستقع، وما عليك إلا أن تُطقطق أصابعك وتقول: "كلّ شيء على ما يُرام حتى الآن"، فأنت لا تزال على قيد الحياة.

لم تنشب الحرب العالمية الثالثة بعد، فلا تُفوّت هذه الفرصة من أجل الرقص. من خلال رقصك أقول إنك ستخلق موجات. تأمّل، ومن خلال تأملك ستُطلق نوعية جديدة من الطاقة إلى العالم، وقد تتمكن من تحويل واحد بالمئة من العالم أجمعه إلى أناس مجانين "يلبسون البرتقالي"، يرقصون، يُغنون، يتأملون، بعيدون عن السياسة. أمّا أولئك الذين يسيرون في مسيرات الاحتجاج فهم سياسيون، لأنّ السياسة هي السبب الجذري في خروجهم. نحن نحتاج أشخاصاً غير سياسيين. أنا لم أُدلِ بصوتي ولا مرة في حياتي، ويأتي الناس ويقولون: "تستطيع التصويت لصالح الشخص الذي ترغب"، فأقول: "مهما كان الذي أُصوّتُ له، فإنّ صوتي سيذهب إلى سياسي ما. لا يُمكنني الإدلاء بصوتي. أنا غير مُشارك، فكلّهم سواء، ولكن تختلف الأسماء فقط".

حتى هذا الشخص الذي يدعو إلى السلام، هو سياسيّ أيضاً. أتمنّى لو تكوّنت مجموعة من الأشخاص غير السياسيين، وأعني بكلمة "غير سياسي" الشخص المُتديّن، والشخص الذي يقول: "حسناً، إذا كانت الحرب ستحصل فستحصل. لماذا أبدد وقتي؟ يجب أن أتأمل، وأستمتع، وأبتهج. بينما يحين الوقت سأرقص. إذا كانت ستحدث فستحدث، فلماذا أفوّت الرقصة؟ إنّ الوقت قصير". إذا بدأتَ في الرقص، وحُبّ الآخرين، وأصبحتَ ودوداً، واستمتعتَ بالحياة، فستخلق طاقة من أجل السلام، دون أن تُفكّر قطّ في السلام، ومن أجل ذلك، أنا لا أتكلّم عن السلام، بل أتكلّم عن الحُبّ، فالسلام يتبع طاقة الحُبّ كما الظل.

أعلم أنّ هناك فقر، وهناك مُتسولون، ولكن ما العمل؟ مهما فعلتَ فلن تستطيع المُساعدة. لقد قام البشر عبر القرون بخدمة الآخرين، التبرع، التصدق بالمال والثياب والطعام، وكان هناك الكثير من العمل الخيري، ولكن لم يتغيّر شيء. ثمّ ظهرت الدول الشيوعية التي رأت أنّ الدين قد أخفق، مع أنه في الحقيقة لم يأخذ الدين فرصته قط، بيد أنّ ذلك يبدو

صحيحاً، لأنّ هؤلاء الأشخاص الذين كانوا يُعتبرون مُتدينين، ويتبرّعون ويُقدّمون الإحسان، ويفعلون أشياء من هذا القبيل، لم يكونوا مُتدينين، بل أشخاص مُذنبون. إنهم يشعرون بالذنب لأنه عندما يُكدّس الإنسان الكثير من المال، يبدأ في الشعور بالذنب، ولا بُدّ له الآن أن يفعل شيئاً كي يتخلّص من ذنبه، ولذلك هو يُقدّم الإحسان، الذي يقوم بمُهمة تعزية ضميره.

يُحكى أنّ "آندرو كارنيغي" تبرّع للعديد من المكتبات، الكليات، الجامعات، الكليات الطبية، وآلاف المعاهد. عندما كان يحتضر، وقد كان أحد البارونات اللصوص، استفسر من سكرتيره: "بكم تبرّعتُ طوال حياتي؟". وكان قد تبرّع بملايين الدولارات. هرع السكرتير إلى الخزنة، وراح يحسب فالقائمة طويلة. كان المليونير يستمع، فالمجموع هو ملايين الملايين من الدولارات. تفاجأ وفتح عينيه، ودبّت فيه الحياة وقال: "لكن من أين، أتعجّب، من أين جمعتُ كلّ ذلك المال؟ من أين؟ هل تبرّعتُ بكلّ ذلك الكمّ من المال؟ من أين لي بكلّ ذلك المال؟". لقد حصلتَ عليه من الناس ذاتهم الذين تتبرّع لهم. أنت تأخذ المال من جيب أحدهم، وتتصدّق به باليد الأخرى، بيد أنك بالتأكيد لا تهب المبلغ بأكمله، بل تتصدّق بجزء من المبلغ الإجمالي. إنها خدعة، ولم تُجدِ نفعاً. من أجل هذا أستمرُّ في التكرار مرة تلو الأخرى، عِش في اللحظة، ولن يكون هناك متسولون. بيد أنك تعيش في المستقبل، وهذا يعني أنه سيكون هناك متسولون. أنت تجمع وتُكدّس المال من أجل المستقبل، ولكنه لن يكون مُتوفراً لكلّ أولئك الذين هم على قيد الحياة الآن.

إذا كنتَ تُريد عالماً خالياً من الفقر، لا بُدّ أن يختفي الجشع. كلا، لن يفي لإحسان بالغرض، فهو لم يكفِ سابقاً. لا بُد للجشع أن يختفي، وكذلك تكديس المال. هذا ما أُحاول تعليمك إياه: إذا كنتَ تُحبّ

الحياة، فلن تكتنز المال. إنّ الحياة جميلة، فمَن يكترث للغد؟

هناك مساحة في الأرض تكفي الأشخاص الذين يعيشون على سطحها. إذا لم يقُم أحدٌ بتجميع المال وتكديسه من أجل المستقبل، والتفكير بالمستقبل، فسيكون الجميع سعداء، وسيحصل كلٌ منهم على كفافه. بيد أنك تُفكّر بالمستقبل، ولستَ سعيداً الآن، فتُفكّر: "غداً سأكون سعيداً"، ومن أجل ذلك تُضحي بحاضرك، كما تُضحي بحاضر شخص آخر أيضاً، كي تكتنز من أجل المستقبل. ليس المُتسوّل في الطريق هو المشكلة، بل هو عرَض، بينما يكمن المرض في جشعك. يُمكنك أن تهب المُتسوّل شيئاً، فأنا لا أطلب منك ألا تعطيه، فذلك سيُعزيك أنك قدّمتَ شيئاً، أنت تعطي المُتسوّل الذي يركب في القارب ذاته أيضاً، فهو يكتنز المال أيضاً. رُبّما لا يكون مُحتاجاً كما يبدو، لأنني أعرف الكثير من المُتسوّلين الذين لديهم حسابات في المصارف. رُبّما تكون مُجرّد مهنة بالنسبة إليه، ولذلك لا بُدّ أن يظهر بمظهر المُتسوّل. يجب أن يُظهر أنه يحتضر، لأنك أصبحت قاسي القلب، ولن يلين قلبك ما لم تره يحتضر. لا بُدّ له أن يجلس هناك ويرتجف من البرد. رُبّما يمتلك ثمن اللحاف، ولديه المال الكافي من أجل شرائه، ولكنه لن يشتريه، لأنه لو كان يملك لحافاً، فلن تشعر بالأسف حياله، ولن تشعر بالذنب تجاهه. إنّ ارتجافه يجعلك ترتجف. لا بُدّ له أن يتظاهر.

كنتُ أعرف طالباً، تلميذي في الجامعة. سألتُه ذات مرة: "أين تسكن؟"، قال: "لا تسأل يا سيدي". ألححتُ عليه بالسؤال فقال: "لم أُخبر أحداً بهذا من قبل، لأنّ والدي طلب مني ألا أخبر أحداً، ولكن يُمكن أن أُخبرك أنت، ولكن أرجوك لا تُخبر أحداً". قلتُ: "ما الأمر؟"، قال: "والدي مُتسوّل. لا بُدّ أنك قابلته، إنه يتسوّل في محطة القطار". قلتُ: "هو والدك؟"، أجاب: "نعم هو والدي، ولديه ما يكفيه من المال. بيد أني لا أستطيع البوح بذلك لأحد، وإلا لأصبحت هيبته كمُتسوّل

على المحك". كان ذلك الولد يعيش عيشة الأغنياء. كنتُ أعرف ذلك المُتسوّل بحكم سفري الدائم، وكنتُ أنزل في محطة القطار تقريباً كلّ يوم في الذهاب والإياب. لقد كنتُ من الأشخاص الذين خُدعوا به، وكان دائماً يحصل على المال مني. كان عليّ أن أُعطيه شيئاً في ذهابي وإيابي، فلم يكن يُفلتني. قلتُ: "حسناً، سأُريه في المرة القادمة".

في المرة التالية، هُرع إلي المُتسوّل وهو يقول: "أنا أحتضر، زوجتي مريضة جداً وهي في المشفى". قلتُ: "وماذا عن ابنك؟" . قال: "أيّ ابن؟ "، قلتُ: "إنه تلميذي"، قال: "أرجوك سيّدي لا تُخبر أحداً بهذا، لن أُزعجك بعد اليوم!".

إذا كنتَ تُريد تقديم المُساعدة، قدّمها، ولكن تذكّر إنها ليست فنجان شاي. إنها غلطتك، وأرجوك لا ترمِ أخطاءك عليّ. إذا أردتَ أن تُساعد المُتسوّلين، ساعِدهم، وافعَل ذلك حتى أقصى حدّ، وعندما تُصبح مُتسوّلاً سيأتي من يُقدّم لك العون. هكذا تجري الأمور. بيد أنَّ الإحسان لم يُغيّر شيئاً، وتدخّلَت الشيوعية ولم تُغيّر شيئاً هي الأُخرى، ولم تجعل أحداً ثرياً، بل تسبّبَت ببساطة في إفقار الأغنياء. لقد بقي الفقير فقيراً، واختفى الغني وحده، ولم يعُد هناك الآن مُقارنة.

من أجل هذا لا يسمح الروس لمواطنيهم بالسفر من أجل رؤية "أمريكا"، فذلك خطير، لأنَّ الفقير في "أمريكا"، أغنى بكثير من الغني في "روسيا". إنه أمرٌ خطير، فقد اختفى الغني في "روسيا"، وأصبح الجميع فقراء. لقد تمّ تكريس المساواة، فأصبح الجميع فقراء، ولم يعُد يُوجد بينهم غني. هذا صحيح، بيد أنَّ الفقر لم يتغيّر، وكذلك الجشع. لقد أصبحَت الدولة هي الجشعة، وهي تُخطط الآن من أجل المستقبل: حيث يذهب سبعون في المئة من الميزانية إلى الإعداد الحربي من أجل حرب عالمية ثالثة، بينما تبقى البلاد تُعاني من الجوع، ولا يملك الناس الأحذية، والثياب. هذه هي الشيوعية.

لقد أخفقَت الشيوعية أكثر من طرق الإحسان التقليدية حتى، لأنها خلقَت طبقة جديدة. لم يعُد الرجل الغني موجوداً، ولكنه أصبح بيروقراطياً. لقد اختفَت البرجوازية، فيما ظهرَت البيروقراطية. لم يعُد الغني موجوداً، بينما أصبح عضو الحزب الشيوعي هو النخبة الآن. يستمرُ القمع ذاته، ولكن على نحو أشد تطرفاً. لم تشهد الأرض عبودية كتلك الموجودة اليوم في "روسيا" و"الصين".

تسألني: "إذاً، ما العمل؟"، واقتراحي هو التالي: لا تظنّ أنك تستطيع الحيلولة دون وقوع الحرب العالمية الثالثة، ولا تظنّ أنك تستطيع تغيير الفقر، فأنت لا تستطيع تغيير أيّ شيء سوى ذاتك. تخلَّ عن جشعك، تخلَّ عن مُستقبلك، تخلَّ عن تفكيرك، كُن أكثر محبة، وأكثر إحساساً، وعِش من قلبك. عندما يبدأ الكثير من الناس العيش بتلك الطريقة، فإنَّ ذلك هو السبيل الوحيد من أجل تغيير العالم. لا يُمكن تغيير العالم على نحو مُباشر، لأنَّ العالم ليس له روح. إنّ الروح موجودة في الفرد، والأفراد فقط يُمكن أن يتغيروا.

إذا بقيت مُكتنزاً، جشعاً، عنيفاً، مكبوتاً، سيستمرُ هذا المجتمع. يُمكنك التصدّق على المُتسوّل، وسيبقى مُتسوّلاً، لأنَّ المال لا يُغيّر أيّ شيء أبداً. لقد قابلتُ مَن يملكون الملايين، ولكنهم بقوا مُتسوّلين، شحيحين إلى درجة أنهم مهما امتلكوا، فلم يكن ذلك يُشكّل فارقاً.

لقد سمعتُ...

كان هناك لاجئان يهوديان مرّا ببيت "جون د. روكفلر"، فتنهّد أحدهما قائلاً: "لو كانت عندي ملايين هذا الرجل، لكنتُ أغنى منه".

قال الآخر مُذكّراً إياه: "هذا غير منطقي. لو كانت عندك

ملايينه، لكنك غنياً بقدر غناه، وليس أكثر". أجاب الأول مؤكداً: "أنت مُخطئ، لا تنسَ أنه بإمكاني إعطاء دروس اللغة العبرية على الهامش".

يبقى الفقير فقيراً، فهو يُريد إعطاء دروس اللغة العبرية على الهامش، حتى لو كانت له عنده مثل ثروة "جون د. روكفلر".

لا يغيّر المال الناس، فالمال لا يُغيّر شيئاً أبداً. أما إذا تغيّرتَ أنت، فذلك أمرٌ مُختلف تمام الاختلاف. أنا لا أطلب منك ألا تتعاطف، ولكن ما أقوله هو أن تتعاطف دون أن تُفكّر أنّ تعاطفك سيُغيّر حال العالم. لا تأمل ذلك. أعطِ كلّ ما باستطاعتك إعطاؤه، شارك الآخرين بقدر ما تستطيع، ولكن شارك بدافع الحُبّ. لا تُفكّر من منطلق السياسة، وتغيير العالم، وإلا ستُصاب بالإحباط. اِنسَ الأمر برمته. اِفعل ما يحلو لك. إذا صادفتَ مُتسوّلاً، وتحرّك فيك إحساس ما، اِفعل أيّ شيءٍ ترغب فيه. أنا لا أطلب منك ألا تفعل شيئاً. ما أقوله ببساطة هو ألا تأمل تغيير العالم من خلال ذلك، فلن يتغيّر أيّ شيء.

إنّ الطريقة الوحيدة من أجل تغيير العالم هي تغيير مستوى الوعي، وهذا أمرٌ يمكنك فعله لنفسك فقط، ولا يُمكن القيام به مع أيّ أحدٍ من الخارج. أجل، إذا قمتَ أنت بتغيير مستوى وعيك، فستخلق حالة من شأنها تغيير الناس دون علمهم.

هناك حاجةٌ إلى بيئة مُختلفة في العالم، وليس إلى مُجتمع مُختلف، نحتاج إلى بيئة مُختلفة، وحالة روحانية مُختلفة، ومن أجل هذا، أنا لستُ مُهتماً بالتغيير المُباشر، فلا أُريدكم أن تكونوا خدماً اجتماعيين، مُبشّرين، وأشياء من ذلك القبيل، بل أُريدكم أن تكونوا أنانيين بكلّ ما تعنيه الكلمة من معنى.

حاول أن تعرف حقيقتك ومَن تكون: هذا هو المبدأ الأول في الأنانية. ثم حاول أن تُحبّ: وهذا هو المبدأ الثاني من مبادئ الأنانية. أحبب نفسك كي تُحبّ الآخرين. أما المبدأ الثالث من مبادئ الأنانية فهو: عِش اللحظة ببهجة واحتفالية، حينها ستجد أنّ شيئاً ما قد بدأ في الحدوث من داخلك. سوف تُصبح نقطة انطلاق، وتبدأ عملية عالمية من خلالك.

حيثما يظهر "بوذا" إلى الوجود، تبدأ عملية عالمية. عليك أن تُصبح مُتيقظاً مثل "بوذا"، وهذا كلّ ما تستطيع فعله.

السؤال السادس والأخير:

إنه من "سوامي يوغا شينمايا": **بما أنّ "كبير" يُغني طريق الحبّ، اِعذرني في طرحي سؤالاً شخصياً لم أقوَ على مُقاومة إغراءه: متى كانت المرة الأخيرة التي كانت لك فيها عشيقة، ومتى كانت آخر علاقة عاطفية لك؟**

لقد اختفى، لا يُمكنني رؤيته هنا. كلما طرح سؤالاً، توارى عن الأنظار. في ذلك اليوم كان يجلس في الصف الأول، والآن اختفى.

أعشق جميعكم بما في ذلك الشباب منكم.

بيد أنّ ذلك لن يُرضيه، فهو في حاجة إلى شيء خفي سريّ. من أجل ذلك وعلى نحو خاص من أجلك "سوامي يوغا شينمايا"، أرجوكم، يجب ألا يستمع أحدٌ لهذا، صمّوا آذانكم. إنه أمرٌ خصوصي، ولا بُدّ أن يكون سرياً للغاية.

كانت لدي صديقة عندما كنتُ شاباً، ثم تُوفيَت. عندما كانت على فراش الموت وعدتني أنها ستعود. لقد كنتُ خائفاً، ولكنها عادت. كان اسم صديقتي "شاشي"، وقد تُوفيت في عمر السابعة والأربعين. كانت ابنة أحد الأطباء د. "شارما"، من قريتي، وقد تُوفي هو الآخر. لقد عادت الان في هيئة "فيفيك"، كي تهتم بي. إنّ "فيفيك" لا تتذكّر ما حصل. لقد كنتُ أُنادي "شاشي" بلقب "غوديا"، وقد بدأت اليوم بمناداة "فيفيك" باللقب ذاته أيضاً كي أُضفي الاستمرارية على الأمر.

إنّ الحياة هي دراما عظيمة، ومسرحية كبيرة، وهي تستمرُ من حياةٍ إلى أُخرى.

هذا أمر خاص إلى "شينمايا"، أرجو ألا يكون قد سمعه أيّ أحد.

والآن السؤال الأخير بالفعل:

السؤال السابع:

"أوشو، لقد سمعتُ أنك عندما تمشي، فإنّ قدميك لا تلمسان الأرض. هل لديك ما تقوله عن الأمر؟".

هذا صحيح. عندما أمشي فإنّ قدميّ لا تلمسان الأرض، ولكن لا يُوجد أي شيءٍ مُعجز في الأمر. إنهما لا تلمسان الأرض لأنني انتعل حذاءً.

إذا لم يُرضك ذلك، لأنك ترغب أن يكون مُعلّمك صانع مُعجزات، فإنني كي أُرضيك وحسب، أقول لك إنّ هذا الحذاء مصنوع من الوعي، لو ارتديت حذاء

الوعي، ستشعر أنّ قدميك لا تُلامسان الأرض. إنه أمرٌ بسيط، وليس أمراً مُعجزاً.

لقد سألت: **"هل لديك ما تقوله بخصوص ذلك؟"**. هذا أمر خطير. لقد انتهى الوقت، وليس لديّ ما أقوله بخصوص ذلك، وإذا كان لديّ ما أقوله فسيتطلب ذلك حوالي تسعين دقيقة، والوقت انتهى، إنّ مثانتي مُمتلئة، وأحتاج إلى الذهاب إلى الحمام. اعذرني.

الفصل الثالث

لم يعُد البيت بعيداً جداً

صباح 23 كانون الأول 1976 في قاعة "بوذا"

"تيراث مين ساب باني هاي"
لا يُوجد شيء سوى الماء
في قصور الاستحمام المُقدّسة،
وأنا أعلم أنها عديمة الفائدة،
لأنني استحممتُ فيها.
كلّ الصور لا حياة فيها، إنها لا تنطق،
أعلم ذلك لأنني ناديتُها بصوت عال.
كلّ الكتب المُقدّسة مُجرّد كلمات،
رفعتُ الحُجب، فرأيتُ.
ينطق "كبير" بكلمات التجربة.
وهو يعرف حق المعرفة أنّ كلّ ما سوى ذلك مُزيف.
أضحك عندما أسمع

أنّ السمكة تشعر بالظمأ وهي في الماء:

أنت لا ترى أنّ الحقيقة موجودة في بيتك،

بينما تطوف من غابةٍ إلى أُخرى

بسأم! الحقيقة ها هنا!

اذهب حيث تشاء، إلى المدن المُقدّسة "باناراس" أو "ماثورا"،

إذا لم تجد روحك،

فالعالم مزيفٌ بالنسبة إليك.

إنّ بحث الإنسان عن الحقيقة هو مسألة أبدية. إنها رحلة حج طويلة لا بداية لها، على الرغم من أنّ لها نهاية. طالما بحثنا وبحثنا واستمرّ بحثنا خلال العصور، أحياناً بصورة مُعينة، وأحياناً أُخرى بصورة مُختلفة. إنّ أولئك الذين لا يبدو عليهم أنهم يبحثون عن الحقيقة، يبحثون أيضاً. إنّ وجود الإنسان في حدّ ذاته هو بحثٌ عن الحرية.

تلك هي مُعاناة الإنسان ومجده أيضاً. لا يقوم أيُّ حيوان آخر بالبحث، فالحيوانات الأخرى قانعة بما هي عليه. إنّ الكلب كلبٌ، وهو لا يسعى كي يكون أيّ شيء آخر، ولا يسعى من أجل أن يُصبح شيئاً آخر، فهو راض تماماً، ومُرتاح بوضعه. لا يُوجد لديه رحلة حج، ولا يذهب إلى أيّ مكان، ولا مُستقبل أمامه. تلك هي الحال مع جميع الحيوانات الأخرى.

إنّ الإنسان حيوان غريب الأطوار، والغريب فيه هو أنّه لا يقنع أبداً، ولا ترضى روحه. إنّه يتحرّك، ولا يثبت. إنّه تدفقٌ، ونهرٌ يسعى وراء المحيط، أحياناً على علم، وأحياناً دون هدى، بيد أنّ البحث مُستمر. لقد فُطر الإنسان على أن يكون باحثاً، ويكون ساعياً، ولا يُمكن للإنسان أن يكون خلاف ذلك.

يقول "فريدريك نيتشه": إنَّ الإنسان عبارةٌ عن حبل مُمتدّ بين أبديتين: أبدية الطبيعة، وأبدية الإله. إنّ الإنسان هو الجسر الواصل بينهما، ولذلك لا يستطيع الخلود إلى الراحة، ولا بُدّ له أن يمضي. يُمكنك الاستراحة برهة من الوقت، ولكن لا يُمكن للراحة أن تكون حياتك. يجب عليك أن تمضي، لأنّ الإنسان ليس كينونة وإنما عملية مُستمرة.

هناك كيان عند الكلب، كما أنّه هناك كيان عند الصخرة، ولكن ليس للإنسان كيانٌ بعد. لا بُدّ للكيان من أن يأتي، لا بُدّ للكيان من أن يُزهر، لا بد من الوصول إلى هذه الكينونة. إنّ الإنسان مُتناقض، فهو كائن، ولكنه ليس كائناً بعد. ذلك هو سبب التوتر والمُعاناة والقلق: كيف تكون؟

تُحيط بالإنسانية هاوية دائمة، ويُواجه الإنسان باستمرار تلك الهاوية التي لا قعر لها، ويخاف دائماً من حالة اللاكينونة، لأنّه لم يتكوّن بعد. إنّ الإنسان بمثابة وعد: قد يكون، ولكنه ليس كائناً بعد، وهكذا هناك خوف ورجاء، هناك إمكانية وهناك خشية. قد يحصل، وقد لا يحصل، ويبقى الإنسان غير مُتيقن على الإطلاق.

إنّ عملية البحث عن الحقيقة برمتها يُمكن أن تُقسم إلى أربع مراحل، وأرجو منك أن تتأمل هذه المراحل الأربع، فلا بد أنّك في مكانٍ ما من تلك المراحل الأربع، قد تكون في أحدها، أو تعبر من مرحلة إلى أُخرى.

أدعو المرحلة الأولى "الأدغال"، والثانية "الغابة"، والثالثة "الحديقة"، أمّا الرابعة فأدعوها "البيت".

إنّ "الأدغال" هي حالة النوم العميق، وفي هذه الحالة لا يبحث الإنسان على نحو واعٍ. يعيش أغلب البشر في هذه الحالة. إنّ البحث حاضرٌ فيها، ولكن على نحو غير واعٍ إلى حدّ بعيد، فلم يتحوّل الأمر إلى فعل إراديّ مقصود بعد، وما زال الإنسان يتلمس طريقه في العتمة، دون أن يكون واعياً تماماً لمعنى ذلك، بل رُبّما يكون غير واعٍ حتى

لحقيقة تلمُّسه الطريق، فالأمر يعتمد على المُصادفة. قد يجد المرء أحياناً نافذةً يُطلّ منها على رؤية ما، ولكنه يفقدها من جديد. إنه غير قادر على الاحتفاظ بتلك الرؤى، لأنَّه يُمارس البحث على نحو غير واع. هناك أحياناً شيء يُشرق عليك في الحُلم، وقد يُفتح لك بابٌ أحياناً من خلال علاقة حبٍّ، ثمّ يُغلق، ولكنك لا تعلم كيف فُتح ولا كيف أُغلق من جديد. قد يُحيط بك أحياناً شيء جميل جداً بينما تُراقب غروب الشمس الجميل، وكأنَّ العالم الآخر تغلغل فيك، أو على أقلّ تقدير لامسك، ولكنه يختفي بعد ذلك، ولا يُمكنك حتى أن تثق أنّه كان موجوداً، ولا أن تُصدّق أنّه حصل لك، لأنك لم تكن تبحث بوعي. تُصادف الإله في كثير من الأحيان، وتُقابله في عدة محطات من حياتك، ولكنك تُخفق في التعرّف عليه، لأنّك لم تكن تبحث عنه في المقام الأول.

تذكّر، ما لم تكن تبحث عن الشيء، فلن تتمكّن من رؤيته. تستطيع أن تراه فقط عندما تبحث عنه. رُبّما يمرُّ بك، ولكنك لن تراه ما لم تكن تبحث عنه. كي ترى الشيء لا بُدّ أن تبحث عنه.

إنّ المرحلة الأولى تُشبه الأدغال وهي سحيقة، مُظلمةٌ، رطبةٌ، بدائية، ولا وجود للدروب فيها، ولا حتى لطريق من صنع أقدام البشر، وليس فيها مكان يذهب إليه الإنسان، بل يبقى يتعثر من زاوية مظلمة إلى زاوية مُظلمة أُخرى. يعيش أغلب البشر في الأدغال، أي في حالة العقل اللاواعي. إنّ الناس نيام، كمن يمشي ويسير أثناء النوم.

هذا ما تقوله تعاليم "بوذا"، "المسيح"، "غوردجييف"، "كبير": لا يعيش أكثر الناس، بل يتواجدون فقط، ويُمارسون حياةً فارغةً وحسب. تبدو عليك اليقظة، ولكنك لستَ كذلك. أنت تعيش في ضباب وغمام كثيفين. لقد أضحت حياتك آلية. أجل، تجري الأحداث في حياتك، ولكنها تمرُّ كما تمرُّ الأحداث على الآلة: تضغط الزر، فيشتغل الضوء،

هكذا ببساطة، تضغطِ زراً، فتبدأ الآلة في العمل. يضغط أحدهم زراً فيك، فينفجر غضبك، ويضغط شخصٌ آخر زراً آخر فيك، فتغدو سعيداً. يضغط أحدهم زراً، فيُسيّطر عليك مزاج مُختلف، ولا يُوجد فارقٌ زمنيٌ ولو بسيط بين ضغط الزر وبين ظهور المزاج. إنه أمرٌ آليّ. أنت لستَ سيد نفسك، بل أنت عبد.

اعتاد "غوردجييف" القول إنّ الإنسان أشبه بعربة يكون السائق فيها مخمور، والسيد مُستغرقٌ في النوم داخل العربة، والأحصنة صعبة المراس وتسير حيث تشاء، وكلّ حصان من الأحصنة الأربعة يسير في اتجاه مُختلف. بمقدور أيّ عابر سبيل القفز على العربة و التحكّم بها وتسييرها، بينما السائق مخمور، والسيد يغطُّ في نوم عميق.

هذا هو حال حياتك: يغطُّ جوهرك المكنون في نوم عميق، ووعيك مخمورٌ. إنّ جسدك هو العربة، وعندما يُسيطر عليك نزوة أو رغبة ما، تقودك في الوقت الحاضر، وتأخذك إلى مكان ما وتتركك هناك، ثمّ يأتي هوى آخر، أو رغبة أخرى، وتستمرُّ في التذبذب على هذه الحال، تتعثر بهذه الصخرة، أو ترتطم بتلك الشجرة، وتستمرُّ في إيذاء وجرح نفسك في العتمة. إنَّ حياتك بأكملها عبارة عن كابوس قاتم.

حاول أن تفهم الصفات الأُخرى لهذه الحالة. أولاً، إنها تتوافق مع ما يُسمّيه "كارل غوستاف يونغ" بمُصطلح "اللاوعي الجمعي"، وما يدعوه "سيغموند فرويد" أيضاً "اللاوعي". إنها الحالة الأدنى من الوعي. إنَّ البحث في هذه المرحلة غير مُمكن، ولأنك تعجز باستمرار عن الإمساك بزمام حياتك، فأنت تبقى تحت رحمة المصادفات.

جاءني بعض الأشخاص الذين لم يكونوا في رحلة بحث، هكذا بالصدفة، فقد كان أحد أصدقاءه قادماً ففكر: "حسناً، لماذا لا أذهب وأرى ماذا هناك". رُبّما كان في متجر بيع الكتب، ووقع بين يديه أحد

كتبي، فجذبته صورتي، أو أعجبه عنوان الكتاب، فأصابه الفضول، فأتى إلى هنا. بيد أنّ هذا النوع من البحث هو بحثٌ غير واعٍ إلى حدّ بعيد. أنت لا تُفكّر، ولا تتأمل في حياتك، وكيف يجب أن تكوّن، وماذا يجب أن تكون، وإلى أين يجب أن تمضي.

عندما تستحوذ عليك أيّ رغبة، تُصبح سيّدك. عندما تغضب، يُصبح الغضب سيداً عليك، ويستحوذ عليك بالكليّة. ليس الأمر مُجرّد شخص غاضب، بل تُصبح الغضب ذاته، وسيدفعك هذا الغضب إلى ارتكاب ما تندم عليه، وهنا تكمن المُفارقة: سوف تندم "أنا" مُختلفة على فعل قامت به "أنا" أُخرى، ورغبة أُخرى، حالة أُخرى، مزاج آخر. سوف تُعاني الآن، وتذهب راغباً في طلب المغفرة. إنه شخصٌ آخر، وليس الشخص ذاته. أين هما العينان الحمراوان، الوجه العنيف، وذلك الاستعداد كي تكون قاتلاً أو مقتولاً؟ لقد اختفى كلّ ذلك.

ذات مرة، بصق أحدهم على" بوذا"، وقد كان غاضباً جداً. لا بُدّ أنّه كان كذلك، وإلا فمن الصعب للغاية أن تبصق على "بوذا"، فالأمر يبدو شبه مُستحيل. كيف تجرّأ على فعلها؟ لا بُدّ أنّه كان غاضباً جداً، وفي ثورة عارمة. مسح "بوذا" البصقة بشاله، وسأل الرجل: "هل لديك أيّ شيء آخر تقوله لي؟".

كان الرجل مُحرجاً، ولم ينطق ببنت شفة، بل ذهب مُبتعداً، ثمّ لم يستطع النوم طوال الليل، فجاء في الصباح، وهوى على قدمي "بوذا" وقال: "أرجوكَ سامحني. لقد كان الأمر غباءً مُطلقاً، لقد كنتُ مجنوناً".

قال "بوذا": "لا لم تكن مجنوناً، ولهذا استطعتَ فعل ذلك. لم تكن مجنوناً، فلا تقلق حيال ذلك. لقد كنت غير واعٍ على نحو مُطلق، ولذلك أنت غير مسؤول. من أجل ذلك لا تتأسّف! إنّ ذلك الذي جاء وبصق عليّ كان شخصاً آخر، أنت شخصٌ مُختلفٌ تماماً. كان ذلك الرجل في

ثورة عارمة، وحالٍ من الجنون. هل أنت الذي لمستَ قدميّ مثله؟ كلا، أنتما مُختلفان تماماً، لا يُمكنني إيجاد رابط بينكما".

في مرحلة "الأدغال" يكون الإنسان عبارة عن حشد. إذ يعيش داخلك عدة أشخاص غير مُترابطين، مُجزئين، ولا روح فيك. من أجل هذا اعتاد "غوردجييف" أن يقول شيئاً بالغ الأهمية: يُولد الإنسان بلا روح. إنه يُولد ومعه عدة أنفس، ولكن دون روح. عندما تنصهر هذه الأنفس في بوتقة واحدة، وتتوحّد في وحدة واحدة، عندما تتغيّر كلّ هذه الأنفس كيميائياً وتُصبح وحدةً واحدة، عندها يحظى الإنسان بالروح. عندما تسقط تلك الأنفس في المُحيط، وتتلاشى الانقسامات بينها، وينشأ الواحد، عندها تُصبح لكِ روح. كلَّ الأشخاص لا يملكون روحاً. في لحظة ولادتك لم تكن لك روح، وهو أمرٌ بالغ الأهمية، وشديد الدلالة. لا بُدّ للإنسان أن يُصبح روحاً، ويجمع شتاته الداخلي، لأنّ هذه الأنفس تتصارع فيما بينها.

في مرحلة الأدغال هذه، يهتمّ الناس بالإجابات أكثر من التساؤل. إنهم يرضون على الفور بأيّ جواب سخيف يُعطى لهم. في الواقع، إنّهم لم يطرحوا أيّ سؤال من قبل. لقد اكتفوا بالجواب حتى قبل طرح السؤال. هكذا يُصبح أتباع الديانات المُختلفة. لقد أُعطيتَ الجواب حتى قبل أن تسأل، فأصبحتَ مُتشبثاً بالجواب. ما الذي تعنيه عندما تقول " أنا يهودي، أو هندوسي، أو أتبع "الجاين"؟ ما الذي تعنيه؟ هل طرحتَ السؤال، أم استعرتَ الأجوبة وحسب؟ هل آمنت بـ"المسيح"، "بوذا"، "كريشنا" دون أن تسأل السؤال؟ هذا غباءٌ مُطلقٌ. كيف يُمكنك الوصول إلى الجواب، بينما لم تسأل ولم تتحرَ حتى؟

في مرحلة الأدغال، يُؤمن الناس بالإجابات دون أن يسألوا، فالتساؤل أمر شاق، مُتعب. أما الايمان بأجوبة مُستعارة فهو أمرٌ مُريح ومُناسب.

أن تسأل يعني أن تُعاني، وأنّه يتوجّب عليك السفر، ويتوجّب عليك سبر أعماقك، ولكنك تُفضّل أن تأخذ الجواب وتستعيره وحسب.

يكون الناس في هذه المرحلة واسعي المعرفة إلى حدّ كبير ومثال ذلك الكهنة، القساوسة. بيد أنهم أنفسهم يعيشون في غابة مُظلمة وكثيفة، ومع ذلك يستمرّون في الأخذ بيد الناس إلى أدغال أكثر كثافة وعتمة. في مرحلة "الأدغال" هذه يتعلّق الناس بالدنيا، على الرغم من أنهم يتظاهرون بالتديّن. إنهم يتظاهرون، فيذهبون إلى الكنيسة، وإلى المعبد، وإلى الأماكن المُقدّسة، ولكنّ ذلك كلّه شكليٌّ، فهم لا يعنون ما يفعلون. إنهم يُؤدّون الصلوات تجاه الإله بألسنتهم، ولكنهم لا يعنون ذلك، والأمر على الأغلب إجراءٌ احترازيّ من باب الاحتياط، رُبّما كان هناك إله، إنّ الأمر عبارة عن "رُبّما"، وهو في الغالب مظاهر اجتماعية. إذ أنّه من المُستحسن أن تظهر بمظهر المُتديّن.

إنّ طقوس يوم الأحد أمر جيدّ جداً، فهي تمنحك الاحترام. هؤلاء الأشخاص ليسوا باحثين، وهم مُتعصبون للغاية، لأنهم خائفون. إنهم يعلمون أنّ معارفهم مُزيفة، مُستعارة، رخيصة، ولهذا السبب تراهم خائفين للغاية. إذا تفوّه أحدٌ بشيء ضدّهم، يتهجّمون عليه فوراً، لأنه يخلق عندهم الشكّ، في حين أنّهم لا يُريدون أيّ تشكيك، ولا يرغبون في أيّ شكّ، ولا يُريدون أيّ أسئلة. إنهم يُريدون أن يتشبثوا بالمُعتقدات المُريحة التي وجدوا عليها آبائهم، أو المجتمع، أو الدولة. إنّهم لا يُريدون أن تتمّ زلزلتهم. إنّهم يعيشون في عالم مُزيف من الكلمات والنظريات والمفاهيم.

هذا هو نموذج الشخص الذي تدعونه المُستقيم، السّوي، التقليدي، المُلتزم. إنّه يعيش في الماضي، ولا يتطلّع قطّ إلى المُستقبل، ولا ينظر إلى الحاضر. إنه يعيش في الماضي الذهبي، مع أنّ الأيام الصادقة قد

ولّت، تلك الأيام عندما كان "المسيح" يسير على وجه البسيطة، أو عندما كان "بوذا" يسير على وجه الأرض، أو عندما كان "كريشنا" يعزف على المزمار. إنّ الزمن الذهبي بالنسبة إليه هو الماضي دائماً، كما أنّ مدينته الفضلى موجودةٌ دائماً في الماضي، "لقد كانت هناك مدينة طوباوية، ولكننا هبطنا منها". إنّه يُؤمن بحالة الانحدار والهبوط. إنه يعتقد أنّه لا يُوجد مُستقبل الآن، وهو لا يتطلّع مُطلقاً إلى المُستقبل، بل يتشبث بالماضي. إنه رجلٌ ميت، يتمسّك بمُعتقدات ميتة، ومفاهيم ونظريات ميتة. ليس في دينه حركية، ولا حيوية. بل إنّ دينه ثابتٌ، مُنظم، ميت. إنّ دينه بمثابة جثة هامدة.

يُؤمن هذا النوع من الأشخاص بالكاهن، الأسقف، البابا، "الشانكارشاريا"، ولا يُحاول البحث في أيّ مكان آخر.

لقد سمعتُ.....

قام خوري في كنيسة صغيرة في "أوكانساس" في أحد الليالي بالفرار بأموال الكنيسة كلّها، فخرج مسؤول الأمن المحلي باحثاً عنه، ثمّ عاد بالمجرم يجرّه من ياقته بعد أسبوع، قال مسؤول الأمن مُتجهماً: "ها هو الثعلب الماكر، آسف للقول إنّه قد بدد أموالنا بالفعل، ولكنني جررته إلى هنا، كي نجعله يُمارس الوعظ تعويضاً عنها".

إنّ هذا النوع من رجال الدين الآن يفي بالغرض، لأنّ الدين عنده هو نوع من الشكليات. حتى اللصّ يُمكن إجباره على الوعظ. لا أحد يكترث أبداً بالكاهن، بكيانه، بإدراكه. بل إنّ المطلوب منه أن يكون مُتمرّساً، ويعرف ما الذي يقوم به. هذا النمط من التفكير، أي تفكير الأدغال، شعائريٌّ إلى حدّ بعيد، فالطقس هو الدين، إذ يعتقد الكاهن أنّ ترديد "المانترا" كاف. لم يصل الكاهن بعد إلى البيت، ولكنه ماض في إعطاء كلمات يُرددها أتباعه "المانترا غورو"، ويستمرّ في توزيع المفاتيح،

بينما لم يتمكّن بعد من فتح بابه. إنه جاهلٌ بقدر جهل الأشخاص الذين يُرشدونهم، ولكنه يحظى بشيء واحد، ألا وهو الامتيازات المُستمدة من العصور الماضية. يستطيع الكاهن الهندوسي أن يدّعي أنّه ينحدر من أسرة من الكهنة تمتدّ إلى خمسة آلاف سنة؛ لأنّ ذلك يمتلك قيمة شرائية، وهذا كلّ ما في الأمر. بإمكان الهندوس الادعاء أنّ "الفيدا" هو أقدم كتاب مُقدّس في العالم، لأنهم يعتقدون أنّ كونها قديمة يجعلها قيّمة للغاية. في الحقيقة، كلّما كان الكتاب أقدم، فإنّ ذلك أدعى أن يكون ميتاً أكثر.

يجب أن يكون الدين غضاً، حديث السنّ، مثل ورقة النبات الجديدة، أو مثل حبات الندى في الصباح على أوراق العشب. يُولد الدين في كلّ لحظة، ولا علاقة له بالماضي. إنّ الإنسان المُتدين حقيقة يخرج باحثاً عن شخص مثل "بوذا" على قيد الحياة، أو شخص مثل "المسيح" حيّ يُرزق.

بيد أنّ نموذج الأدغال لا يذهب إلى أيّ مكان أبداً. إنّه يتشبث بالكاهن، بالدين، بالكنيسة التي ولد فيها مُصادفة. إنّه يبقى هناك، يعيش فيها ويموت فيها.

لقد سمعتُ.....

حسب مجلة هوليوودية، كانت هناك نجمة سينمائية تتحضّر من أجل الزواج للمرة السابعة أو الثامنة. ارتبك الكاهن المُوكّل رسمياً بعقد الزواج بسبب الأضواء والشهرة، فأضاع الصفحة المطلوبة في كتاب الطقوس.

همست له النجمة: "الصفحة الرابعة والثمانين، أيها الأبله!".

إنها تعلم الآن بحكم زواجها سبع أو ثمان مرات، في أيّ صفحة، فتقول للكاهن: "الصفحة الرابعة والثمانين أيها الأبله". هذه الدين

الشعائري هو مُجرّد دين آلي. يعرف الكاهن ذلك لأنه يُكرره كلّ يوم، وتغدو أنت مُلماً به رويداً رويداً، لأنك تُكرره على نحو يوميّ. يعتمد الأمر على التكرار. إنّه ليس كشفاً، وليس معرفتك، ولا علاقة له بك، وهو مُنفصل عنك تمام الانفصال. إنه لم يُولد معك، ولم يُولد بعد في داخلك. يبقى الأمر سطحياً.

لقد سمعتُ....

تُوفيت خادمة عجوز، فذهبت صديقتاها من أجل عمل شاهدة قبر لها.

سأل الحفار: "هل لديكما عبارة مُناسبة من أجل النقش على الضريح؟".

أجابت السيدة: "نُفكّر في التالي": "ولدت عذراء، عاشت عذراء، وتُوفيت عذراء".

أجاب الحفار: "لماذا لا تُوفران النقود؟ فقط اكتبا: عادت غير ملموسة".

هذا ما يحصل للإنسان الذي يعيش في مرحلة الأدغال: إنه يأتي إلى هنا، ولا يعيش أبداً، فهو يرى الحياة خطيرة، ولا يُمكنه تحمّل تبعاتها. إنّ الحياة مُغامرة في تجربة الجديد، بينما يتشبث هو بالقديم. إنّ الحياة مجهولة وغير معروفة، وهو لا يرغب في المُخاطرة بمعارفه. لقد عاد دون أن يُلمس. إنه يأتي ويعيش ويموت، ولكنه في الحقيقة كأنه لم يأت ولم يعش ولم يمت أبداً. إنّ وجوده بأكمله هو عبارة عن نوم عميق. إنَّه لم يستحق بعد أن يكون انساناً.

هذا النمط من الأشخاص هو مَن تدعونه "العنيد"، ولديه دائماً نظرة "أنا أقدس منك"، وهو أخلاقيّ إلى حدّ بعيد. إنّه يعتقد أنّه أخلاقيّ للغاية،

في حين أنّه يجهل ألف باء الأخلاق. إنّه يتشبث بالرموز الاجتماعية، ولا يتخطّاها قيد أنملة. إنّه يُحافظ على القواعد، ليس لأنّه أخلاقي، فذلك الذي يتمسّك بمجتمع لا أخلاقي، كيف له أن يكون أخلاقياً؟

لا بدّ أن يكون الإنسان الأخلاقي انطوائياً، ولا يُمكن للإنسان الأخلاقي أن يكون اجتماعياً، فلم يكن ذلك مُمكناً على الأقل حتى اليوم. نستطيع أن نأمل أنّه في يوم من الأيام في عالم المستقبل، قد يُصبح المُجتمع أخلاقياً بحيث لا يضطرّ الإنسان الأخلاقي أن يكون انطوائياً. بيد أنّ ذلك لم يتحقق حتى الآن، وبقي حتى اليوم كلّ شخص أخلاقي شخصاً انطوائياً.

كان المسيح انطوائياً، وكذلك كان "بوذا"، "كبير". لماذا يكون الأشخاص الأخلاقيون انطوائيين؟ لأنّ المجتمع فاسد ولاأخلاقي. إذا تكيّفتَ مع المُجتمع، ستُصبح فاسداً. كيف لك أن تتأقلم مع مجتمع لاأخلاقي، وتبقى أخلاقياً؟ أمّا الأخلاق التي يحضّ عليها المجتمع فهي ليسَت سوى هراء، ومُجرّد تزييف، واستعراض، إنها ليست أخلاقاً حقيقية. إنه يدّعي الأخلاق، ويحتفظ في الخفاء بكلّ ما هو فاسد.

لا ينفكّ المسيحيون يعظون: أحبب عدوك، بيد أنهم خاضوا من الحروب ما لم يخضه أحدٌ غيرهم، وقتلوا ما لم يقتله أحدٌ غيرهم. إنَّ تاريخ المسيحية برمته مُلطخ بالدماء. إنَّ كلمة "إسلام" في حدّ ذاتها تعني السلام، ولكنَّ المُسلمين لم يكونوا مُسالمين يوماً.

ببساطة، يبدو تساهلنا مع هذه الأشياء في العالم أمراً غير قابل للتصديق. كيف تحمّلنا، وكيف نعجز عن رؤية حقيقتها! لقد كانت الكنيسة أحد هذه المصائب، ولكنها لا تزال حامية الحمى، وتستمرّ في إعلان ما يجب على الإنسان القيام به. بيد أنّ كلّ ما تحتويه هذه الإعلانات من كلمات تدلّ على أنّ الإنسان في مرحلة الأدغال هو إنسان مخدوع.

على سبيل المثال، أصبح العالم اليوم مُكتظاً جداً، وأصبح الإجهاض عملاً أخلاقياً، أمّا الاستمرار في إنجاب الأولاد فهو العمل اللاأخلاقي، لأنّ العالم سوف يكتظّ أكثر بالسكان، ويكون هناك المزيد من المجاعات والحروب والفقر. وعندها تكون أنت السبب في ذلك. بيد أنّ البابا يقول باستمرار إنه من غير المسموح للكاثوليكي بالإجهاض، وأنه خطيئة. ينطبق الشيء ذاته على رجل الدين الهندوسي "الشانكارشاريا"، الذي يقول باستمرار: "لا للإجهاض".

إنّ الاستمرار في زيادة سكان هذا العالم اليوم، سيكون أحد أكثر الأمور لاأخلاقية، فهذا العالم مُكتظٌ سكانياً أصلاً، وإذا أنجبتَ طفلاً إلى هذا العالم، فأنت لا تفعل شيئاً خاطئاً بحقّ العالم وحسب، بل بحقّ ابنك هو الآخر، فأنت ترميه إلى عالم بائس للغاية. سوف يكون مُستقبله تعساً. بيد أنّ العقلية القديمة غير واعية إطلاقاً للواقع الجديد، إذ أنهم يستمرّون في قول هذا الهراء. رُبّما كانت تلك الكلمات تحمل معنىً ذات يوم، أما الآن فلا.

لا بُدّ للدين الحقيقي من أن يتغيّر بتغيّر الأزمان. بيد أنّ هذا النمط من البشر عنيدٌ جداً، ولا يتغيّر أبداً، وليس عنده استعداد من أجل التغيير. إنّه يُعارض التغيير بشدة، وهو لا ثوري، كما أنّ هذا النمط من الأشخاص مُتعصب وفاشي، إنّه على استعداد كي يكون عنيفاً في أيّ لحظة. إنّ السبب الكامن وراء ظهور العنف لديه هو أنّه غير واثق بنفسه، وغير واثق بدينه. إنّ دينه ليس حصيلة تجربته الخاصة، فكيف يكون واثقاً من نفسه؟ إذا ناقشته، فإنّه يُقحم السيف في الحوار على الفور، فحواره هو حوار السيف دائماً. هذا النمط من الأشخاص غير منطقي إلى حدّ بعيد، لكنه يُخاطبك كما لو كان منطقياً جداً. إنّ عقلانيته ليست سوى تبريرات وتسويغات، وليست منطقاً سليماً.

تذكّر وراقِب: لا بُدّ أن تكون هذه الأدغال موجودة في مكان ما في روحك. قد تزيد أو تنقص من شخص إلى آخر، ولكنّ الفارق يكون في الكمّ والدرجة، بيد أنّ هذه الأدغال موجودة داخل كلّ شخص. إنّه اللاوعي. إنّه الليل المُظلم داخلك، ومن ذلك الليل المُظلم يتولّد عدد من الغرائز، الدوافع، الهواجس، والحماقات، وتستحوذ عليك وعلى وعيك الهش. يُشكل اللاوعي لديك تسع وتسعون في المئة، بينما يُشكل الوعي واحداً بالمئة، وهذا يعني أنه لا يُمكنك الاعتماد عليه. راقِبه ولا تُساند اللاوعي. أبقِ تعاونك بعيداً، لا تتعاون معه. عندما يحدث معك أمرٌ ما، ويبدأ اللاوعي لديك في الاستحواذ على وعيك، كُن على حذر، وكُن يقظاً.

على سبيل المثال، يتولّد الغضب من اللاوعي، يأتي الدخان من اللاوعي، ثمّ ينتشر إلى الوعي، ثمّ تُصبح ثملاً به. عندها يُمكنك فعل شيء لم تفعله من قبل بحواسك. انتظِر. هذا ليس أوان النطق بأيّ كلمة، أو القيام بأيّ شيء. أغلق بابك، اجلس بصمت، راقِب الغضب وهو يتولّد، وستجد المفتاح. إذا راقبتَ هذا الغضب وهو ينشأ، فسترى كيف يخمد الغضب شيئاً فشيئاً. لا يُمكن أن يستمرّ إلى الأبد، فالغضب يحتوي على كم محدود من الطاقة، وإمكانية مُعينة. عندما تخور قواه، سيتراجع، ويُعاود استقراره داخل ذاتك، وتشهد تغييراً نوعياً في كيانك. لقد أصبحتَ أكثر وعياً، وتمّ استغلال الطاقة التي كانت على وشك أن تُهدر وتتحوّل إلى غضب وتُصبح مُدمرة من قِبل وعيك. يتوقّد الوعي الآن على نحو أكثر إشراقاً من الطاقة ذاتها.

هذا هو الأسلوب الداخلي الذي يُمكن من خلاله تحويل السمّ إلى رحيق. عندما تشعر برغبة جنسية قوية... أنا لستُ ضدّ الجنس، ولكنني ضدّ شهوة الجنس، ودعني أُوضّح الفرق: عندما تشعر برغبة جنسية قوية تُسيطر عليك، فليس هذا أوان فعل أيّ شيء. أغلق أبوابك، تأمّل

في شهوة الجنس عندك. دعها تظهر، وتخرج من الليل المُظلم القابع في داخلك. دعها تخرج من الأدغال وتنتشر. راقبها، فقط راقِب، وكُن شعلة وعي ساكنة. سرعان ما ترى كيف تعود أدراجها من جديد، وكيف يتوهّج وعيك أكثر من أيّ وقت مضى. لقد قمتَ باستيعابها، لقد تحوّلت إلى رحيق.

أنا لستُ ضدّ الجنس، عندما تشعر بالورع، بالمحبة، سارع إلى الجنس، فلا خطأ في ذلك، ولكن لا تقع في شرك الشهوة. ولاحِظ الفارق: عندما تشعر بالحُبّ، يمتلك الجنس نوعية مختلفةً تماماً. عندما تشعر بالسعادة، والرغبة بالاحتفال، وترغب في مُشاركة هذه الطاقة مع مَن تُحبّه، قُم بمُمارسة الحُبّ. بيد أنّ هذه ليست لحظة شهوة، إنه أوان الدفء والحميمية الشديدين، وأوان الحُبّ والمشاركة.

ألم تر ذلك؟ غالباً ما يُمارس الناس الحُبّ مع أزواجهم أو زوجاتهم بعد الشجار. لقد أصبح ذلك طقساً. أولاً يتشاجران، يغضبان، ثم تتولّد الشهوة فجأة. إنّ الغضب يُغذي الشهوة. هناك من الناس مَن لا يشعر بالشهوة ما لم يتمّ ضربه من قِبل زوجه.

لا بُدّ أنك سمعتَ عن "دي ساد"، الذي كان يحمل كلّ أدواته معه في حقيبته. مَن يدري أين يُمكن أن يعثر على امرأة يُحبّها؟ لقد كانت أدواته عبارة عن أشياء يُعذّب بها نفسه، أو يُعذب بها المرأة، فلا شهوة دون تعذيب. عندما يتمّ جلدك، تظهر الشهوة فجأة.

قيل أنّه كانت هناك نسوةٌ أحببن "دي ساد"، ولم يتمكّنّ بعدها من حُبّ أحد غيره، لأنه كان يجلدهن في البداية كي يشعرنَ بالإثارة في أجسادهنّ، ويغضبنَ ويصرخنَ ويركضنَ، كان يجلدهنّ من أجل الشهوة، ثمّ يُمارس الحُبّ معهنّ. بالطبع، هذه هي طريقة التنقل في الأدغال.

على النقيض الآخر تماماً كان هناك "مازوخ"، الذي كان يجلد نفسه

ويُجبر المرأة على جلده. فقط عندما يُجلد، ويصرخ ويغضب ويحمر وجهه من شدة الغيظ، فقط عندها يُصبح قادراً، وإلا بقي عاجزاً.

أنتم تقومون بالشيء ذاته على صعيد مُصغّر دون وعي: إذ يتشاجر الزوجان، ويتجادلان، ويتذمران، ويُثيران غضبهما، ثمّ يُمارسان الحُبّ، ثمّ يخلدان إلى النوم.

هذا هو السير في الأدغال. هذه هي الشهوانية، وليس الجنس الطبيعي.

إنّ الجنس الطبيعي تأمليٌّ أكثر. هناك حرارةٌ أقل، ودفءٌ أكثر. بينما الشهوة كالحمى، حالة من الجنون، والحماقة. إنّ الدفء معيار حالة الحُبّ. إذا استطعتَ مُمارسة الحُبّ وأنت بكامل وعيك، فإنّ مسيرة هذا الحُبّ ستُساعدك على أن تكون أكثر وأكثر وعياً، وتكون أكثر فأكثر قرباً من جوهرك.

عليك أن تسحب نفسك من الأدغال.

إنّ المرحلة الثانية هي "الغابة". إنها تشبه الأدغال إلى حدّ كبير، ولكن مع فارق بسيط: يُوجد في الغابة بعض الدروب، دروب خطها المشاة، وليست بالطرقات السريعة الواسعة. أمّا الأدغال فهي تفتقر حتى إلى هذه الدروب، فهي بدائيةٌ للغاية، ولم يظهر الإنسان فيها بعد، وهي تكاد تكون حيوانية. أمّا الغابة فقد دخلها البشر، ويُوجد فيها بعض دروب المشاة، ويُمكنك أن تجد فيها سبيلاً.

تُشبه الغابة الحلم. أما الأدغال فهي كالنوم. إنها تُشبه ما دون الوعي، وأرضية الشفق، فلا هو ليلٌ ولا نهارٌ، فقط في المُنتصف. لا زالت الأشياء ضبابية، ولكنها ليست مُظلمة. بإمكانك أن ترى بعض الأشياء، وتتحرّك قليلاً، وتحظى بقدر محدود من الوعي. إنها أرض الحالمين، "الهيبين"، ومَن يُسمُّون الباحثين المُتدينين، مُدمني المخدرات، الذين

يُحاولون تلمس أيّ طريق، بأيّ وسيلة من الوسائل، ويُحاولون إيجاد طرق مُختصرة من أجل الخروج من الغابة. في هذه المرحلة يبدأ البحث بطريقة مُتذبذبة جداً، بيد أنه بدأ على الأقل، وهذا أفضل من الأدغال.

إنّ "الهيبي" أفضل من الشخص السويّ، وأفضل من الشخص المُستقيم، فهو على الأقل يبحث. رُبّما يسلك المسار الخاطئ أحياناً، وقد يُصبح مُدمن مُخدرات في خضم بحثه عن التأمل، لأنه يُمكن للمُخدرات أن تُعطي شعوراً مشابهاً، وتجربة مُشابهة إلى حدّ مُعين، لكنه يبحث ويتحرّك على الأقل. رُبّما يرتكب أخطاء لكنه يتحرّك. أما الإنسان في الأدغال، فهو لا يتحرّك على الإطلاق، رُبّما لا يرتكب أخطاء، ولكنه ثابت لا يتحرّك.

إنّ الثبات وعدم التحرّك هو أكبر خطأ يُمكن أن يقع فيه الإنسان. تحرّك! الحياة عبارة عن خطأ وصواب، لا بُدّ للإنسان أن يتعلّم من خلال أخطائه.

في الحقيقة تنفتح الكثير من الطرق في المرحلة الثانية، فيُصاب الإنسان بالحيرة. إنّها فوضويةٌ للغاية، أمّا الأدغال فهي مُستقرة جداً، وكلّ شيء فيها واضح. على الرغم من الظلمة، يبقى المعتقد واضحاً، هذا هندوسيّ، وذاك مسيحي، والأمور واضحة. يذهب أتباع دين إلى كاهنهم، ولديهم كتاب مُقدّس خاص بهم، وكلّ شيء جليّ. إنّ المكان مُعتمّ، لكنّ الأمور واضحة، والناس ليسوا في حيرة من أمرهم. إنهم أموات، ولكنهم ليسوا مُرتبكين. مع الحياة يبرز التشويش والفوضى، ولكن من الفوضى تُولد النجوم.

يندرج تحت النموذج الثاني الشعراء والرسامين والفنانين والموسيقيين والراقصين، وجميعهم ثائرون. إنّ النموذج الأول مُتعصب، بينما الثاني ثوريّ. إنّ النمط الأول تقليدي، أما الثاني فهو طوباويٌّ. يعيش الأول

في الماضي بينما يعيش الثاني في المُستقبل. بالنسبة إلى الأول فقد ولّى العصر الذهبي، أما بالنسبة إلى الثاني فهو قادمٌ لا محالة، وهو يتطلّع إليه. إنه يشبه الأحمق في أوراق اللعب "التاروت" التي تُستخدم من أجل قراءة الطالع، فهو يتطلّع إلى الأفق. إنه يقف على حافة المُنحدر، بينما تتدلى إحدى قدميه فوق الهاوية. بيد أنه سعيدٌ للغاية، ولا ينظر إلى الأسفل، وإنما ينظر نحو السماء إلى النجوم البعيدة. لديه الكثير من الأحلام. إنّه على حافة الموت، ولكنه غنيٌّ بالأحلام. إنّ الأمر خطيرٌ. بيد أنك إذا سألتني أيهما تختار، أقول لك اختر الثاني: كُن الأحمق، وإياك أن تكون العالِم الخبير. من الأفضل أن تَكون الأحمق وتُخاطر، على ألا تُخاطر وتبقَى قانعاً بالهراء، والمعرفة المستعارة. إنّ الثاني أبله وأحمق. لديّ اسم خاص بالمرحلة الثانية، فأنا أدعوها "أرض كاليفورنيا"، أجل إنّها "كاليفورنيا" الروح البشرية، حيث يُوجد متجر روحاني هائل، يُوجد فيه كلّ أنواع الأساليب، وكلّ أنواع الخرائط والأدلة.

هذه هي اللحظة التي يبدأ فيها الإنسانُ البحث، فالإنسان ليس قانعاً بالكنيسة التي ترعرع فيها؛ فيبدأ في التحرّك ويُجرّب الطرق الغريبة، وغير المألوفة. هذا هو أوان تحوّل الإنسان إلى تلميذ يبحث عن أستاذ. نعم لم يتعمّق البحث بعد، ولكنه بدأ للتوّ. لقد نبتت البذرة، ولكن لا يزال الشوط الذي عليه أن يقطعه طويلاً جداً. إنّ الدرب طويلٌ، ولكنّ الإمكانية قائمة.

إنّ النموذج الأول ميت، أمّا النموذج الثاني فهو مُفعمٌ بالحياة إلى حدّ خطير. إنّ النمط الأول مُتطرف من جهة، والثاني مُتطرف من الجهة المُقابلة. ليس هناك في النمط الثاني توازن كذلك، لأنّ التوازن يأتي في المرحلة الثالثة. يتمسّك الأول بالحبر على الورق، بينما يتمسّك الثاني بالعدم، إنّه ينتمي إلى اللامكان، إنّه يتحرّك وحسب، إنّه مُتسكّع. إنّ الأول هو ربّ البيت، أما الثاني فهو مُتشرّد. بيد أنّ الثاني يُشبه الكرة

المُتدحرجة، لا تعلق به الطحالب. إنَّه لا يصل إلى جوهره الخاص، بل يتنقل من أستاذ إلى آخر، ومن كتاب إلى آخر.

ببساطة يؤمن الأول بكتابه، بينما يتفتح الآخر على كلّ الكتب في العالم. إنَّه يقرأ الكتب المُقدّسة، فتُصيبه الحيرة، ويُصبح مُشوّش الذهن، ولا يستطيع أن يضع الأمور في مواضعها.

إنّ الأول بيّن واضح، في حين أنّ الثاني أقلّ بياناً. هل سبق لك أن تحدّثتَ مع "هيبي"؟ يصعب فهم ما يقوله، وعندما يعجز عن فهم ما يتفوّه به يقول: "أتعلم؟". إنَّه لا يعرف نفسه، ويسألك: "أتعلم؟ أترى؟" وهو في حدّ ذاته لا يرى أيّ شيء، وعوضاً عن التعبير بالكلمات، يلجأ إلى التعبير بالأصوات. يبدأ في استعمال أصوات الأطفال، ويُصبح أقلّ بياناً.

إنّ الأول عقلاني جداً، ويعيش في رأسه، بينما الثاني يتحرّك في اتجاه القلب، ويُصبح أكثر من النمط الشعوري. إنّ الأول غير واع، لكنه يعتقد أنّ تفكيره هو وعيه. بينما لم يتوصّل الثاني بعد إلى مركز الشعور، وهو يظنّ أنّ الانفعال والعاطفة هما الشعور.

يمكن أن يبكي "الهيبي"، أو يضحك، فهو غريب الأطوار، ومجنون، لكنّه يبقى أفضل من الأول. إنّ الأول سياسي، أما الثاني فهو غير سياسي. يُؤمن الأول بالحرب بينما يثق الثاني بالسلام. يُكدّس الأول الأشياء، أما الثاني فهو يُحبّ الأشخاص، وهو أمرٌ جميل. يُؤمن الأول بالزواج، أمّا الثاني فهو يُؤمن بالحُبّ. يعيش الأول حياة مُستقرة، بينما لا يدري الثاني ما يحمله له الغد.

من الجيد أنّ الأمور بدأت تتحرّك. نعم قد تتحرّك في الاتجاه الخاطئ، ولكن من المُحتمل أن تتحرّك في الاتجاه الصحيح أيضاً. إنّ الحركة مفيدةٌ، وكلّ ما تحتاجه الآن هو التحرّك في الاتجاه الصحيح. لقد بدأ الأمر وكلّ ما تحتاجه هو معرفة الاتجاه.

إنَّ الأول دنيويّ للغاية، يثق بحسابه البنكي، والتأمين على الحياة، وهو جشِعٌ للسلطة والمال. أما الثاني فلا يُؤمن بالضمانات، فهو يثق بالحياة أكثر من ثقته بالتأمين على الحياة. يُؤمن بالحُبّ أكثر من الأمان الذي يمنحه لك حسابك البنكي. لا ينصبُّ تفكيره على المال، ولا يكنز المال. إنه ليس أخلاقياً بالمعايير ذاتها التي يُعتبر فيها الأول أخلاقياً، لكنه بدأ في اكتساب نوع جديد من الأخلاقيات: أخلاقية ثورية، أخلاقية شخصية. إنَّ أخلاقيات النمط الأول اجتماعية، بينما أخلاقيات الثاني شخصية. تعتمد أخلاقيات النمط الأول على التكيّف الاجتماعي، أما أخلاقيات الثاني فهي تعتمد على الضمير. إنه ينظر حوله، ويفعل ما يُمليه عليه إحساسه. إنه يقوم بما هو خاصّ به، إنّه فرديّ.

إنَّ الأول جمعيّ. فاللاوعي جمعيّ، بينما ما دون الوعي فرديّ. ألم تُلاحظ؟ عندما تحلم، أنت تحلم بمُفردك، ولا يُمكنك مُشاركة حُلمك مع أحد، فهو أمرٌ فرديّ، شخصيّ. لا يُمكنك حتى دعوة زوجتك كي ترى حلمك. رُبّما تنام إلى جانبك على الجانب الآخر من السرير، ولكن لك حلمك ولها حلمها. كلّ شخص يهتمّ بأموره. من أجل هذا أُسمّي هذه المرحلة بمرحلة "دون الوعي"، أي حالة الحُلم.

لا يهتمّ الأول بالتساؤل أو السؤال، بل يهتمّ بالإجابة. لدى الهندوس إجابات هندوسية، ولدى اليابانية إجابات يابانية، وهكذا دواليك. أما الثاني فلم يزل غير مُهتمّ بالسؤال، ولكن لديه الكثير من الإجابات. ليس لدى الأول سوى إجابة واحدة، بينما لدى الثاني الكثير من الإجابات. لم يحتل السؤال بعد الأولوية عند النوع الأول، أما الجواب فله الأولوية، أما الثاني فلديه اليوم الكثير من الإجابات. هذا جيد، وهذا مريح. ليس بمقدور الثاني أن يكون عنيداً، ولا يُمكنه أن ينفي على نحو قاطع، ويقول إنَّ الإنجيل على خطأ فقط لأنّه هندوسيّ، ولا يُمكنه الادعاء على نحو قاطع أنَّ "الغيتا" على خطأ فقط لأنّه مسيحيّ. كلا، لقد أصبح أكثر إنسانيةً،

أكثر عالمية. لقد اطلع على "الإنجيل" و"الغيتا"، ورأى في طياتهما لمحات من الحقيقة، وأصبح لديه الكثير من الإجابات.

إنّ الأول عقائديّ ولاهوتيّ ؛ بينما الثاني فلسفيّ.

إنّ المرحلة الثالثة هي "الحديقة".

إنّ الحديقة هي مرحلة اليقظة، حيث يستيقظ الإنسان. المرحلة الأولى هي النوم، والثانية هي الحُلم، والثالثة هي اليقظة. يُسمّي الهندوس المرحلة الأولى "سوشوبتي"، والثانية "سوابهانا"، والثالثة "**جاغراتي**". إنه اليوم واعٍ، يقظ، وقد بزغ فجر يومه. لم تَعُد الكتب والأساتذة مُهمّين، فقد وُجد المُعلّم.

يُؤمن الأول بالكاهن، أمّا الثاني فهو يسير على غير هدى: ليس لديه بوصلة، وقد فقد الاتجاه، إنّه يذهب إلى أيٍّ كان. إذا قمتَ بتدريب كلب، وأطلقتَ عليه اسم "غورو ماهراجا"، فسيتبعه. فقط قُم بالدعاية، وسترى كيف يُصبح للكلب أتباعاً. يُمكن للثاني أن يتبع أيّ "غورو ماهراجا"، وهو مُستعدّ لأن يجلس عند قدميّ أيّ كان، إنّه جاهزٌ أكثر من اللازم. ليس الأول جاهزاً على الإطلاق، أما الثاني فهو جاهزٌ أكثر من اللازم. بالنسبة إلى الأول فلا مجال أبداً أن يجلس عند قدميّ أحد عدا كاهنه. أما بالنسبة إلى الثاني يبدو الجميع كهنة. إنّ عينيه شديدة التقلّب. بإمكانه أن يقصد أيّ أحد، كلّ مَن يدّعي، كلّ من يستطيع أن يصرخ عالياً: "أجل، سأكون دليلك، أنا أستاذ البشرية، أنا كذا، وكذا". إنّه مُستعدّ للجلوس عند قدميّ كلّ مَن يستطيع ادعاء ذلك.

أما الثالث فهو يفقد اهتمامه بالأساتذة، إنّه ليس تلميذاً. إنّه مهتمٌّ بالتواصل الشخصي، ومهتمٌّ بالمُعلّم، ويرغب في أن يُصبح مُريداً، ولكنه لا يأبه بما يقوله المُعلّم، إنّه أكثر اهتماماً بالحالة العاطفية التي يخلقها المُعلّم حوله. إنّه ليس مُهتماً بعقيدة المُعلّم وفلسفته، بل مُهتمّ بكيانه.

عندما ينصبُّ اهتمامك على كيان الإنسان، وتنظر مُباشرة إلى جوهره العميق، وتبدأ في الإحساس بحضوره، فقط حينها تستطيع أن تكون مُريداً. أنت لست في سياق البحث عن جواب فيلسوف ما، فقد أصبح السؤال: "مَن أكون؟" مُهمّاً الآن. إنّ النمط الثاني مُستعدّ للتعلّم، أما الأول فليس مُستعداً، بينما الثالث مُستعدّ كيلا يتعلّم. دعني أُكرر ما قلته: الأول ليس مُستعداً للتعلّم، فهو عنيد، ويعتقد أنه يعرف مُسبقاً. أما الثاني فهو مُستعدّ لأن يتعلم من أيِّ مصدرٍ، وهو يتعلّم الكثير من الأمور سواء كانت مُتناقضة، سخيفة، جيدة، سيئة، وبالتالي تُصيبه الحيرة.

أما الثالث فهو مُستعدّ لئلا يتعلّم، فهو لا يبحث عن المعرفة. إنه يقول: "أبحث عن شخص قد وصل. لن أهتمّ إذا كان ما يقوله صحيحاً من الناحية الجدلية، أو من الناحية الفلسفية. أنا أرغب في أن أحظى بعلاقة حميمية".

ليست العلاقة بين الأستاذ والتلميذ شخصية، أمّا العلاقة بين المُعلّم والمُريد فهي علاقة شخصية، فهي علاقة حُبّ. ينبغي على الإنسان أن يشعر، ويكون في حضرة المُعلّم، ويُراقب. يجب ألا يُقحم دماغه في الأمر، بل يُنحّيه جانباً، عليه أن ينظر مباشرة ويشعر.

لقد اعتاد أحد مُعلّمي "الزن" أن يقول: "عندما وصلتُ إلى مُعلّمي، جلستُ إلى جانبه ثلاث سنوات دون أن ينظر إليّ حتى. بعد مضي ثلاث سنوات أُخرى، نظر إليّ وكان ذلك فرحة عظيمة. ثمّ مضت ثلاث سنوات أُخرى، وفي أحد الأيام ضحك لي، وابتسم، وكان ذلك بركة منحني إياها. مرّت كذلك ثلاث سنوات، وفي أحد الأيام ربّت على رأسي، فكان ذلك أمراً عظيماً لا يُصدّق. مرّت ثلاث سنوات، وفي يوم من الأيام عانقني، واختفيتُ واختفى، كان هناك اتحاد".

أن تجد مُعلّماً يعني أن تجد أقرب نقطة إلى الإله، وأقرب باب إلى

الإله. كيف لك أن تُقرر أنّ الإنسان قد وصل؟ ينبغي عليك أن تشعر، ولكنّ التفكير لا يُريد أيّ مساعدة، وسيخدعك ويُضللك. يتوجّب عليك أن تكون صبوراً، وأن تكون في حضرته. يتوجّب عليك أن تذوق، وتثمل بحضوره. ثمّ رويداً رويداً، ستُصبح الأمور جلية.، ويتبيّن لك إذا كان مُعلّماً أم لا، ويكون ذلك كشفاً. إذا كان مُعلّماً، بإمكانك حينها أن تُغرق نفسك كلياً. أما إذا لم يكن كذلك، يتوجّب عليك الرحيل. في كلا الحالين، يتوجّب عليك أن تصل إلى نتيجة. يحدث أحيانا أن تشعر أنه هو المعلم، ولكن ليس بالنسبة إليك. حينها يجب عليك أيضاً أن تُغادر، لأنه لا يُمكن للمُعلّم أن يُساعدك، إلا عندما يكون كلّ منكما مُناسباً للآخر، ومُتوافقاً مع الآخر.

يحدث في بعض الأحيان أن يكون هناك مُعلّم عظيم. لقد عاش "بوذا" و"مهافيرا" في الحقبة ذاتها، وعاصرا بعضهما. كان المُريدون يأتون إلى "بوذا" ويُجالسونه سنوات، ثمّ يختفي المُريد فجأة، يحدث الشيء ذاته عند "مهافيرا": يأتي إليه بعض المريدين، يكونون معه، ثمّ يختفون ويبدؤون في اتباع "بوذا".

تجادل البوذيون واليانيون على مدى قرون حول السبب وراء ذلك. قد يقول اليانيون إنّ ذلك حدث، لأنّ "مهافيرا" كان المُعلّم الحقيقي، ولذلك أقبل عليه الكثير من الناس الذين كانوا يحضرون عند "بوذا"، لكنهم لا يأتون على ذكر المُريدين الذين انتقلوا من عند "مهافيرا" إلى "بوذا". يتحدّث البوذيون باستمرار أيضاً عن مُريدي "مهافيرا" الذين جاؤوا إلى "بوذا"، ولا يتطرّقون إلى المُريدين الذين انتقلوا من "بوذا" إلى "مهافيرا".

لقد انتقل المريدون، هذا صحيح، ومن كلا الجانبين، ولا يعود السبب إلى أنّ "مهافيرا" لم يكن مُعلّماً حقيقياً، أو أنّ "بوذا" لم يكن كذلك. يعود

السبب إلى أنك أحياناً تشعر بالتوافق مع مُعلّم، وأحياناً لا. إنّ المُريدين الذين ابتعدوا عن "بوذا" كانوا يلمسون قدميه ويشكرونه، لأنّ هذه التجربة حدثت في حضرته، ومع أنهم ليسوا مُتوافقين معه، ولكنهم بقوا مُمتنين تجاه "بوذا" طوال حياتهم. لقد انتقلوا إلى "مهافيرا"، وحققوا وجودهم في حضرة "مهافيرا"، وظلّوا مُعترفين بالجميل تجاه "بوذا".

في هذه المرحلة "الحديقة" ينفتح مفهوم مُختلف تماماً. هذه هي المرحلة التي يُصبح فيها سؤال "مَن أكون" مُهمّاً للغاية، ولا تطلب له جواباً. أنت غير مُستعد من أجل قبول أيّ جواب من الخارج. كما أنّ المُعلّم لن يُقدّم لك أيّ جواب. بل في الواقع، سيقوم المُعلّم بتحطيم كلّ إجاباتك، وهذا ما أفعله أنا هنا.

أنا أقوم بتحطيم جميع إجاباتك، عندما تكون تابعاً لدين، فسأُهشّم تبعيتك هذه.

هذا ما أفعله: أنا أسلبك كلّ إجاباتك، كي تجد نفسك وحيداً بكراً مع سؤالك، وأمامه.

عندما لا يتبقّى هناك سوى سؤالك، ولا يكون معه أيّ جواب من الخارج، تبدأ في الغوص داخل ذاتك. يخترقك السؤال كالسهم وصولاً إلى مصدر وجودك، وهناك يكمن الجواب، وهو ليس جواباً لفظياً، وليس نظرية تجدها مُصادفة، إنّه إدراك يتفجّر فجأة. أنت تعرف ببساطة، وليس معرفة، أنت تعرف وحسب. إنّه تجربة، إنّه وجوديّ.

إنّ النمط الأول مُتحجّر ومُتعصّب. أما النمط الثاني فلسفيّ، والثالث مُتدين ووجوديّ.

ثمّ هناك المرحلة الرابعة "البيت".

يدعوها الهندوس "توريا" المرحلة الرابعة. عند المرحلة الرابعة تكون

قد وصلتَ إلى جوهر وجودك في حدّ ذاته: البيت، التنوير، "سامادهي"، "ساتوري"، "نيرفانا". لقد وصلتَ إلى النقطة التي يختفي فيها المُعلّم والمُريد، ويختفي العبد المُحبّ والإله، ويختفي الطالب والمطلوب، وتختفي جميع الثنائيات. لقد تجاوزتَ الثنائيات، ووصلتَ إلى الواحد.

هذا هو المكان الذي كنا نبحث عنه جميعاً، وأجمل ما فيه أنّه موجود مُسبقاً. عندما تصل إلى البيت ستُدرك أنّ الإنسان يصل إلى حيث كان طوال الوقت. عندما تصل إلى البيت وتنظر إلى الخلف ستضحك، وترى أنّ الأدغال لم يكن لها وجود، بل كان الأمر يكمن في اللاوعي عندك فحسب، وأنه لم يكن هناك وجود للغابة، وإنما كان ملعب الحُلم لديك، وأنه لا وجود للحديقة، بل كان الأمر يكمن في وعيك ذاته.

إنّ البيت هو كيانك في حدّ ذاته "سانشيتاناند". إنّه أنت، إنّه طبيعتك، وصبغتك المكنونة، "سوابهافا"، "التاو" أو سمّها ما شئت، فلا اسم لها.

هذه هي المراحل الأربع، ولقد تحدّثتُ عنها بهذا التفصيل، لأنّ ذلك سيُساعدك على فهم هذه الحِكم "السوترا"، والحِكم الأُخرى التي ستأتي لاحقاً.

إليكم الآن "الحِكم":

لا يُوجد شيء سوى الماء

في قصور الاستحمام المُقدّسة،

وأنا أعلم أنها عديمة الفائدة،

لأنني استحممتُ فيها.

يتحدّث "كبير" عن الأدغال.

لا يتطهّر الإنسان من خلال استحمامه في مياه "الغانج". هذا غباء. إنّ الفكرة في حدّ ذاتها غبية، لأنّه لا علاقة لنجاستك بالناحية الجسدية،

لا تُشبه نجاستك التراب الذي يتراكم على جسدك. لو كانت كذلك، لاستطاع "الغانج" أن يغسلها، فهو يستطيع تنظيف جسدك، وإعطاءك نظافة جسدية، وانتعاشاً. بيد أنّ المُشكلة ليست في الجسد، ولذلك لا يُمكن للحلّ أن يكون هناك. إنّ التراب موجودٌ في الأعماق، حيث لا يُمكن أن يُزيله "الغانج".

يقول "كبير": "لأنني استحممتُ فيها". إنه يقول: لقد كنتُ في الأدغال: أدغال الشعائر، والعقائد، والكتب المُقدّسة، والكهنة، والمعابد، وطقوس الأحد. لقد كنتُ هناك من قبل: إنّها عديمة الفائدة.

كلّ الصور لا حياة فيها، إنها لا تنطق،

أعلم ذلك لأنني ناديتُها بصوت عال.

يقول "كبير": "كنتُ أعبد الصور في المعابد، إنّها ميتة. إنّها لا تملك نفعاً. لقد ناديتُها بأعلى صوت ولم تُجبني. إنها من صنع البشر، والآلهة التي من صنع البشر لا حيلة لها. لا يُمكن للإنسان أن يخلق الإله، كيف لك أن تخلق الإله؟ كلّ الرموز خطيرةٌ، لأنّه من المُحتمل أن تبدأ النظر إلى هذا الرمز على أنّه حقيقي.

ليس الرمز كالشيء الحقيقي.

لا يُمكن لصورة أن تُمثل الإله، لا يُمكن للكلمات أن تُمثل الحقيقة. إنّ كلمة "الإله" ليست الإله بالطبع، كما أنّ كلمة " نار" ليست هي النار. أنت لا تشبع إذا أكلتَ قائمة الطعام، فليست قائمة الطعام طعاماً.

تذكّر أنّ كلّ الرموز مثل قائمة الطعام، يقتات الكثير من الناس على قوائم الطعام، ويُعانون ويتضوّرون جوعاً، ويتساءلون عن سبب مُعاناتهم. كلّ الصور، والكتب المُقدّسة، والصيغ الفلسفية، كلّ الرموز عديمة النفع.

كلّ الصور لا حياة فيها،

إنها لا تنطق، أعلم ذلك لأنني ناديتُها بصوت عالٍ.

كلّ الكتب المُقدسة مُجرّد كلمات،

رفعتُ الحُجب، فرأيتُ.

لن تنفع الكتب المُقدسة، ولن تُساعد، يقول "كبير":

رفعتُ الحُجب، فرأيتُ.

لقد رفعتُ حجب الكلمات والألفاظ والفلسفات، فرأيتُ، فلا علاقة للحقيقة بالكلمات، وهي لا تُصاغ بالكلمات، تكمن الحقيقة وراء الكلمات. لا يُمكن اختزال الحقيقة في نظرية، فالحقيقة واسعة، في حين أنّ جميع النظريات ضيقة. الحقيقة هي الكلّ، فكيف يُمكن لأيّ نظرية أن تحتويها؟ إنّ النظريات كالصناديق الصغيرة، أمّا الحقيقة فهي كالسماء الرحبة. أنّى لهذه الصناديق الصغيرة أن تسعها؟

رفعتُ الحُجب، فرأيتُ.

ينطق "كبير" بكلمات التجربة.

وهو يعرف حق المعرفة أنّ كلّ ما سوى ذلك مُزيف.

يقول "كبير": لا تُنصت إلا لتجربتك الخاصة. وحدها التجربة الوجودية يُمكن أن تكشف لك الحقيقة. لقد اختبر الآخرون الجمال، الخير، الصدق، ولكن لا شأن لذلك بك، إذ لا يُمكن لتجربتهم أن تكون تجربتك. لقد عرف المسيح الحقيقة، ولكن ما علاقة ذلك بك: إنّ تجربته تخصّه وحده، وهي تجربة غير قابلة للنقل.

لقد رأيتُ، وعرفتُ، وأُريدك أن تُشاركني ذلك، أتمنى لو استطعتُ إعطاءك شيئاً، ولكنّ ذلك غير مُمكن. لا يُمكنك أن ترى من خلال عينيّ، كما لا يُمكنك أن تشعر من خلال قلبي. أيّ كان ما أقوله فإنّه سيتحوّل

إلى مُجرّد رمز بالنسبة إليك. ما لم يزدك كلامي عطشاً، وليس إلى المزيد من الكلمات، بل إلى خوض تجربة خاصة بك، ما لم تشرع في خوض تجربتك الخاصة فلن تصل إلى البيت، وسيبقى البيت بعيداً جداً.

في الحقيقة، فإنّ الأدغال هي الأبعد، والأقرب منها الغابة، والأقرب منها حديقة المُعلّم، وفي داخل الحديقة تماماً، وفي مركزها بالضبط يقع بيتك. إنّ بيتك هو أقرب نقطة إليك، ولا بد أن يكون كذلك، فهو كيانك.

يقول "كبير":

"باني فمس مين بياسي"

أضحك عندما أسمع

أنّ السمكة تشعر بالظمأ وهي في الماء.

يقول "كبير": عندما أنظر إليك وأرى أنك ظمآن، أضحك، لأنّه لا يُمكنني أن أُصدّق كيف حصل هذا الأمر السخيف: أن تشعر السمكة بالظمأ وهي في الماء؟ أنت ظمآن في الماء؟ أنت مُشرّد، والبيت في داخلك؟ أنت تبحث في مكان آخر عن ذاك الذي تحمله في داخلك على الدوام؟ أنت تحمل الحقيقة في أحشائك، وتهرع إلى هنا وهناك بحثاً عنها؟

أضحك عندما أسمع

أنّ السمكة تشعر بالظمأ وهي في الماء:

أنت لا ترى أنّ الحقيقة موجودة في بيتك،

بينما تطوف من غابة إلى أُخرى

بسأم! الحقيقة ها هنا!

الحقيقة هي الآن! الحقيقة هي أنت! الحقيقة هي كيانك ذاته.

اذهب حيث تشاء، إلى المدن المُقدّسة "باناراس" أو "ماثورا"،

إذا لم تجد روحك،

فالعالم مُزيفٌ بالنسبة إليك.

تعيش في عالم من الأوهام، لأنك لم تلمس حقيقتك ذاتها بعد. كُن على حقيقتك، وبدءاً من تلك اللحظة سيُصبح العالم حقيقياً بالنسبة إليك. لأنك مُزيف، فإنّ عالمك بأكمله يقوم بناءً على زيفك، إنّه مُؤسس على زيفك.

يعيش الإنسان في الأدغال في سبات، ويكون عالمه برُمته هو عالم النوم. يعيش الإنسان في الغابة في الأحلام، ويكون عالمه هو عالم الأحلام. أما الإنسان في الحديقة فهو يعيش في الوعي، ويقترب شيئاً فشيئاً، ويُصبح واعياً أكثر فأكثر لوجود البيت. إنّه يقف على الباب. اِقرع الباب وسيُفتح لك.

هذا ما قاله "المسيح": "اِقرع الباب، وسيُفتح لك. اسأل، تنل ما تطلبه. اِبحث، تجد ما تبحث عنه".

لقد دخل الأنموذج الثالث إلى الحديقة، بمقدوره الآن أن يرى البيت، لكنه لم يدخل البيت بعد. عندما تدخل البيت ستجد أنه ليس النوم "سوشبتي"، ولا الأحلام "سواباتا"، ولا الوعي " جاغراتي"، إنه الوعي الخارق، أو الوعي الكوني. لقد تمّ تجاوز المراحل الثلاث، والعبور إلى ما ورائها.

هذا هو المكان الذي تجد فيه الإله "بهاغفان". عندما قال "منصور الحلاج": "أنا الحقيقة"، كان في هذا المكان. عندما أعلن المسيح قائلاً: "أنا وإلهي، والدي، كلانا أصبح واحداً"، كان في هذا المكان. عندما أعلن كلّ باحثي "الأوبانيشاد": "أهام براهما سمي": أيّ "أنا الكل"، كانوا في هذا المكان.

إنّ الإله "بهاغفان" موجود داخلك، ومملكة الإله موجودة في داخلك. إنّ أمر البحث والسعي والاكتشاف متروك لك. إنّها ليست مسألة اختراع شيء، فأنت تملكه في الأساس. كلّ ما عليك فعله هو إزالة الغطاء. يقول "كبير": "رفعتُ الحجاب، فرأيتُ الحقيقة". لقد رأيتُ الحقيقة التي لا يُمكن التعبير عنها بالكلمات، لقد رأيتُ الحقيقة التي تفوق الوصف.

أنا هنا لا أُعلمك شيئاً سوى كيانك ذاته. ولا أُقرّبك من أيّ شيء سوى من كيانك ذاته. أنا أرمي بك مُجدداً إلى ذاتك. لن يفوتك شيء، فكلّ ما في الأمر هو أنّك نسيتَ الكنز الموجود داخلك، لقد نسيتَ كيف تنظر في اتجاه الداخل. من جديد، الأبله على ورق لعب "التاروت"...

لو تأمّلتَ في ورق "التاروت"، وهي أوراق تستحقّ التأمل فيها. إنها أساليب تأمل سرية قديمة. يقف الأبله على المنحدر، تتدلى إحدى قدميه مُعلقة فوق المنحدر، وهو غير واعٍ، ينظر إلى النجوم وهو في غاية السعادة، لا بُدّ أنّ رأسه مليء بالأحلام. وهو يحمل أربعة رموز مُقدّسة على ظهره، وهو غير مُدرك لماهيتها. بل إنّه غير واعٍ لحقيقة أنّه يحمل تلك الرموز الأربعة المُقدّسة على ظهره. هذه هي الرموز الأربعة السرية: الأدغال، الغابة، الحديقة، البيت.

إنّ الأمر عائد إليك الآن. إذا استدرتَ، والأمر في حاجة إلى الاستدارة مئة وثمانين درجة. هذا هو التحوّل، هذا ما تدور حوله المريدية برمتها. إذا استدرتَ، سترى ببساطة أنك لم تفقد ولا للحظة واحدة النعمة التي تعدل كلّ النعم، والفرح الذي يعدل كلّ الأفراح.

أنت لم تبرح البيت على الإطلاق، بل كنتَ تظنّ فقط أنّك ابتعدتَ كثيراً. أنت في البيت، ولم تُغادره قطّ. عندما تكتشف ذلك، يُصبح المرء "بوذا"، "المسيح"، "كريشنا". هذا قدرك، ولن ترى الراحة ما لم تنله. لن يهدأ لك بال ما لم تنله. بمقدور الإنسان أن يعيش في كبد، فهو عبارة عن جسر. إنّه ليس كائناً بعد، إنّه وعد.

الفصل الرابع

الدين إزدهار فردي

صباح 24 كانون الأول 1976 قاعة "بوذا".

السؤال الأول

لماذا تُشير إلى الإله بكلمة "هو"؟ الكينونة، طاقة الحياة، الكُليّة، المجهول. حسناً، أليس من الأوضح أن تُشير إلى الإله بكلمة "IT" ؟ ما يُزعجني حيال كلمة "هو" أنها تفترض ضمناً وجود شخصية، إرادة، سلطة مُحاسبة. إنَّ قدرتي على المحبة مُعاقة بما يكفي، وهي في غنىً عن ذلك العائق. حسناً، أرى الآن أنّ السؤال مدخلٌ إلى مشكلتي: كيف لي أن أثق أو أن أُحب سلطتك وهيمنتك؟

لا يُمكن التعبير عن الإله بأيّ كلمة مهما كانت. ناده "هو" أو "هي"، ولكن ستبقى الكلمة قاصرة. ناده بضمير المفرد غير العاقل IT، وستظل الكلمة قاصرة للغاية. إذا كان الضمير "هو" يُذكرك بشخصية ما، فإنّ الضمير IT سيُذكرك بشيء ما، ولو كان الضمير "هو" يُذكّرك بالذكر، فإنّ الضمير IT سيُذكّرك بالأنثى، لأنّ جميع الكلمات هي من وضع البشر من أجل التواصل البشري، والإله ليس من خلق البشر. من أجل ذلك، مهما ناديته فسيكون ذلك رمزياً.

اختر أيّ رمز تشاء: إذا رغبتَ في مناداته IT، ناده كذلك، ولكن

تذكّر أنّ كلمة IT لها حدود، وأنها تُستخدم من أجل الأشياء الميتة؛ كما أنّ لها محدودية أُخرى ألا وهي أنها شديدة الحياد. إنها غير مُتجاوبة، فإذا قلتَ شيئاً إلى IT، فلن يكون هناك استجابة، والحُبّ يحتاج تجاوباً. يُمكنك التحدّث إلى الجدار، ولكن لن يكون هناك استجابة، وسيكون الحديث فردياً على شكل مونولوج. يُدعى الإله بكلمة "هو" كي يكون هنالك حوار، وإلا سيكون الحديث من طرف واحد، وسيبدو الأمر جنوناً أيضاً: لا يُمكن أن يكون IT مُتجاوباً، ولا يُمكنه أن يُجيب، ولا أن يهتمّ بك. إنّه حياديّ. سواء صليتَ أم لم تُصلِّ، سواء تعبّدتَ أم لم تتعبّد، سواء كنتَ أم لم تكن، لا فارق، فالضمير IT سيكون مُتحجّراً. إذا كان ضمير "هو" يُسبب لك المتاعب، فإنّ ضمير IT سوف يُسبب المزيد من المتاعب، انتبه إلى ذلك. كيف يُمكنك أن تُحبّ IT؟ بمقدورك أن تتملّكه، تستغلّه، ولكن كيف لك أن تُحبّ IT؟

في هذه الحال يبدو استعمال ضمير "هو" أفضل، وذلك من أجل عدة أسباب، دعني أشرحها لك. أولاً، هذا الضمير يُعطي شخصية للإله، فيُصبح الإله شخصاً له قلبٌ يخفق، يتنفّس، ينبض. تستطيع أن تدعوه وأنت واثق من الاستجابة. بإمكانك أن تنظر إليه، تشعر به، وأنت على ثقة أنه يشعر بك هو الآخر. تُعينك الشخصنة على التواصل، الدعاء، الارتباط. إنّ عدم وجود شخصية للإله سيكون أمراً يفوق إدراكك، وأمراً غير مقنع. أنت شخصٌ وتحتاج إلى إله شخص مثلك، لأنّه لا يُمكنك الارتباط سوى بشخص مثلك. ما لم تُصبح كياناً غير شخصي، فلن تتمكّن من التواصل مع كيان غير شخصي. إنّ الديانات الموجودة في الشرق خصوصاً: البوذية، اليانية، اللتان لا تتحدثان عن الإله البتة، لا يُمكنهما التحدّث عن الصلاة، ولا عن الحُبّ. في اللحظة التي يُسقطون فيها فكرة الإله كخالق عموماً، أو الإله كشخص بإمكانه النظر إليك، يُمسك يدك، يُعانقك؛ في اللحظة التي يتخلّون فيها عن فكرة الإله الشخص، عليهم

التخلّي عن فكرة الصلاة كنتيجة طبيعية مُباشرة. لا بُدّ من إسقاط العبادة، وإسقاط الصلاة، الإنشاد، الرقص، لا بُدّ من إسقاطها، لأنه لمَن تُنشد، ولمَن ترقص؟ لا أحد هناك سوى عينين من حجر في كلّ مكان.

إنّ الكون واسع جداً. أنت تقول: "لماذا لا نقول الكون؟ كيف لك أن تتواصل مع الكون؟ سيكون واسعاً للغاية، ولن تكون قادراً على تطويقه".

مع "هو"، يُصبح الإله في حجمك، فتستطيع أن تُمسك يده، بينما مع يد الكون، كيف تستطيع فعل ذلك؟ ذلك مُستحيل. مع كلمة "هو" يُصبح الإله دافئاً، أما الكون باردٌ، وكذلك الوجود بارد. سوف تتجمّد! لقد أسقطت كلّ من اليانية والبوذية فكرة الإله بسبب هذه المعضلات الفلسفية، اللفظية، إذ تنشأ المشاكل من اللغة وقواعدها ومن المنطق. لقد تخلّت كلّ منهما عن الفكرة في حدّ ذاتها، ولكن حينذاك اختفَت الصلاة، وأصبحَت اليانية فقيرة من أجل ذلك السبب، ولم يبقَ سوى التأمل، الجهد الوحيد الباقي.

ألم ترَ ذلك؟ يُمكنك القيام بالتأمل بمفردك، ولكن عندما تصلي فهناك طرف آخر، فالصلاة عبارة عن صلة. يعرف المسيحيون والمسلمون واليهود جيداً ما الصلاة. فيما فقد كلّ من اليانية والبوذية مسار الصلوات تماماً. تمتلك الصلاة جمالها الخاص. يبدو المُتأمل مُنغلقاً على نفسه، ولا يُوجد عنده سبيل مفتوح. لقد تُرك مع نفسه في عزلة عميقة. قد يحظى بالسكينة ولكنه لن يشعر بالنشوة.

تحدث النشوة فقط عندما يكون هناك طرفين، وكذلك يحدث الحُبّ فقط عندما يكون هناك طرفين. عندما تكون بمُفردك، قد تكون ساكناً هادئاً، ولكن لا يُمكنك أن تخفق فرحاً أو أن ترقص. يرقص الصوفي لأنه يُناجي الإله، ولأنه يستطيع استحضار الإله بطريقة شخصية. لقد أصبحت اليانية والبوذية فقيرتين للغاية. عندما انتشرت البوذية خارج

"الهند"، بدأت تتحدّث عن "بوذا" كإله، ومن خلال "بوذا"، تمّ إدخال الصلاة من جديد. بيد أنّ الصلاة لم تدخل على اليانية أبداً، ومن أجل ذلك، لم تتمكّن اليانية من الانتشار، وبقيت طائفة ميتة بالغة الصغر، إنّها غير إنسانية.

إنّ الوجود، الكليّ، الكمال، كلمات كبيرة، ولكنها ميتة، ولا نبض فيها. كيف تتواصل مع الكُليّ، أخبرني؟ كيف تتوجّه إلى الكُليّ بالدعاء؟ كيف تتواصل مع الكليّ؟ سوف تكون ضئيلاً للغاية، بينما الكليّ واسع ورحب، ممّا يجعلك تضيع.

لا بُدّ من تصوّر الإله بطريقة إنسانية، وعندما تُناديه "هو"، فذلك أسلوبٌ إنسانيّ للغاية. أجل، رويداً رويداً، عندما تقترب منه، تفهمه، تستوعبه، في يوم من الأيام لن يكون هناك حاجة كي تُناديه "هو". يُمكنك أن تتخلّى عن ذلك. ما إن يحصل التواصل، وتزول الحدود بينك وبينه، وتذوب الحواجز بينك وبينه في بوتقة واحدة، حتى تسقط الحاجة إلى ذلك. يُمكنك ببساطة أن تنحني دون أن تنبس بأيّ كلمة. يُمكنك ببساطة أن تجلس بهدوء وستكون الصلاة حاضرة. ستكون في صلاة دون أن تُصلّي، ولكنّ ذلك تطور لاحق. في البداية، سوف تضيع إذا لم تُناده باسم ما، ولم تعتبره شخصاً.

الآن هناك احتمالان: إمّا أن تُناديه "هو" أو "هي"، فقد تمّ استعمال الاثنين. يُناديه الصوفيون "هي": المحبوبة، الأنثى، بينما يُناديه المسيحيون واليهود "هو"، وذلك يعني أنه لا حاجة بك أن تبحث عنه؛ سيأتي هو، فهو الذكر. هنا يكمن جمال الأمر: بإمكان المرأة أن تنتظر، ويأتي المُحبُّ إليها.

يقول اليهود: لستَ وحدك مَن يبحث عن الإله، بل الإله يبحث عنك هو الآخر. هذا هو جمال استعمال ضمير" هو". إنّ الأمر رمزيّ، وهو

ذو دلالة، وقيمة عظيمة. يقول اليهود: هو يبحث عنك، يُمكنك أن تنتظر كما المرأة، قد تتحوّل إلى حالة ترقب عظيمة، مُجرّد ترقب وانفتاح، وتكون جاهزاً من أجل استقبال الضيف. إنّ الضيف قادم، لأنّ الذكر يبحث عن الأنثى.

يدعوه الصوفيون "هي"، وحينها تتغير الرحلة برمتها: حينئذ أنت مَن يجب أن يسعى إليه، عليك أن تجده. بالطبع، تُصبح الرحلة أكثر صعوبة. إذا كان عليك أن تسعى وراء الإله، يبدو نجاحك أمراً شبه مُستحيل، فأين ستبحث عنه؟ إنّ العنوان مجهول. حتى لو مرّ قربك فلن تُميّزه، وسيكون غريباً بالنسبة إليك. أنت لم تُميّزه من قبل، فكيف لك أن تُميّزه من جديد. سيكون غريباً جداً. أنت لم تره من قبل، فكيف ستُقرر وتقول: "نعم، هذا هو الإله"؟ سوف يكون أمراً صعباً. أين ستذهب؟ إلى "كاسي"، إلى "ماثورا"، إلى "القدس"؟ أين ستذهب؟ إلى "الهيمالايا"؟ أين ستذهب؟ كيف ستتحرّك؟ ما وجهتك؟ ستقع في الحيرة منذ اللحظة الأولى.

خيرٌ لك أن تنتظره من أن تخرج باحثاً عنه. من الأفضل أن تنتظر وتثق وتصلي وتدعه يأتي إليك. هذا هو معنى مناداته بضمير "هو"، أي أنّه يُمكنه القدوم. تُصبح أنت الأنثى، ويُصبح هو الذكر، وتبدأ المسرحية. في حال أصبحتَ أنت الذكر، فستُلقي على عاتقك مسؤولية السعي وراءه. يذهب الصوفي إلى الإله، بينما يأتي الإله إلى المُتصوف اليهودي "الهاسيد".

إنّ القرار عائد إليك. أنا لا أطلب منك أن تُناديه "هو"، فالقرار قرارك. يبدو لي أنّ ضمير "هو" اقتصاديّ أكثر، وهو أكثر ذكاءً، ولكن إذا كنتَ تنتمي إلى حركة تحرير المرأة، تستطيع أن تدعوه "هي"، ولكن حينها يجب أن تفهم دلالات ذلك. ليست المسألة مسألة قواعد وحسب، وليست مسألة لفظية ولغوية وحسب، بل إنها مسألة اتخاذ موقف مُحدد.

عندما تُناديه "هو"، تُعلن نفسك كامرأة: وبذلك يختلف المسعى تماماً، بينما عندما تُناديه "هي"، فأنت تُعلن أنك الرجل، والرجل هجوميّ. إذا ناديته "هي"، فستُصبح هجومياً، وتبدأ في غزو الإله، وسيضطرُّ الإله أن يستسلم إليك. كيف يُمكنك بعدها الاستسلام إلى الإله؟ حينها سيُسيطر عليك التفكير الذكوري العدائي.

بيد أنك عندما تُناديه "هو"، عليك أن تستسلم إليه. لا بُدّ أن تستسلم إليه. لا بُدّ أن يأتي ويهزمك، ويجعلك مُنتصراً رغم هزيمتك. لا بُدّ أن يأتي ويتغلّب عليك، يُغرقك، يُبيدك، ثمّ يُعيدك إلى الحياة.

ما زلت أشعر أنّه من الأفضل أن تدعوه "هو". سوف تستفيد، وتنال البركة.

أما سؤالك الثاني، فهو موجود في السؤال الأول:

حسناً، أرى الآن أنّ السؤال مدخلٌ إلى مشكلتي: كيف لي أن أثق أو أن أُحب سلطتك وهيمنتك؟

ليس لديّ سلطة. لستَ في حاجة أن تثق بسلطتي وهيمنتي. أنا مُجرّد شخصٍ، ومُجرّد حضور، ولستُ سُلطة. أنا لا أُحاول أن أُثبت أيّ شيءٍ لك. أنا لا أُدافع عن أيّ شيء، أنا لا أدعوك إلى أيّ فلسفة أو نظرية، ولا أُحاول أن أُقنعك بأيّ شيء مهما كان.

ليس لديّ سُلطة لأنني لا أنتمي إلى أيّ تقاليد. يُمكن فقط للتراث والتقاليد أن يتمتّع بالسُلطة. إنّ كلّ دين يمتلك هيمنة من خلال الكتب المُقدّسة، يفرضها رجال الدين. تأتي السُلطة من التراث والتقاليد، بيد أني غير تراثي، ولا أتبنى أيّ تقليد. لا يُمكنني القول إنّ كلّ ما أقوله صحيح، لأنّ "الفيدا" تقول الشيء ذاته. لا يُمكنني الاقتباس منها. لا يُمكنني القول إنّ ما أقوله صحيح، أو لا بُدّ أن يكون صحيحاً، لأنّ "المسيح" أو غيره يقول الشيء ذاته.

كلا، أنا لا أستمدُّ الدعم من الغير: مهما كان الذي أقوله، فأنا أقوله، فأنا أعرفه بتلك الطريقة. أنا لا أتمتع بسُلطة أحد سوى سُلطة نفسي. أنا حضور، أنا شخصٌ. لستَ في حاجة إلى أن تثق بسُلطتي، لستُ خبيراً. أنا مُتمرّد، من أين لي بالسُّلطة؟ إنّ تجربتي هي جلُّ ما أملكه. بإمكانك أن تنظر داخلي، وتنظر في عينيّ، وتشعر بي، تتشربني، وذلك سيُحدد.

لن تكون تلك علاقة بين مَن يملك السُّلطة ومَن لا يملكها. لن تكون علاقة بين العارف والجاهل، ولن تكون علاقة بين أستاذ وتلميذه. كلا، يتمتع البروفيسور في الجامعة بالسُّلطة، ويجب على الطالب أن يتعلّم منه. يعرف البروفيسور ما الصحيح وما الخطأ، وعلى الطالب ببساطة أن يخضع له.

أنا لست مُتسلّطاً بأيّ شكل من الأشكال. أنا هنا: أنا بيان، أنا كشفٌ. استمع إليّ، استوعبني، تشرّبني. إذا كان الطعم في حدّ ذاته يُحدد شيئاً فلا بأس، إذا لم يكن يُحدد، فلستُ مُناسباً لك، ولستَ مناسباً لي، وتستطيع حينها أن تودعني، ولا حاجة إلى أن تتسكع هنا، فالأمر سيكون غير مُجد. إنّها عبارة عن علاقة حُبّ. عندما تُحبّ شخصاً ما، فأنت لا تسأل عن السُّلطة، فالحُبّ مجنونٌ، ومعتوهٌ.

أنا هنا فقط من أجل أولئك الأشخاص الشجعان الذين يمتلكون الاستعداد كي يُشاركوني الجنون. أنا موجودٌ فقط من أجل القلة المُصطفاة، وغريبي الأطوار الذين عندهم استعداد من أجل مُرافقتي في العتمة، والمخاطرة من خلال الذهاب معي.

أنا لا أعدكم بشيء، ولا يُمكنني أن أعد بشيء بطبيعة الأشياء. لا يُمكن أن تعِد بالحقيقة، بل يجب أن تشعر بها. تذكّر أنّ السُّلطة تحتكم إلى الرأس، وإلى المنطق. أنا لا أحتكم إلى الرأس ولا إلى المنطق، بل أحتكم إلى القلب. لا يأبه القلب بالسُّلطة. عندما تقع في حُبّ امرأة،

هل تسأل عن السُّلطة؟ هل تسأل إذا كان لديها أيّ دليل من "كليوباترا" يدل على أنها جميلة؟ هل تطلب شهادات؟ هل تصحبها إلى الطبيب كي يفحصها، هل تأخذها إلى الفيلسوف المُتخصص في الجمال كيْ يُقرر إذا كانت حقاً جميلة؟ كلا، حتى لو قال العالم بأسره أنها غير جميلة ستُجيبهم قائلاً: "لا أهتمّ. أنا أُحبّها، وأعرف أنّها جميلة". إنّها جميلة لأنّك تُحبّها، وليس العكس. أنت لا تُحبّها لأنّها جميلة، بل إنها تغدو جميلة لأنّك تُحبّها.

يُصبح لديّ سلطة عندما تُحبّني، وليس العكس. إذا كنتَ تطلب السُّلطة فلن تُحبني على الإطلاق، ثمّ من الأفضل أن نفترق عاجلاً أم آجلاً. أنا لن أكون سبب أيّ هيمنة، وليس لديّ سلطة البتة. ينبغي عليك أن تنظر إلى الشخص في حدّ ذاته من الداخل. يجب أن تنظر إليّ من الداخل، يجب أن تشعر بحضوري على نحو حميم.

من أجل هذا السبب أقول إنّ الشجاعة مطلوبة، فالشجعان وحدهم يستطيعون أن يُحبّوا. الحُبّ هو أعظم فعل شجاع في العالم، لأنّه لا يُمكنه الاعتماد على أيّ شيء آخر، بل عليه الاعتماد فقط على الحدس، ولا بُدّ له أن يعتمد على البديهة، ولا يستطيع الاعتماد على التفكير، فليس هناك أدلة. لا يطلب الحُبّ إثباتاً، كما لا يُمكن للحُبّ أن يُقدّم أيّ إثبات.

كان على اليهود أن يرفضوا "المسيح". لماذا؟ لأنه لم يستطع أن يُبرز أيّ سُلطة. "لكن أيّ سُلطة؟". لقد كانوا يُطالبون بها مراراً وتكراراً، "لكن أيّ سُلطة تجعلك تقول هذا؟ ومَن أعطاك هذه الهيمنة؟". مَن يُمكنه إعطاء السُّلطة إلى "المسيح"؟ مهما كان جوابه فسيعتبرونه غريباً. أجاب: "سُلطة؟ لقد كنتُ أنا قبل أن يكون "إبراهيم". حسناً، إنّ "إبراهيم" هو النبي الأكثر إجلالاً عند اليهود. ويقول لهم "المسيح": "قبل أن يكون "إبراهيم، كنتُ أنا"، أي أنّه لا يُمكن لأحد أن يُعطيني السُّلطة حتى "إبراهيم. أنا لا أتبع "إبراهيم"، بل سبقته.

هذا أمر مُستهجن، لأنّ الفجوة الزمنية بينهما شاسعة جداً، فقد عاش "إبراهيم" قبل "المسيح" بآلاف السنين، ومع ذلك يقول "المسيح": قبل أن يكون "إبراهيم"، قبل أن يكون في أيّ وقت من الأوقات، كنتُ أنا. لقد سبق وجودي وجود "إبراهيم". مَن يحقّ له أن يمنحني السُلطة؟ إنه مُحقّ، لأنّ المصدر الذي لامسه في داخله شديد العمق. إنّ المصدر الذي لامسه في داخله لا يحتاج إلى سلطان كي يُثبته، بل على العكس، فإنّ "المسيح" أصبح دليلاً على أنّ "إبراهيم" كان على حق. هذا غير معقول.

هذا ما أقوله هنا: أنا الدليل على أنّ "كريشنا" كان على حقّ، أنا الدليل على أنّ "بوذا" كان على حقّ، أنا الدليل على أنّ "المسيح" كان على حقّ، وليس العكس.

هكذا، أنا لا أملك أيّ سلطة. أنا هنا وحسب، إما أن تقبل أو ترفض.

السؤال الثاني

حسب فهمي، إنّ المعرفة هي الفهم، وحكمة الحكماء هي حكمة العصور. أرجوك خُذ بيدي إلى الحكمة.

لقد جمعتَ ثلاثة أسئلة في سؤال واحد. الأول: **حسب فهمي، فإنّ المعرفة هي الفهم.** لا يا سيدي. لم تكن المعرفة في يوم من الأيام هي الفهم. إنّ المعرفة هي خداع الفهم، وهي عملة مُزيفة، وبديل، ولكنها ليست فهماً. إنّ المعرفة مُستعارة، في حين أنّه لا يُمكن للفهم أن يكون مُستعاراً على الإطلاق. إنّ الفهم ملك لك، أما المعرفة فهي ملك للآخرين. ينشأ الفهم من وعيك، أمّا المعرفة فتنشأ من تعلّمك. والعمليتان مُختلفتان تماماً، وعلى النقيض تماماً. إذا أردت أن تفهم، عليك ألا تتعلّم كلّ ما تعلّمته. تقف المعرفة كحاجز، ولا بُدّ من إسقاطها والتخلّي عنها. يجب أن يتمّ إيقاف المعلوم من أجل إفساح المجال أمام المجهول.

يتعلّق الفهم بما هو مجهول، أما المعرفة فهي تتعلّق بما هو معلوم. إنّ المعرفة هي ذاكرتك، أما الفهم فهو وجودك ذاته. إنّ المعرفة نور مُستعار كالقمر، بينما الفهم كالشمس. يعتمد القمر على النور المُستعار، فهو يعكس أشعة الشمس، ولا يملك نوره الخاص، بينما تملك الشمس نورها الخاص.

أنت تقول: " حسب فهمي، فإنّ المعرفة هي الفهم"، لقد أسأتُ الفهم سيدي.

الثاني: إنّ حكمة الحكماء هي حكمة العصور. كلا، على الإطلاق. لا علاقة لحكمة الحكماء بالزمن. إنها ليست حكمة العصور، فذلك شيء مُختلف تماماً. إنّ حكمة العصور ليست سوى معرفة جمعيّة، وهي التجربة الجمعيّة للبشرية. لقد عاش الناس، وكانت لهم تجاربهم، ومع الوقت استنتجوا بعض المعارف من تجاربهم.

تأتي حكمة العصور من خلال الجماهير والحشود. إنّه منتج جماعيّ، وهو يأتي مع الزمن، ومن رحم التجربة. أما حكمة الحكماء فلا تأتي من الزمن على الإطلاق، إنها تأتي من اللازمن، ومن الخلود. يُصبح المرء حكيماً عندما يتجاوز الزمن. عندما يتحرّك الإنسان في الزمن، يُصبح واسع المعرفة. إنّ الإنسان العجوز واسع المعرفة، ولكنّه ليس حكيماً بالضرورة، تذكّر هذا. ليس العجوز حكيماً بالضرورة، وليس الحكيم مُسناً بالضرورة.

كان "شانكارشاريا" صغير السن، وقد تُوفي في الثالثة والثلاثين، ولكنه كان حكيماً جداً. كان "بوذا" في الأربعين من عمره تقريباً عندما أصبح مُستنيراً، وكانوا يُواجهون أناساً أكبر سناً منهم، وكان ذلك أحد وجوه الصراع. عندما ذهب "بوذا" إلى أبيه، وبطبيعة الحال يبقى الأب هو الأب. كما يفعل الآباء، قام الأب بالاستهزاء منه. قال: "ماذا؟ تُريد

أن تُعلّمني؟ أنت ابني. أنا أكبر منك سناً، أنا أبوك. لقد خبرت العالم، وخبرتُ الحياة بكل مآسيها ونعمها. بالتأكيد، أنا أعلم منك!". أجاب "بوذا": "هذا صحيح سيدي. أنت تعرف أكثر فيما يتعلّق بالمعرفة، وذاكرتك أغنى بكثير من ذاكرتي. بيد أني لم آتِ إليك مع المعرفة. لقد أتيتُك بشيء مُختلف تماماً، فقد ظهر نور داخلي، وشعلة، وأنا أرى أنك تعيش في العتمة". شعر الأب بالإساءة، فقد جُرحت الأنا لديه، وقد كان غاضباً جداً.

بالتأكيد كان "المسيح" حديث السن. يبدو طبيعياً تماماً أنّ الحاخامات القدامى لم يكونوا مُستعدين من أجل الاستماع إليه. لماذا يجب أن يستمعوا إلى غرّ لا يعرف شيئاً عن العالم، ولم يعِش الحياة بعد؟ كان "المسيح" في الثالثة والثلاثين فقط عندما تمّ صلبه. بدأ الوعظ عندما كان في الثلاثين، في عمر الشباب وعلى نحو مُفاجئ. لقد عهده الناس شاباً يعمل في ورشة والده في قطع الخشب وتلميعه. كان ابن النجار. لم يتخيّل أحدٌ أن يتحوّل هذا الغلام على حين غرة إلى رجل حكيم. في اليوم الذي أعلن فيه أنّه "المسيح"، وأنّه ابن الإله. بالتأكيد، كيف يُمكن للناس أن يُصدّقوه؟ طالما عرفوه نجاراً يصنع أثاثهم، وكان يقوم بالأعمال المُعتادة في البلدة، وفجأة يُعلن ما أعلنه؟ لا بُدّ أنّه فقد عقله.

تذكّر، دائماً ما تُصلب الحكمة، لأنّ واسعي المعرفة لا يُطيقونها، فهي تجرحهم، وهي مُهينة.

إنّ الحكمة تتخطى الزمن دوماً، ولا علاقة لها بتجربتك في الحياة. أما ما تدعوه "حكمة العصور" فهي شيء مُختلفٌ تماماً، فهي منتجٌ جمعيّ. لقد عاش الإنسان على الأرض منذ وقت سحيق، واختبر الكثير من الأمور، وبطبيعة الحال قام باستنتاجات، وتوصّل إلى نتائج مُعينة. ليست الحكمة استنتاجاً، وهي لا تأتي نتيجة التجربة، بل إنها تنويرٌ وكشف.

إنَّها مُفاجئة تماماً كالبرق، وهي غير قابلة للإثبات، أي لا يُمكن إثباتها في جوهرها. عليك أن تقع في غرامها أو لا تقع. إنَّها غير مُتوقعة وغير مُرتبطة بظروف حياتك وتجاربها، فكيف يُمكن إثباتها؟ ما الدليل الذي يُمكن أن يُعطيك إياه "المسيح"؟ لقد قدَّم حياته، ولكن لا يُمكنه تقديم أيّ إثبات.

هل تذكر آخر ما سُئل عنه قبل صلبه: سأله بيلاطس الحاكم الروماني البنطي: "ما الحقيقة؟"، بيد أنّ "المسيح" التزم الصمت. نظر في عينيّ الحاكم، ولكنه لم ينبس ببنت شفة. لماذا بقي المسيح صامتاً؟ كان يجب أن يقول شيئاً، ولكن لا يُمكن قول الحقيقة، ومن السخف أن تسأل شخصاً مثل "المسيح": "ما الحقيقة؟". ليس "المسيح" خبيراً، وليس بروفيسوراً، ولا فيلسوفاً. لن يقوم بوضع نظرية عن الحقيقة، لأنّه هو الحقيقة في حدِّ ذاتها. لقد وقف هناك بصمت مُطبق، وجعل نفسه مُتاحاً، وجعل حضوره مُتاحاً.

بيد أنّ "بيلاطس" لم يفهم ذلك، ولم يستطع رؤية الحقيقة. لقد كان مُتلهفاً إلى بضع كلمات ينطق بها هذا الرجل، ولكنّ الرجل لم ينطق بكلمة واحدة، فقد قام بالتأكيد بكلِّ ما يُمكن أن يُقال بخصوص الحقيقة. لقد كشف عن ذاته، كان حاضراً، وكان حضوره هناك، وكانت طاقته موجودة. لو تحلّى "بيلاطس" بالقليل من الفهم، لأدرك ماهية الحقيقة.

ليست الحقيقة خارجةً عن تجارب العصر، بل إنّها ليست تجربة أصلاً. عندما تختفي كلّ التجارب، ويبقى مَن جرّبها مع إدراكه الخالص، يكون هذا الإدراك دون محتوى هو الحقيقة. إنّها ليست تجربة، وليست أمراً تختبره. كلا، لا يتبقّى ما تختبره، ليس هناك شيءٌ أبداً، بل هي السماء الصافية فقط، حيث تختفي المواضيع، وتبقى ذاتيتك، تتحرّك مع الكليّة وترقص، وحدها الكينونة، والوعي الخالص فقط دون أيّ مُحتوى، إنّها ليست تجربةً.

دعني أقولها لك بالطريقة التالية: ليس الإله تجربة، بل إنّه يتجاوز مجال التجربة. إنّ الكون تجربة، أما الإله فليس تجربة، فالتجربة مُمكنة في عالم الثنائيات وحسب. عندما أكون مُنفصلاً عنك، بمقدوري اختبارك. أما عندما أكون مُتحداً معك، فكيف لي أن أختبرك؟ كيف سأفصل بين المُجرّب والتجربة، بين العالم والمعلوم، بين الشاهد والمشهود؟ كلا، ذلك مُستحيل. عندما تذوب الفوارق بين الموضوع واللاموضوع ويُصبحان واحداً، أيّهما العالم الآن وأيّهما المعلوم؟

إنّ الحكمة هي البرق الناتج عن اتحاد العالِم بالمعلوم، واتحاد الشاهد بالمشهود، عندما تختفي الثنائية ولا يبقى سوى الواحد فقط. في عالم التجربة هناك حاجة إلى الآخر، إذ تعتمد التجربة على الآخر، وهي قائمةٌ على الآخر.

أنت تقول: "حكمة العصور هي حكمة الحكماء"، كلا ليست كذلك. إنّ حكمة الحكماء لا تخضع إلى الزمن، بل إنّها تتجاوز التجربة، وهي سامية، بينما حكمة العصور دنيوية زائلة ومبنية على التجربة.

الثالث: "أرجوك خذ بيدي إلى الحكمة". ذلك مُستحيل. إذا قام أحد بإرشادك إليها فستُصبح معرفة، وستقع مرة أُخرى في شرك المعرفة. ليس بمقدور أحد أن يُرشدك إلى الحكمة، لأنّه حينها سيكون الآخر هو سبب المعرفة. لا يمكن لأحد غيرك أن يكون السبب في حكمتك. قد تسأل: "لماذ أنت هنا إذن؟". أنا لا أُرشدك إلى الحكمة. الشيء الوحيد الذي بوسعي عمله هو العمل الحيادي، فأنا أسعى إلى تدمير معرفتك. أنا ببساطة أُقوم بإزالة المانع، والحاجز. أنا أُزيل الصخرة من طريقك، ذلك كلّ ما في الأمر. إنّ الصخرة هنا هي المعرفة، وحالما تُزال الصخرة فستبدأ في التدفّق. إنّ الجدول موجود، ولكنّ الصخرة تمنعه.

أنت تحمل الحكمة معك، إنّها طاقة حياتك، وهي حيويتك،

وحماستك. إنها موجودة. في اللحظة التي تملك فيها الجرأة الكافية كي تتخلّى عن المعرفة، وتكون طاهراً، وجاهلاً، وحالما تتمكن من القول: "أنا لا أعلم"، وحالما تستجمع شجاعتك وتعترف: "أنا لا أعلم، وكلّ ما أعرفه هو مُجرّد وهم. إنّ معرفتي بأكملها مُستعارة، وهمية، فارغة"، في تلك اللحظة التي تُسقط فيها المعرفة، تظهر الحكمة.

ليس بوسعي إرشادك إلى الحكمة. سوف تنشأ الحكمة في داخلك، وتتفجّر في كيانك. فقط أسقط الصخرة التي تحملها، وهذه الصخرة هي المعرفة.

في حال كنتَ تعتقد أنّ المعرفة هي الفهم. إذاً كيف ستتمكّن من إسقاط الصخرة؟ حينذاك سوف تقوم بحمايتها. إذا كنتَ تعتقد أنّ المعرفة هي الحكمة، بالطبع سوف تنظر إليّ حينها كعدو يُحاول أن يسلبك حكمتك.

ليس بمقدور المُعلّم سوى أن يكون مُحايداً، وليس بإمكانه أن يمنحك أيّ شيء إيجابي. تجنّب كلّ مَن يقول لك إنّه سيمنحك شيئاً إيجابياً. تجنّبه. إنّ المُعلّم ليس سوى مُساعد على إزالة الحاجز، يعمل المُعلّم من خلال اللافعل، وهو طريق الإنكار، ويقوم ببساطة بالسلب، فيقول: "هذا غير صحيح، وذاك غير صحيح". ويستمرُّ في الإقصاء. في يوم من ذات الأيام وعلى حين غرة، ستجد أنه قد سلبك كلّ الركائز والدعائم التي كنت تعتمد عليها، فتنهار وتجد نفسك في الحكمة. يوماً ما فجأة، عندما تُسلب كلّ قدرتك على الاحتمال، سينشأ شيءٌ داخلك، ويتفجّر فيك مثل البرق. تلك هي الحكمة: إنّها طبيعتك المكنونة، التي لا يُمكن منحك إياها.

هناك ثلاثة أصناف من الأساتذة في العالم: الأول أدعوه صاحب الحضور "الكاريزما"، والثاني المنهجي، والثالث الفطري. هذه

التقسيمات الثلاثة هي تقسيمات تنطبق على المُعالجين أيضاً، فهناك ثلاثة أنواع من المُعالجين: صاحب الحضور "الكاريزما"، المنهجي، الطبيعي، ولا بُدّ من فهم هذا التقسيم.

إنّ كلمة "الكاريزما" كلمةٌ مُشتقةٌ من اليونانية وهي تعني "الروح"، أي مُفعمٌ بالروح المعنوية. إنّ القائد صاحب "الكاريزما" مفعمٌ بالروح المعنوية بحيث أنّك سوف تصبح عبداً إذا قصدته. إنّه مفعمٌ بالروح المعنوية، وسوف يتغلّب عليك. لن يأبه إلى حالك، وسيُصبح قائداً.

أنا لستُ قائداً، أنا لستُ مُعلّماً صاحب حضور، ولا أستاذاً صاحب "كاريزما"، لأنّ الأستاذ صاحب الحضور "الكاريزما" خطيرٌ: إنّه يقتلك، ويُلغيك، ويطمس كيانك. أن تكون تحت قيادة شخص صاحب حضور، فهذا يُشبه مُحاولة النمو تحت شجرة كبيرة، وهذا أمر مُستحيل. إنّه أمر مُستحيل، قد تحسب أنّ الشجرة تُوفّر لك الحماية، بيد أنّ النمو تحت شجرة كبيرة أمرٌ مستحيلٌ.

هل سبق أن رأيتَ شجرة بلوط كبيرة؟ تقع آلاف جوزات البلوط تحتها وتموت، ولا تنمو على الإطلاق، بل لا يُمكن لها أن تنمو. ربما تنخدع الثمرات بكونها في ظلّ الشجرة الأمّ، وأنّها سوف تحظى بالحماية، بيد أنّ الحماية سامّة. ينبغي على جوزات البلوط أن تبتعد، لا بُدّ لها أن تستقلّ، فقط حينذاك يُمكن لها أن تُصبح شجرة. وإلا فلن تصير شجرةً أبداً.

يُشكّل الشخص صاحب الحضور "الكاريزما" خطراً، وينجذب الناس إلى حدّ كبير إلى هذا الشخص، بيد أنّ الشخص صاحب الحضور لا يُمكن أن يكون مُعلّماً حقيقياً إطلاقاً، بل يتحوّل إلى سائق للعبيد.

إنّ الشخص صاحب الحضور "الكاريزما" أقرب إلى السياسي منه إلى رجل الدين. لقد كان "أدولف هتلر" صاحب "كاريزما"، وكذلك

"موسوليني". يمتلك القادة حضوراً قوياً: عليهم قيادة الناس، عليهم أن يصنعوا عبيداً، عليهم أن يُهيمنوا ويُملوا أوامرهم.

الصنف الثاني من الأساتذة، والمُعلّمين، والقادة، هو الصنف المنهجي. إنَّه يتبع المنهج دون روح. لن يتفوق عليك بروحه المعنوية، سيقوم ببساطة بإعطائك مناهجاً وطرقاً، وهذا النوع أفضل من الأول، لأنّه لن يجعل منك عبداً أبداً.

إنّ كلمة "منهج" هي الأُخرى، مُشتقة من اليونانية من جذر يعني "أن تتبع". سيقوم الصنف الثاني من الأساتذة، المُعلّمين، القادة، باتّباع المُريد، ويُقدّم له منهجاً. إنّه لن يقودك ولن يُرشدك أبداً، بل سيتبعك. سيقوم النوع الثاني من المُعالجين باتباع المريض، فيسمع للمريض، ويُحاول معرفة حاجته. كذلك المُعلّم سيستمع إلى التلميذ، ويستمع إلى المُريد. سوف ينظر إليك، ويقف خلفك، ويُقدّم لك العون. لن يتقدّم عليك أبداً، بل سيدفعك أكثر من أن يسحبك. لن يقوم بتوجيهك وقيادتك، بل سيقوم ببساطة بإقناعك.

إنّ النوع الثاني أفضل من الأول. بطبيعة الحال ينجذب الكثير من الناس إلى النوع الأول أكثر بكثير من النوع الثاني.

أما الصنف الثالث فهو المُعلّم الفطريّ، والمُعالج الفطريّ: إنّه لا يقودك مُطلقاً، ولا يتبعك مُطلقاً، بل يُرافقك. إنه يقوم ببساطة بإمساك يدك، وهو صديقك. قال "بوذا": عندما آتي في المرة القادمة، سيكون اسمي "ميتريا" أي الصديق، وهو أمرٌ ذو مغزى كبير.

يقول "بوذا" إنّه خلال حياته في هيئة "غوتام بوذا" كان شخصاً ذا حضور قوي، مُفعمٌ بالقوة إلى حدّ كبير، وبالطاقة، الحماسة، الروح المعنوية، ومن خلالها هيمن على الناس. أمّا "مهافيرا" فقد كان أكثر منهجية. يقول "بوذا": "عندما آتي في المرةِ القادمة سيكون اسمي

"ميتريا" أي الصديق، وهو أمرٌ رمزي جداً. يقول: "في المرة القادمة سأرافقك، وأكون صديقك. لن أتقدّمك كي أقوم بإرشادك، لن أدفعك من الخلف، سأكتفي بإمساك يدك كصديق". هذا هو السبيل الفطري، وهو الأفضل، ولكن من الصعب جداً العثور عليه، لأنّك تنجذب، وتشعر بالانجذاب إلى الأشخاص أصحاب الحضور "الكاريزما"، والأشخاص أصحاب المُعجزات، أو رُبّما تنجذب إلى الأشخاص المنهجيين.

إنّ الفطريّ هو الأفضل، ولكنّه أقلّ جاذبية. إنّه بسيطٌ جداً واعتيادي، لا يملك حضوراً "كاريزما"، ولا يُبهرك. كما أنّه ليس منهجياً، وليس تقنياً، وليس علمياً إلى حدّ كبير. إنّه أكثر شاعرية، وفوضوية. إنّه أقرب إلى الطبيعة، فوضويٌّ كما الطبيعة.

أنا من النوع الفطري. لا أملك "كاريزما"، ولا أُؤمن بها. أنا لا أُؤمن بالمناهج، على الرغم من أنني أستخدمها، إلا أنّني لا أُؤمن بها.

أنا شخصٌ فطريّ، شخصٌ عاديٌّ جداً. قد أضيع وسط الحشد، ولن تتمكّن من العثور عليّ. أنا لا أقودك، بل أُرافقك. بوسعي أن أُمسك يدك، وأكون صديقك.

السؤال الثالث:

تدعو فلسفة "كارل ماركس" إلى مُجتمع لا طبقي ومُجتمع لا سلطوي. هل يدعو بذلك إلى مُجتمع ديني على نحو غير مباشر؟

إنّه لا يقترح أيّ شكل من المجتمعات الدينية بطريقة مُباشرة أو غير مُباشرة. كما أنّ الطريقة التي يقترحها من أجل تشكيل هذا المجتمع اللاطبقي والمجتمع اللاسلطوي، هي طريقة سخيفة حقاً. إنّه يعرضها من خلال السلطة ذاتها. يقول: "يجب أولاً أن تكون الدولة مُهيمنة جداً، وتتمتع بطغيان الطبقة العاملة، وفي يوم من الأيام، عندما تنجح ديكتاتورية الطبقة العاملة، حينها سوف تذوي من تلقاء نفسها". هذا هراء.

لا يرغب أحدٌ أبداً في ترك السلطة. حالما تملك السلطة في يدك، فلن تقبل بتركها. ستغدو السلطة أكثر وأكثر قوة. قد يزول المُجتمع، ولكن لن تزول السُّلطة. هذا ما حدث في "روسيا"، وهذا ما يحدث في "الصين". لقد أثبتت جميع نبوءات "كارل ماركس" زيفها.

لا يمكن لأيِّ مجتمع الوصول من خلال الدكتاتورية إلى نقطة تزول فيها السلطة: سوف تُصبح السلطة أكثر وأكثر قوةً. كما أنَّ الأشخاص الذين سيتحكّمون بمفاصل الدولة لن يرغبوا في ترك السُّلطة، فلم يسبق لهم أن رغبوا يوماً في ذلك. من ذا الذي يرغب في التخلّي عن القوة؟ إنّ السلطة مَفسدة، ومُفسدة على نحو مُطلق.

لا يملك "كارل ماركس" أيَّ فهم للنفس البشرية، ولا للتفكير البشري. لقد كان مُطلعاً على بنية المُجتمع، وعلى بنية المجتمع الاقتصادية، ولكنه كان جاهلاً تماماً ببنية البشر ونفسيتهم، وذلك هو الأمر الأهمّ، وهو العامل الحاسم في نهاية المطاف. لم يكن يُدرك أنّ "ستالين" قد يُولد، وأنّ "ماو" قد يُولد. في واقع الأمر، كان يعتقد أنّ "أمريكا" قد تُصبح الدولة الشيوعية الأولى، وكان على خطأ. كان يعتقد أنّ المُجتمع الرغيد، والمجتمع الرأسمالي، سيكون أول من يتحوّل إلى الشيوعية، لأنه ظنّ أنّه في المجتمع الرأسمالي حينما تتسع الفجوة بين الفقراء والأغنياء، فسيثور الفقراء.

لكن ما حصل هو العكس تماماً، فقد أصبحت الدولتان شديدتا الفقر "روسيا" و"الصين" شيوعيتين. رُبّما لم يُتصوّر أبداً أن تُصبح "روسيا" شيوعية. لماذا لم تتحوّل "أميركا"؟

في الواقع، لقد كانت العملية هناك مُختلفة تماماً. لم يتسع الفارق بين الفقراء والأغنياء. بل على العكس تقلّص الفارق، وأصبح الفقراء أكثر غنى في "أمريكا". بقي الفارق قائماً، ولكنّه أصبح أقلّ ممّا كان عليه في

السابق، وتابع المُجتمع الأمريكي تقدّمه، وفي يوم من الأيام سوف تُصبح "أمريكا" أول مجتمع لاطبقي مُمكن.

يزول الفارق على نحو طبيعي: يزداد الغنى، وتربو الثروات. أنت جشع جداً من أجل الثروات، لأنّها نادرة جداً. حين يتوفّر الكثير من كلّ شيء، مَن يأبه بكنز المال؟ وعلامَ يكنزه؟ أنت لا تكنز ولا تدخر الهواء، ولا الماء. في حال أصبح كلّ شيء آخر مُتاحاً إلى هذه الدرجة، سوف يختفي الاكتناز. تلك هي الدورة الطبيعية الوحيدة.

إنّ الشيوعية عبارة عن إجهاض؛ وهي أمرٌ غير طبيعي. أمّا الرأسمالية فهي طبيعية، وسوف تزول على نحو طبيعي، ويكون موتها موتاً طبيعياً، كما يموت الإنسان على فراشه ببطء، ورويداً رويداً. لن يكون ذلك حدثاً عارضاً، كما يموت الشاب فجأة جرّاء أزمة قلبية أو حادث سيارة. إنّ الموت الطبيعي جيد، لأنّه من خلال الموت الطبيعي تُولد الحياة الطبيعية.

أنا لا أؤيد "كارل ماركس"، وفي حقيقة الأمر لم يكن "ماركس" نفسه من الطبقة العاملة، بل كان شخصياً شديد الغنى. في الواقع، لا بُدّ للإنسان أن يكون شديد الثراء حتى يُفكّر بالشيوعية. لقد قضى حياته بأكملها في متحف "لندن"، وجلس هناك لا يفعل شيئاً، يقرأ الكتب فقط.

لقد سمعت هذه الطرفة:

في جنة الشيوعيين استوقف نظير القديس "بولس" أحد مُقدّمي الطلبات على البوابة وسأله: "ما مؤهلاتك من أجل الدخول إلى هنا؟".

أجاب: "حسناً، على الأرض كان والدي صناعياً غنياً. وكانت والدتي تنتمي إلى أسرة تاجر من الطبقة المُتوسطة. أما أنا فقد كنتُ كاتباً ناجحاً، وفي النهاية بعد أن ورثتُ مبلغاً كبيراً من المال تزوّجتُ من بارونة".

كان حارس البوابة يزداد غيظاً مع مرور الوقت وهمهم قائلاً: "أهذه

حجك كي تدخل إلى جنتنا الشيوعية؟".

أضاف المُتقدّم بتواضع سطراً واحداً: "أعتقد أن اسمي قد يُساعدني، اسمي "كارل ماركس".

لم يكن "كارل ماركس" فقيراً. لا بُدّ للإنسان أن يكون ثرياً كي يحلم بالشيوعية، ويحلم بالمدينة الفضلى. إنّ الشيوعية مُنتج ثانوي لتفكير الطبقة المتوسطة، وليس الطبقة العاملة، فأولئك الذين ينتمون للطبقة الوسطى هم أكثر الناس إحباطاً في العالم. إنّ الفقير ليس مُحبطاً، بل نجده راضياً. كما أنّ الغني ليس مُحبطاً؛ بل هو غنيٌ وراضٍ بذلك. أمّا مَن ينتمي إلى الطبقة الوسطى فهو مُحبط للغاية: يُريد أن يُصبح غنياً، ويأمل لو كان باستطاعته أن يكون غنياً، ويشعر بالفقر كشبح يُلاحقه. إنّه يسكن في البرزخ بين عالمين.

إنّ رجل الطبقة الوسطى هو الرجل الأخطر، يُؤرّقه الفقر والغنى، فهو لا يُريد أن يكون فقيراً، لكنّه يرغب في أن يكون غنياً. إذا لم يستطع أن يكون غنياً، فقد يرغب حينئذ بتدمير المجتمع بأكمله. فهو لا يُريد لأحد أن يُصبح غنياً.

تحدث المُعجزة في "أمريكا" حيث يختفي الأغنياء كما يختفي الفقراء، وتتسع الطبقة المُتوسطة أكثر فأكثر. وهو النقيض تماماً لفكرة "ماركس"، الذي كان يعتقد أنّ الأغنياء سيزدادون غنى، بينما سيزداد الفقراء فقراً، وبالتدريج سوف تنقسم الطبقة الوسطى إلى قسمين، فينتقل الميسورون منهم إلى طبقة الأغنياء، في حين يسقط الفقراء منهم في براثن الفقر، وبالتأكيد سينقسم المُجتمع إلى طبقتين "الفقراء والأغنياء"، وتلك ستكون لحظة حتمية من أجل الثورة. بيد أنّ ذلك لم يحصل، ولن يحصل.

ما يحدث هو العكس تماماً، إذ تتسع الطبقة الوسطى أكثر وأكثر. فالأغنياء هم درجة قصوى من الطبقة الوسطى الآن، والطبقة الوسطى هي

الطبقة الوحيدة اليوم. عاجلاً أم آجلاً سوف تغدو هذه الطبقة الوسطى نواة المجتمع اللاطبقي، الذي سيأتي لا محالة، ولكن ليس من خلال أفكار "ماركس"، بل من خلال مسيرة الرأسمالية الطبيعية تماماً، وليس من خلال الشيوعية.

بالتأكيد لم يكن "كارل ماركس" مُتديناً على الإطلاق، بل كان ضدّ الدين. لم يكن مُطّلعاً على الدين، وكلّ ما كان يعرفه هو المسيحية واليهودية. لقد كان يهودياً، كذلك "فرويد" كان يهودياً، وكان "آينشتاين" يهودياً، لقد كان جميع عظماء العصر الحديث يهوداً. طالما عانى اليهود بشدة، وهم غاضبون إلى حدّ بعيد، ويأخذ غضبهم الكثير من الأشكال. إنّ غضب "ماركس" على المُجتمع هو في حقيقته غضب اليهود على العالم غير اليهودي. لقد كان جلّ ما يعرفه هو اليهودية والمسيحية، وهما ليستا ديانتين مُتطورتين بما يكفي. لو تسنّى له معرفة أيّ شيء عن البوذية أو "باتانجالي" أو "أوبانيشاد"، لتغيّرت أفكاره دون شكّ. بيد أنّه لم يكن مُدركاً، حتى أنّه في الحقيقة لم يكن يسعى كي يُدرك، وقد كان فهمه الديني فقيراً جداً، فهو رجل اقتصاد.

لا علاقة للدين بالمُجتمع؛ ولهذا كان "ماركس" ضدّ الدين، فالدين أمر فرديّ، ولكنّ "ماركس" اجتماعي بامتياز، ولهذا قال: "إنّ الدين هو أفيون الشعوب". إنّ الدين فرديٌّ لأنه يُؤمن بالحرية الفردية، والتفتّح المُطلق يكون فردياً، وليس اجتماعياً. لم نسمع من قبل عن مجتمع أصبح مُتديناً، وإنما فقط هناك أفراد، "بوذا" ما هنا، و"مسيح" ما هناك، و"موسى" ما في مكان آخر، إنّ الأفراد وحدهم يُصبحون مُتديّنين.

لا يُمكن للمُجتمع أن يُصبح متديناً، لأنّه لا يُمكن للتفكير الجمعي أن يتوصّل إلى ذلك التفتح والازدهار. إنّ التدين هو نماء عظيم، وهو فاتحة طاقاتك القصوى، ولا يُمكن لذلك أن يتأتى للجماهير. أنت لا

تعتقد أنّه في يوم من الأيام ستتحوّل الجماهير إلى رسامين عظماء مثل "بيكاسو" أو "ليوناردو دافنشي"، ولا تعتقد أنّ الجماهير ستُصبح في يوم من الأيام موسيقيين عظماء مثل "بيتهوفن"، "موزارت" أو "فاغنر"، ولا تعتقد أنّ الجماهير ستُصبح يوماً ما عالم رياضيات عظيم مثل "آينشتاين"، "بلانك"، "إيدينغتون". أنت لا تُفكّر بتلك الطريقة. إذاً لماذا تعتقد أنّ ذلك مُمكن مع "المسيح"، "موسى"، "مهافيرا"؟ إنه أمرٌ غير مُمكن.

تعيش الجماهير في درب مُظلم، وهم يعيشون في الأدغال. تنجح قلةٌ قليلة في الهروب من الأدغال، والدخول إلى الغابة، وتتمكّن قلةٌ قليلة من هؤلاء من دخول الحديقة، بينما تبقى غالبيتهم مُرتبطة إلى حدّ كبير مع الغابة ويبقون هناك. إنّ الوضع كالتالي: يتمكّن واحدٌ من أصل مليون من الهرب من الأدغال والوصول إلى الغابة. ومن أصل مليون موجودون في الغابة، يتمكّن واحدٌ من الهرب من الغابة والوصول إلى الحديقة. ومن أصل مليون موجودون في الحديقة يتمكّن واحدٌ من الهروب من الحديقة والدخول إلى البيت. طالما كانت تلك هي النسبة، وستبقى كذلك.

إنّ الدين من نصيب القلة. إنه أمرٌ مُؤلمٌ ألا تتمنّى أن يكون الدين للجميع، ولكن ما باليد حيلة. عندما لا تكون الموسيقى للجميع، ولا يكون الرسم للجميع، إعذرني، ليس باليد حيلة، لا يُمكن للدين هو الآخر أن يكون للجميع. يغدو الدين في المُجتمع الشيوعي مُستحيلاً، لأنهم لا يسمحون بالفردية، ولا يسمحون بالحرية، ولا يقبلون أن يكون أحدٌ مُختلفاً عن الجموع.

لقد سمعت قصةً من "روسيا" السوفيتية:

أُصيب رجل بمغص شديد في معدته فما كان منه إلا أن نشد العلاج في البناء الحديث الذي أنشأ في مسقط رأسه من أجل ذلك الغرض. عند دخوله البناء وجد نفسه في قاعة لها بابان، كُتب على الأول "ذكور"

تعتقد أنّه في يوم من الأيام ستتحوّل الجماهير إلى رسامين عظماء مثل "بيكاسو" أو "ليوناردو دافنشي"، ولا تعتقد أنّ الجماهير ستُصبح في يوم من الأيام موسيقيين عظماء مثل "بيتهوفن"، "موزارت" أو "فاغنر"، ولا تعتقد أنّ الجماهير ستُصبح يوماً ما عالم رياضيات عظيم مثل "آينشتاين"، "بلانك"، "إيدينغتون". أنت لا تُفكّر بتلك الطريقة. إذاً لماذا تعتقد أنّ ذلك مُمكن مع "المسيح"، "موسى"، "مهافيرا"؟ إنه أمرٌ غير مُمكن.

تعيش الجماهير في درب مُظلم، وهم يعيشون في الأدغال. تنجح قلةٌ قليلة في الهروب من الأدغال، والدخول إلى الغابة، وتتمكّن قلةٌ قليلة من هؤلاء من دخول الحديقة، بينما تبقى غالبيتهم مُرتبطة إلى حدّ كبير مع الغابة ويبقون هناك. إنّ الوضع كالتالي: يتمكّن واحدٌ من أصل مليون من الهرب من الأدغال والوصول إلى الغابة. ومن أصل مليون موجودون في الغابة، يتمكّن واحدٌ من الهرب من الغابة والوصول إلى الحديقة. ومن أصل مليون موجودون في الحديقة يتمكّن واحدٌ من الهروب من الحديقة والدخول إلى البيت. طالما كانت تلك هي النسبة، وستبقى كذلك.

إنّ الدين من نصيب القلة. إنه أمرٌ مُؤلمٌ ألا تتمنّى أن يكون الدين للجميع، ولكن ما باليد حيلة. عندما لا تكون الموسيقى للجميع، ولا يكون الرسم للجميع، اعذرني، ليس باليد حيلة، لا يُمكن للدين هو الآخر أن يكون للجميع. يغدو الدين في المُجتمع الشيوعي مُستحيلاً، لأنهم لا يسمحون بالفردية، ولا يسمحون بالحرية، ولا يقبلون أن يكون أحدٌ مُختلفاً عن الجموع.

لقد سمعت قصةً من "روسيا" السوفيتية:

أُصيب رجل بمغص شديد في معدته فما كان منه إلا أن نشد العلاج في البناء الحديث الذي أنشأ في مسقط رأسه من أجل ذلك الغرض. عند دخولَه البناء وجد نفسه في قاعة لها بابان، كُتب على الأول "ذكور"

وعلى الثاني "إناث". وبالطبع دخل من الباب الذي كُتب عليه "ذكور".

وجد نفسه في غرفة ببابين، كُتب على الأول "فوق الواحدة والعشرين"، والثاني "تحت الواحدة والعشرين"، وبما أنَّه كان في الثانية والخمسين من عمره، دخل من الباب الذي كُتب عليه "فوق الواحدة والعشرين".

وجد نفسه في غرفة ببابين. كُتب على الأول "الأمراض الخطيرة"، بينما كُتب على الآخر "الأمراض غير الخطيرة"، وبما أنَّه أنثنى نصفين بسبب ألمه حينذاك، فقد اندفع من الباب الذي كُتب عليه "الأمراض الخطيرة".

وجد نفسه من جديد في غرفة لها بابان. كُتب على الأول: "المُلحدون وغير المؤمنين"، وكُتب على الآخر "المُتدينون والمؤمنون بالإله"، وبما أنّه كان مؤمناً بالإله، دخل من الباب المُخصص للمُتدينين، وسرعان ما وجد نفسه في الشارع.

في العالم الشيوعي لا وجود للإنسان المُتدين، فالدين أمرٌ ممنوع. يُؤمن العالم الشيوعي بالمُجتمع، ويُؤمن بالهيمنة المُطلقة للمُجتمع، ويُنظر فيه إلى الفرد على انّه خطر، ويُنظر إلى كلّ مَن يُحاول أن يكون فرداً على أنّه عدو، فعلى المرء ألا يُحاول أن يكون فرداً، بل يجب أن يتبع الجمهور، ويبقى وسط الجمهور، على الإنسان ألا يُحاول تجربة طرقه وأساليبه الخاصة، حتى فيما يخصّ الأمور الاعتيادية. إذا ذهبتَ إلى "روسيا" أو "الصين" ستجد هناك تماثلاً حتى في اللباس، وحتى في السيارات. لا بُدّ أن يكون كلّ شيء مُتماثلاً تماماً عند الجميع. لا يجرؤ أحدٌ أن يكون له أسلوبه المُتفرّد حتى في اللباس، لأنَّ ذلك يُشكّل خطراً. لا تسمح الشيوعية بالفردية، فكيف لها أن تسمح بالدين؟ هذا أمرٌ مُستحيل.

إنّ الدين تفتحٌ فرديّ. يُمكن للدين أن يتواجد فقط في مُجتمع مُؤمن بالفردية حيث يُوجد هامشٌ للحرية، ويُسمح للفرد بحرّية التصرّف على حقيقته، ولا يتدخّل بك أحد، وتُترك بمفردك، وتُترك وشأنك، ويُمكنك فعل أيّ شيء ترغب في فعله وحدك. لا يتدخّل المُجتمع بشؤونك، إلا عندما تشرع في التدخّل بشؤون الآخرين، وإلا فلن يتدخل. إذا لم تكن مُؤذياً فلن يتدخّل بك أحد.

هذا مُمكنٌ فقط في بلد ديموقراطي، وبلد رأسمالي. أنا أُؤيّد الرأسمالية والديمقراطية على نحو كامل. من الأفضل أن تكون فقيراً، ولكن تبقى ديموقراطياً.

خيرٌ لك أن تبقى من غير تعليم، ولكن تحتفظ بالديموقراطية، وإلا قد تمتلئ بطونكم، وتكون أرواحكم خاويةً، وإلا قد تحظى أجسامكم بالتغذية، بينما تموت أرواحكم وهي تتضوّر جوعاً.

الشطر الثاني من السؤال: "**إن لم يكن كذلك، فما نوع النظام الاجتماعي المطلوب، والذي يضمن عدم استغلال الإنسان من قبل أخيه الانسان؟**".

ما لم يتوفّر ما هو أكثر من اللازم، فسيستمرُّ استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، وليست المسألة مسألة شيوعية أو اشتراكية أو رأسمالية. ما لم يتوفّر أكثر من اللازم، سوف يستمرُّ استغلال الإنسان، ولذلك أولاً: أبدعُوا أكثر من اللازم، كُونوا خلّاقين، استغلّوا كلّ الإمكانيات من أجل ابتكار المزيد، ثانياً: عيشوا في الحاضر، لا تُفكّروا في الغد. استمعوا لما يقوله "المسيح": انظروا إلى الزنابق في الحقل. إنّها لا تدور، ولا تتمايل، ولا تعمل، ولا تُفكر في الغد، ومع هذا فهي جميلةٌ جداً، وحتى "سليمان" الذي جُمع له المجد كلّه، لم يكن بهذا الجمال.

عِش الحاضر، فالمستقبل يخلق الجشع، والجشع يخلق الاكتناز والاحتكار، والاكتناز يخلق الفقر. في المجتمع الديني، وعندما أقول

"المجتمع الديني"، فأنا لا أعني نظاماً اجتماعياً دينياً. بل أعني بكلمة "المجتمع الديني" مُجتمعاً يضمّ العديد من الأشخاص المُتدينين، أو أناساً يسعون على الأقل نحو الدين، وأعني مُجتمعاً يقوم فيه الكثير من الناس بالتأمل والصلاة، ويضمّ الكثير من الأشخاص المُحبّين، اللطفاء، ويتحلّى الكثير من أفراده بالرحمة، ويتحرر فيه الكثير من الناس من الجشع والاحتكار، ويستمتع الكثير من الناس بحياتهم الحاضرة، فرحين بدورهم في الحياة الحاضرة، ولا يكترثون بما سيأتي. في ذلك المجتمع فقط سوف يختفي الاستغلال، وإلا فلن يزول.

بإمكانك أن تقوم بتغيير الهيكل فقط، فقد اختفى في "روسيا" المُستغلّون القدامى، بينما ظهر مُستغلّون جدد، والجدد أشدُّ خطراً، لأنهم مجهزون أكثر من الناحية التقنية من أولئك الأوائل. كان الأغنياء القدامى يقومون باستغلال الناس، وكان هناك القيصر الذي يستغلّ الناس، ولكن لا يُمكن مُقارنتهم مع "ستالين" وشركائه الذين كانوا أكثر تجهيزاً. لم يكن القيصر مُجهّزاً كما يجب، ولذلك كانت الثورة مُمكنة. أما اليوم فإنّ إمكانية الثورة معدومة في "روسيا"، بل هي أمرٌ مُستحيل، ولا يُمكنك تخيّل الثورة حتى، لأنّ قبضة السُلطة مُحكمةٌ للغاية، كما أنّ السلطة مُسلحة تقنياً على نحو جيد ضدّ الفرد، فلا يُمكن لأيّ فرد أن يُفكّر مُجرّد تفكير، بل يستحيل الحديث عن الثورة. إنّ مُجرّد التفكير مُستحيل، لأنّه يُقال أنّ الجدران لها آذان. لا يُمكنك حتى أن تتكلّم مع زوجتك بصراحة، مَن يعلم؟ قد تكون مُخبرةً. لا يُمكنك حتى التحدّث مع ابنك، ولا مع ولدك، لأنه ينتمي إلى منظمة الشبيبة الشيوعية، فهناك يُعلمون المُنتسبين إليهم أن يكونوا أكثر وطنية، ويكونوا مع البلد ضدّ العائلة، فالمجتمع هو الغاية، وليس الأسرة، ولا بُدّ من تهميش الأسرة كلياً.

لم يعد هناك أيّ أحزاب، ولم يعد هناك أيّ نظريات مُخالفة، ولم يعُد هناك إمكانية من أجل نشر كتاب أو صحيفة. هل تظنّ أنّه من المُمكن

حدوث ثورة في "روسيا"؟ كلا، إنّ السُلطة قوية إلى حدّ كبير، وستُسحق كلّ مُحاولة في المهد.

ما الذي يفعلونه اليوم؟ سابقاً كانوا يقومون بقتل أعداءهم؛ أما اليوم فهم لا يقتلونهم، بل يستخدمون أسلحة أكثر فتكاً، فيقومون بغسل أدمغتهم. لا يقتلونهم، بل يقومون ببساطة بتعريضهم إلى الصدمات الكهربائية، وصدمات الأنسولين، التي يتمّ من خلالها غسل دماغ الشخص. يعود الرجل إلى بيته من المشفى، وليس من السجن، مخبولاً وغبياً تماماً. لقد نسي كلياً كلّ ما كان يعرفه، ولا يُمكنه حتى التفكير، ولا يمكنه تركيب جملتين معاً على نحو منطقي. عليه أن يتعلم الأبجدية من جديد، فكيف يُمكنه الآن التفكير بثورة!

عاجلاً أم آجلاً، سوف يتحقق في البلد الشيوعي ما أقول، لأنه لا بُدّ للأطفال أن يُولدوا في المشفى. بعد أن يُولد الطفل مُباشرة، سيتمّ تركيب شريحة في رأسه، وذلك سيفي بالغرض. عندئذ سوف تعلم الحكومة باستمرار كلّ ما تُفكّر به، ولا يهمّ ما الذي تتلفظ به فتلك ليست المسألة. ثمّ سيعلم قسم الشرطة مَن الذي يدور في ذهنه أفكار خاطئة: وسيظهر رقمك في قسم الشرطة. فجأة سيظهر ضوءٌ عند الرقم واحد وثلاثين مثلاً، وسيتمّ القبض عليه. ذلك مُمكن الآن من الناحية التقنية.

تذكّر أنّ الإنسان خطير جداً: عندما يُصبح شيءٌ ما مُمكناً تقنياً فلا بُدّ أن يُجرّبه. إنّه مهووس، ولا يُمكنه مُقاومة الإغراء.

السؤال الرابع والأخير:

أشعر بالذنب لأنّه في استطاعتي الحضور إليك، بينما لا يستطيع الفقراء الحضور.

لا تشعر بالذنب؛ أرجوك توقّف عن الحضور. دعني أُخبرك قصة:

كانت "مارثا" تحتضر. التفتت إلى "أبي" وقالت وهي تلفظ آخر

حدوث ثورة في "روسيا"؟ كلا، إنّ السُلطة قوية إلى حدّ كبير، وستُسحق كلّ مُحاولة في المهد.

ما الذي يفعلونه اليوم؟ سابقاً كانوا يقومون بقتل أعدائهم؛ أما اليوم فهم لا يقتلونهم، بل يستخدمون أسلحة أكثر فتكاً، فيقومون بغسل أدمغتهم. لا يقتلونهم، بل يقومون ببساطة بتعريضهم إلى الصدمات الكهربائية، وصدمات الأنسولين، التي يتمّ من خلالها غسل دماغ الشخص. يعود الرجل إلى بيته من المشفى، وليس من السجن، مخبولاً وغبياً تماماً. لقد نسي كلياً كلّ ما كان يعرفه، ولا يُمكنه حتى التفكير، ولا يمكنه تركيب جملتين معاً على نحو منطقي. عليه أن يتعلم الأبجدية من جديد، فكيف يُمكنه الآن التفكير بثورة!

عاجلاً أم آجلاً، سوف يتحقق في البلد الشيوعي ما أقول، لأنه لا بُدّ للأطفال أن يُولدوا في المشفى. بعد أن يُولد الطفل مُباشرة، سيتمّ تركيب شريحة في رأسه، وذلك سيفي بالغرض. عندئذ سوف تعلم الحكومة باستمرار كلّ ما تُفكر به، ولا يهمّ ما الذي تتلفظ به فتلك ليست المسألة. ثمّ سيعلم قسم الشرطة مَن الذي يدور في ذهنه أفكار خاطئة: وسيظهر رقمك في قسم الشرطة. فجأة سيظهر ضوءٌ عند الرقم واحد وثلاثين مثلاً، وسيتمّ القبض عليه. ذلك مُمكن الآن من الناحية التقنية.

تذكّر أنّ الإنسان خطير جداً: عندما يُصبح شيءٌ ما مُمكناً تقنياً فلا بُدّ أن يُجرّبه. إنّه مهووس، ولا يُمكنه مُقاومة الإغراء.

السؤال الرابع والأخير:

أشعر بالذنب لأنّه في استطاعتي الحضور إليك، بينما لا يستطيع الفقراء الحضور.

لا تشعر بالذنب؛ أرجوك توقّف عن الحضور. دعني أُخبرك قصة:

كانت "مارثا" تحتضر. التفتت إلى "أبي" وقالت وهي تلفظ آخر

أنفاسها: "أُريد منك "آبي" قبل أن أموت، أن تُمارس الحُبّ معي فقط مرة واحدة". أجاب "آبي": "كيف تطلبين مني مثل هذا الطلب؟ هذا سيُودي بحياتك!".

توسّلت "مارثا" قائلة: "يحقُّ لكلّ إنسان أن يطلب أمنية قبل أن يموت، عليك أن تمنحني هذه الأمنية الأخيرة".

أجاب "آبي": "حسناً"، واندسّ في السرير، ومارس الحُبّ معها. حالما انتهى، قفزت من السرير وقد تعافَت تماماً، وهُرعَت إلى الطابق السفلي، وبدأت في تحضير الدجاجة وهي تقول بصوت عال لأولادها الموجودين في غرفة المعيشة إنّ الطعام سيكون جاهزاً خلال ساعة.

ذُهل الأولاد، وهُرعوا إلى الطابق العلوي إلى والدهم الذي كان جالساً يبكي على كرسي، وقالوا له: "بابا، لماذا تبكي؟ إنّها معجزة! لقد شُفيَت ماما تماماً!".

أجاب: "أعلم، لكنني أبكي عندما أُفكّر فيما كان يُمكنني القيام به من أجل "إليانور روزفلت"".

هل فهمتني؟ "أعلم، بيد أني أبكي عندما أُفكّر بما كان يُمكنني القيام به من أجل "إليانور روزفلت"".

لا تُفكّر في "إليانور روزفلت"، ولا تبكِ دون داع. إذا كنتَ تشعر بالخجل فلا تحضر، لأنّ الشعور بالذنب سيءٌ للغاية، ولا أُريد لأحد أن يشعر بالذنب. إذاً اذهب واخدم الفقراء. إذا أردتَ الحضور إليّ هنا، عليك أن تنسى العالم بأسره، فلو رحت تُفكّر بالعالم، فلن تتمكّن من الاستماع إليّ، ولن تتمكّن من فهمي.

إنّ حياتك قصيرة حقيقة، فأنت لا تعرف إذا كنت ستعيش إلى اللحظة القادمة أم لا. لا تشعر بالأسف على الفقراء، لأنّه في المقام الأول، رُبّما لا

يكون الفقراء مُهيئين من أجل القدوم، فأنا أعرف الناس الفقراء، وطالما سافرتُ معهم في هذا البلد. في بعض الأحيان عندما يأتونني، فإنهم يأتون من أجل أسباب مُختلفة. يأتون مثلاً فيقولون إنّ ابنهم لا يحصل على وظيفة، وأنهم يحتاجون إلى بركة "أوشو". يأتون مثلاً، لأنّ زوجاتهم مريضات. يأتون مثلاً، لأنّ أحدهم رُزق بمولود، ويُريدون البركة، ويأتون من أجل أسباب أخرى، وليس لأسباب دينية. لا يُمكن للإنسان الفقير أن يكون مُتديناً حقيقة، فهو يتضوّر جوعاً. ليست مُشكلته دينية، بل مادية. إنّ الأغنياء وحدهم لديهم مُشكلات دينية، فالدين مُحصلة ثانوية للغنى والترف.

عندما يتمّ إشباع حاجاتك الجسدية، تظهر المُشكلات النفسية. ليس لدى الفقير مُشكلات نفسية، ولن تراه يزور المُحلل النفسي أبداً. هل سبقت أن رأيته يفعل ذلك؟ ليس لديه مُشكلات نفسية. عندما يتمّ إشباع حاجاتك الجسدية تماماً، فإنّ مُشكلاتك تتحوّل، وتأخذ مُستوى أعلى، وتنتقل إلى مُستوى أسمى، وتبدأ في التحوّل إلى مُشكلات نفسية.

إنّ الهنود سعيدون للغاية، لأنهم لا يُعانون الكثير من المُشكلات النفسية، ليس هناك حاجة في "الهند" إلى الكثير من الأطباء النفسيين. وهم مُتحيّرون من حاجة الأمريكان إلى هذا الكمّ من الأطباء النفسيين. كما أنّهم يشعرون بالأسف حيال "أمريكا"، ويُفكّرون قائلين: "مساكين، إنهم يُعانون الكثير من الأمراض الفكرية". إنهم لا يُدركون أنّ المرض الفكريّ نعمة، فهو يُشير ببساطة إلى أنّ الحاجات الجسدية مُشبعة. يستطيع الإنسان الآن أن يدفع تكاليف مرضه الفكريّ.

عندما يتمّ إشباع الحاجات الفكرية، تظهر المُشكلات الدينية، الحاجات الروحية، وليس قبل ذلك.

هكذا، إذا كنتَ ترثي إلى حال الفقير، لا تشعر بذلك. يُشبه الأمر

رؤيتك طفلاً يلعب فتُفكر: "يا لهذا الطفل المسكين؛ لا يُمكنه الاستمتاع بالجنس بعد". حسناً، إنّ أمر الإحساس بالذنب عائد إليك، وإذا كنتَ تُريد أن تشعر بالذنب فأنت حرّ. إذا رغبتَ في الامتناع عن مُمارسة الجنس مع صاحبتك، اِمتنع، لأنّ هؤلاء الأطفال المساكين، لا يُمكنهم ممارسة الحُبّ بعد.

سوف يُمارسون الحُبّ في الأوان المُناسب لهم. كلّ منا لديه وقت ينضج فيه، وحينما يُصبح الفقير مُهتمّاً بالدين، سيجد طريقه إلى هنا، ولا يُمكن لأحد أن يمنعه. يُوجد هنا الكثير من الفقراء: سيجدون سبيلاً، ويفعلون أقصى ما في وسعهم وسيأتون. سوف تأتي بهم حماستهم، أمّا شفقتك فلن تُساعدهم.

قد يحصل أمرٌ واحدٌ من جراء شفقتك عليهم: سوف تخسرني.

في أحد المرات كان هناك يهوديّ يصطاد السمك في بحيرة، عندما سحب سمكة لم يرَ مثلها من قبل. كان للسمكة حراشف ذهبية، وزعانف فضية تُضيء وتتلألأ كلّما تقلّبت على أرضية قاربه. فجأة أذهلت السمكة رجل الأعمال بمخاطبته!

ناشدته السمكة قائلة: "رجاءً سيّدي، أعدني إلى البركة من جديد، وسأمنحك ثلاث أمنيات".

فكّر رجل الأعمال ملياً ثمّ قال: "اِجعليها خمس، وسنعقد اتفاقاً".

همست السمكة: "لا يُمكنني منحك سوى ثلاث".

قال رجل الأعمال مُقترحاً: "أربع ونصف".

قالت السمكة بصوت لا يكاد يُسمع: "ثلاثة".

قال رجل الأعمال: "حسناً، فليكن حلاً وسطاً بيننا، فلتكُن أربع أمنيات، ما رأيك؟ ".

لكن هذه المرة لم يصدر أيّ جواب عن السمكة. تمددت السمكة ميتة في قاع القارب.

إنّ الحياة قصيرة جداً. أنا لن أبقى هنا إلى الأبد. استغل الفرصة المتاحة أمامك، استفد منها قدر الإمكان. اسمح لشعلتك الداخلية بالتوهّج، وحينها يُمكنك أن تذهب إلى الفقراء وتُساعدهم أيضاً. سيكون ذلك عوناً لهم. أمّا الآن لو شعرتَ بالذنب، فلن يجنوا شيئاً من شعورك بالذنب، بل سيفوتك الكثير بالتأكيد.

السؤال الخامس والأخير بالتأكيد:
هل "بابا نويل" مُستنير؟

إن لم يكن، مَن يكون؟

إنّ التنوير هو المرح. إنّه ليس بالأمر الجديّ. إنّ "بابا نويل" هو "بوذا"، وهو "المسيح"، وهو روح الدعابة، فالتنوير يتمتع بروح الدعابة. ليس التنوّر بالأمر الجدي: إنّه المرح، المتعة، السرور.

الفصل الخامس

أُغنّي مجد الأشكال والصور

صباح 25 كانون الأول قاعة "بوذا".

"سادهو ساهاجاي كايا سودهو"

أيها الحكيم المقدس "سادهو"! طهّر جسدك بالطريقة البسيطة.

بما أنّ البذرة موجودة داخل شجرة التين الهندية "البانيان"،

وداخل البذرة تُوجد الأزهار،

الفاكهة والظل،

بما أنّ البذرة موجودة داخل الجسد،

وفي داخل تلك البذرة هناك الجسد من جديد.

النار، الهواء، الماء، التراب، والأثير،

لا يُمكنك إخراج هذه من داخله.

أيها القاضي، أيها العالم، فكر بالأمر مليّاً:

ماذا يُوجد هناك سوى الروح؟

إن الابريق المملوء بالماء موضوع على الماء،

يُحيطه الماء من الخارج ومن الداخل.

يجب ألا تُعطى اسماً،

خشية استدعاء خطأ الثنائية مُجدداً.

يقول "كبير": أنصِت إلى الكلمة، الحقيقة،

والتي هي جوهرك.

إنّه يتحدث كلمته هو،

وهو ذاته الخالق!

"كرافار أك مول بين تادا"

هناك شجرة عجيبة تنتصب من غير جذور،

وتحمل الفاكهة من غير إزهار،

ليس لها أغصان ولا أوراق،

إنّها اللوتس في كلّ مكان.

هناك عصفوران يُغردان؛ أحدهما مُعلّم "غورو"،

والآخر مُريد:

يختار المُريد فاكهة الحياة المُتنوعة،

ويتذوّقها، وينظر إليه "المُعلّم" بفرح.

ما يقوله "كبير" صعب الفهم:

إنّ العصفور عصيّ على البحث،

رغم أنّه واضح جداً للعيان.

عالم اللاشكل هو الوسط بين كلّ الأشكال،

أنا أُنشد مجد الأشكال.

تُشكّل الحقيقة تحدياً، بل إنها أعظم تحد على الإطلاق. إنّها تحد من أجل التحري، ومن أجل السعي، تحدٍ من أجل أن تكون. إنّها ليست أمراً

تناله يوماً ما، إنّها شيء تُصبح عليه. في الواقع لا يُمكنك أن تُصبح إلا ما أنت عليه بالفعل، ولا يُمكنك أن تُصبح إلا وجودك.

إنَّ تحدي الحقيقة هو تحدي جوهرك المكنون في حدّ ذاته، وتحدّي العودة إلى البيت، وتحدّي العودة إلى المركز والجوهر، وتحدّي معرفة نفسك ومُواجهتها. إنّه أمرٌ شاقّ.

إنَّ مُواجهة المرء لنفسه مُرهقة، لأنّنا كدّسنا الكثير من الأمور في جهلنا في أنفسنا، لقد راهنّا على الجهل كثيراً. هكذا تُصبح معرفة النفس أكثر وأكثر صعوبة. على الرغم من دعوة الجميع، لكنَّ قلة هم مَن يسمعون النداء. حتى أولئك الذين يسمعون النداء، يُسيء الكثير منهم فهمه، ويخدعون أنفسهم. حتى أولئك الذين يستمعون حقيقة، لا يُثابرون فترة طويلة. على الرغم من دعوة الكثيرين، إلا أنه لا يصل إلا قلة قليلة.

في الواقع تتمّ دعوة الجميع، وقد وضع الإله التحدّي أمام الجميع، وهي دعوة مفتوحة. أنت موجودٌ هنا من أجل ذلك التحدّي كي تقبله وتقتحم النار فتتطهّر بها. بيد أنه نوع من المقامرة، وعلى الإنسان أن يُقامر بكلّ ما لديه، وهنا تكمن المُفارقة: عندما لا تملك الكثير فأنت تخشى المُقامرة بشدة، وعندما تملك الكثير، تملك الشجاعة من أجل المُقامرة.

إنّها مُشاهدتي اليومية: عندما أرى مَن يملك شيئاً، أعلم أنّه مُستعد من أجل الاستسلام، وعندما أُصادف مَن لا يملك أيّ شيء، أعلم أنّه خائفٌ جداً من الاستسلام. إنّه أمرٌ مُحيّر جداً. مَن لا يملك شيئاً يخشى الاستسلام، فهو يخشى في حال استسلامه أن يضطرّ إلى مُواجهة خواءه وفراغه، ولو تخلّى عن دفاعاته، سيضطرُّ إلى معرفة فراغه الداخلي، وفقره.

من الأفضل التظاهر بالغنى وتجنّب النظر إلى الداخل نهائياً. من

الأفضل الاستمرار بالحلم: "لديّ الكثير فكيف يُمكنني الاستسلام؟". بيد أنّ تجربتي، ولم أجد لها استثناءً، تقول إنّهم لا يخافون. يقول المسيح: "أولئك الذين يملكون سوف يُمنحون المزيد، أما أولئك الذين لا يملكون شيئاً، فسيُحرمون أبسط ما لديهم".

عندما تملك الكثير، تملك أيضاً الشجاعة من أجل المُجازفة. وعندما تُراهن، تُصبح قادراً على الحصول على المزيد. عندما تُقامر بكلّ ما لديك على نحو غير مشروط، مقامرة كليّة، حينها تكون قادراً فقط على نيل هبة الإله. حينها يُولد "المسيح" داخلك. عندما تُخاطر بكلّ شيء، يُولد المسيح داخلك. عندما تُجرّب الصلب، ويتمّ صلبك، يبدأ الانبعاث.

أنا أرى نوعين من الناس في هذا العالم، ويُمكن للبشرية جمعاء أن تتوزع على هاتين الفئتين. يُصلب الجميع، فيبقى نصفهم مصلوباً، بينما يكون لدى النصف الثاني، أو قلّة منهم، احتمال الانبعاث. ببساطة فإنّ أولئك الذين بقوا مصلوبين سيُعانون من أجل لا شيء، وتبقى مُعاناتهم دون معنى أو أهمية.

ألم تُلاحظ؟ إنّ معاناتك لا معنى لها، ولا أهمية. من أجل ماذا تُعاني؟ ما الذي تجنيه من مُعاناتك؟ أنت تُعاني وحسب، أنت خسارة وأرض خراب. يتمّ صلب أولئك الذين يُعانون وحسب، أمّا أولئك الذين يُعانون من أجل الإله فإنّهم يُبعثون، وحينها يُصبح لمُعاناتهم معنى ومغزى.

ستنقضي الحياة، ذلك أمر أكيد، والموت قادمٌ لا محالة، لكن هل ستموت في سبيل الإله؟ أم ستموت ببساطة هكذا؟ إذا قدمت حياتك في سبيل الإله، وجعلت من نفسك قرباناً، أضحية، فسيتمّ انبعاثك.

يُصلب الجميع، ولكنّ ثلة منهم ينزلون عن الصليب، ويحظون بحياة جديدة، وهذا ما يدعوه "المسيح": "الحياة عبارةٌ عن فيض". الحياة هي الأبدية، الحياة مُقدسة لأنها الكل. هناك قلةٌ قليلة فقط تترجّل عن الصليب

وتعيش في نشوة، فلا يعود موتهم موتاً، بل يُصبح فاتحة الحياة الأبدية.

إنّ الأمر متروكٌ لك. إذا قبلتَ التحدّي، سيتمّ انبعاثك؛ ويُولد "المسيح" فيك، أو "بوذا"، أو "كريشنا". ولا عبرة للأسماء.

تذكّر شيئاً واحداً: إنّ "كريشنا"، "بوذا"، "المسيح" ليست أسماء أشخاص بعينهم. إنّها تدلّ على حالة مُعينة. إنّ كلمة "المسيح" تعني الذي يعرف حقيقة نفسه، ومن خلال ذلك الإدراك يستطيع إدراك الكلّ. إنه الذي وصل إلى البيت، ويستطيع القول: "أنا الإله". والشيء ذاته هو معنى "بوذا"، أو "كريشنا".

كالعادة، أنت تحوم بعيداً عن نفسك، وفي كلّ يوم تبتعد عنها أكثر فأكثر. تستمرُّ في الاقتراب من الحدود الخارجية والمُحيط، وتستمرُّ في خلق حدود خارجية وهوامش جديدة كي تذهب نحوها من جديد. تذهب في اتجاه الأفق الذي يتعذر الوصول إليه، لأنَّ الأفق غير موجود، وهو عبارة عن وهم. لا يُوجد سوى المركز والجوهر.

من أجل هذا السبب يقول "كبير": أيها السادهو، أيها الكهنة! لا تذهبوا إلى أيِّ مكان. إنّ الإله ها هنا. وهو الإله موجودٌ حيث أنت. لا تبحث عنه في أيّ مكان آخر، وإلا ستُخفق. لا يأتي التحدّي من الخارج، بل يأتي من جوهرك المكنون الذي أصبح كأنّه أمرٌ خارجٌ عنك. لقد أصبحتَ غافلاً عنه إلى درجة أنّه عندما تُناديك روحك، تشعر كأنَّ شخصاً آخر يناديك. عندما يُناديك المُعلّمون، فذلك صوتك الداخلي يُحاول التحدّث إليك. إنّه يأتي من خلال المُعلّم، الذي لا يقع في الخارج.

في ذاك اليوم كان هناك سؤال من "دهروفا": متى نستمع إلى المُعلّم؟ متى نقول نعم ومتى نقول لا؟ لو فهمتَ حقيقة العلاقة بين المُعلّم والمُريد، فلن يكون هناك مُعلّم ولا مُريد. عندما تقول لا لمُعلّمك، فأنت تقول لا لنفسك، فهو أنت. إنّ المسألة لا تُقررها العلاقة بين مُعلّم ومُريد،

بل تُحددها العلاقة بين الجوهر والهامش. عندما تقول نعم للمُريد وتقول لا للمُعلّم، فأنت تقول نعم للهامش على حساب الجوهر. عندما تقول نعم للمُعلّم ضدّ المُريد، فقد قلتَ نعم للجوهر ضدّ الهامش. لا انفصال بين المُعلمّ والمُريد، وسنأتي على ذلك في هذه الأغنية.

يقول "كبير": هذين العصفورين، المُعلّم والمُريد: لقد قرر المُريد الاستمتاع بعالم الأشكال المُتنوّع، مُحيط الدائرة، بينما يجلس المُعلّم في مركز الدائرة في عين الإعصار، يُراقب ويشهد وهو سعيدٌ على الرغم من طواف المريد في الأرجاء مُستمتعاً بفعل ذلك. يوماً ما سوف يعود المُريد أدراجه، ولا بُدّ أن يعود لأنّه على مُحيط الدائرة، حيث الرضى، والنعيم أمورٌ غير مُمكنة. لا يُوجد هناك سوى البؤس، والمزيد من البؤس، ويستمرُّ البؤس في التضاعف كلّ يوم.

أول ما يجب تذكّره أنه تمّت دعوتك. أنا هنا من أجل استفزازك. أنا هنا أدعوك كي تتقدّم. إستمع إلى ندائي، ولا تستمع وحسب، بل إستجب؛ ولا تستجب وحسب، بل إقبل تحدي الرحلة.

إنّ الرحلة شاقة. سوف تكون صعبة، فمن غير الملائم الخوض في المجهول، لأنّك ستضطر إلى الابتعاد عن أسباب الأمان والراحة، وعن هويتك، وكلّ ما كنتَ تنتمي إليه حتى اليوم. بيد أنك لا تصل إلى نفسك إلا عندما تبتعد عنها، لأنّ ما تعتقد اليوم أنّه طبيعتك الحقيقية، هو خداعٌ قمتَ باختلاقه؛ إنّه هلوسة، وتنويم مغناطيسي ذاتي.

تحدّث "ب. د. أوسبنسكي" أكثر من مرة عن قانون مُعين، يدعوه " قانون البذور"، ومن الأهمية بمكان أن نفهمه. هل سبق لك أن راقبتَ شجرة بلوط كبيرة؟ إنها تقوم خلال دورة حياتها بإنتاج مليارات ومليارات البذور، ولكنها جميعها لن تُصبح أشجاراً. رُبّما تُصبح واحدة من أصل مليون نت البذور، شجرة بلوط، في حين تضيع البقية. تُنتج

الطبيعة على نحو مُفرط علماً منها أنّه سيتمّ استدعاء الكثير، ولكنّ الكثير منهم لن ينصتوا. يتمّ انتاج مليون بذرة كي تُصبح واحدة فقط من بينها شجرة بلوط. يُولد ملايين البشر كي يظهر من بينهم شخص يستطيع أن يكون "المسيح"، "بوذا"، "كريشنا". تذكّر دائماً قانون البذور هذا.

حتى عند الإنسان: يقوم الإنسان العادي الطبيعي على الأقل بأربعة إلى ستة آلاف عملية قذف في حياته. في كلّ مرة يقذف الملايين من خلايا الحياة. من بين ملايين خلايا الحياة هذه، رُبّما تنجح واحدة منها في الوصول إلى بويضة المرأة، فتحمل المرأة. من بين ملايين خلايا الحياة رُبّما واحدة....

سوف تتفاجأ: باستطاعة ذكر وحيد ملء الكرة الأرضية كلّها بالسكان، لو تسنى لكلّ البذور أن تتجسد. إنّ جسد إنسان واحد كاف، وذكَر وحيد كفيل بملء الأرض بأكملها سكاناً، لأنّ كلّ عملية قذف تحمل ملايين خلايا الحياة، وخلال حياته هناك أربعة إلى خمسة آلاف عملية قذف. وأنا هنا أتحدّث عن الإنسان العادي، ولا أتحدّث عن الإنسان فوق الطبيعي أو الشاذ. إنّ الإنسان فوق الطبيعي ليس لديه عملية قذف. تبدأ طاقته في التحرّك في أبعاد مختلفة. أمّا الشاذ فهو إنسان مهووس.

منذ عدة أيام تلقيت رسالةً من عروس، كتبت فيها: "أخشى أنني تزوجت من مهووس بالجنس. لا يتركني زوجي وشأني مطلقاً. إنّه يُمارس الحُبّ معي طوال اليوم، أثناء استحمامي، أثناء إعدادي لطعام الفطور، أثناء ترتيبي للأسرّة، حتى عندما أُدير ظهري إليه. هلّا أخبرتني بما يجب عمله؟ التوقيع: المُنهكة". لقد كتبت اسمها، لكنني لن أقوله لأنّ الزوج موجودٌ هنا. كان هناك مُلاحظة في ذيل الرسالة تقول: "إعذرني على الخط المُتقلّب".

لستُ أتحدّث عن هؤلاء المُتقلبين.

يستطيع الإنسان الطبيعي ملء العالم بأكمله بالسكان، فما بالك بالإنسان غير الطبيعي؟ إنه يستطيع ملء عدة كرات أرضية كأرضنا هذه بالسكان. يُصبح الناس غير الطبيعيين جنسيين على نحو آلي، ويُصبحون آلات جنسية، تنتج خلايا الحياة ببساطة ولا شيء آخر. إنهم لا ينتجون الحياة، بل خلايا الحياة، بينما يُنتج الشخص الطبيعي خلايا الحياة والحياة كذلك، أما الشخص فوق الطبيعي فهو يُحوّل طاقة حياته بأكملها نحو الحصول على قمم أعلى من الحياة، فتبدأ الطاقة لديه في التحرّك في اتجاه الأعلى وليس الأسفل، ولا تعود طاقته تتأثر بعوامل الجاذبية، وتبدأ طاقته بالصعود والطيران، ويُصبح لها الآن كمال مُختلف.

لا بُدّ من فهم قانون البذور هذا: يُولد الكثير من الناس، بينما يصل قلةٌ منهم. لكن ما الذي سيحصل لباقي البذور؟ ببساطة سوف تتعفن، وتختفي، وقد يُلقى بها مُجدداً في العالم على شكل بذور، ويتمّ منحها الفرصة من جديد.

لا تفوّتوا هذه الفرصة. إنّ كونك بذرة هو فرصة عظيمة، لأنّه يعني وجود احتمالية، وإمكانية أن تنمو، ولكن حينها ينبغي على البذرة أن تفهم عدة أمور، لأنّه يوجد ألف عائق وعائق ينبغي تخطيه. وألف بديل وبديل خاطئ ينبغي التخلّي عنها. فقط حينها، ينتقل الإنسان نحو النمو والازدهار.

إنّ النمو ظاهرة نادرة، وهو ظاهرة طبيعية، ولكن نادرة. عندما تجد البذرة تربتها المناسبة، فإنّها تنمو. هذا أمرٌ طبيعي جداً، ولكن لا بُدّ من إيجاد التربة المُناسبة، وهذا هو صلب الموضوع.

في أغنية اليوم، يرسم "كبير" اتجاهات واضحة؛ حاول أن تفهمها.

"سادهو ساهاجاي كايا سودهو"

أيها الحكيم المقدس "سادهو"! طهّر جسدك بالطريقة البسيطة.

إنَّ كلمة "سادهو" جميلةٌ جداً، ولا بُدَّ من فهمها. لقد تمّ ربطها بمعان خاطئة، ولكنّ الكلمة عظيمة الدلالة والأهمية. إنَّ كلمة "سادهو" تعني بسيط، عفوي، بريء، طاهر. إنّ الكلمة في حدّ ذاتها تعني البريء، ولكن إذا بحثتَ في "الهند" وذهبتَ إلى مَن يُسمّون "سادهو" فلن تجدهم أبرياء على الإطلاق. إنّهم أناسٌ مُعقدون للغاية، مُعقدون أكثر من الأشخاص الدنيويين العاديين، ولكن من أين أتوا بتعقيداتهم؟ إنّهم ليسوا عفويين على الإطلاق، وليسوا فطريين إطلاقاً. إنّهم يقومون بأمور مُتكلفة "غير طبيعية"، ويُحاولون بطريقة ما أن يسيروا عكس الفطرة، وعكس التيار. إنّهم لا يسايرون النهر، بل يُحاولون دفعه والسير عكسه، وبما أنّهم أصبحوا مُتكلفين، فلم يعودوا "سادهو"، فهم ليسوا أبرياء.

إنَّ المُكوّن الأول عند من يُسمّى "سادهو" هو فهم حقيقة أنّ الإنسان جاهل. إنّ الجهل يستلزم البراءة، أما المعرفة فهي تُفسدك. إذا استطعتَ بصدق وأمانة أن تكون "لا أعلم"، فإنّك تُصبح "سادهو"، وتلك هي الخطوة الأولى.

يسألك أحدهم: "هل الإله موجود أم لا؟"، فتُجيب: "لا أدري"، إنّ جوابك هذا هو جواب "سادهو". في الأدب البوذي، كلّما جاء رجلٌ إلى "بوذا"، يسأله "بوذا": "هل تؤمن بالإله؟ هل تؤمن بالجنة والنار؟ هل تؤمن بالروح؟". يُجيب الرجل: "أنا لا أدري سيدي"، فيقول "بوذا": "سادهو، سادهو، أنت بريء جداً، أنت بريءٌ جداً". هذه هي الخطوة الأولى.

إنّ المعرفة تخلق التعقيد: كلّما عرفتَ أكثر، ازددتَ تعقيداً، وكلّما ازددتَ مكراً، رحتَ تُحاول خداع وغشّ الطبيعة على نحو أكثر. يبقى الإنسان البري، مُتناغماً مع الطبيعة، في حين يبدأ الإنسان العارف في التحايل على الطبيعة واستغلالها. إنّه يستغل معرفته في إجبار الطبيعة على خدمته.

من أجل هذا ترى العلم يُحاول التحايل على الطبيعة. بالطبع، على المدى البعيد سوف تأخذ الطبيعة بالثأر، فلا يُمكنك التحايل على الطبيعة فترة طويلة. في نهاية المطاف يُصبح تحايلك خطوة مُدمّرة في حقّ نفسك. هذا ما حدث: ثلاثمئة سنة من الخداع العلمي، وها هي البشرية برمتها تدنو من موتها الجماعي، وانتحارها العالمي.

إنَّ الخطوة الأولى كي تُصبح "سادهو" هي ألا تدّعي المعرفة، لأنَّ المعرفة بأكملها عبارةٌ عن وهم. أنت لا تدري بالضبط ما القضية، ولا أحد يدري. وحدهم الجهلة يعتقدون أنهم يعلمون، أمّا العقلاء والحكماء من الناس فهم يعلمون أنّهم لا يعلمون.

الأمر الثاني: يكون "السادهو" كالطفل، يتحرّك بعفوية، يأكل عندما يجوع، يستسلم إلى النوم عندما ينعس. ألم تُشاهد الأطفال الصغار؟ إنهم يستغرقون في النوم حتى وهم على طاولة العشاء. ما زالوا يأكلون، واللقمة في فمهم، ولكنهم يستسلمون إلى النوم.

إنّ الأمر الثاني الذي يتصف به "سادهو" هو عفويته، ولكنك لن تجد أيّ عفوية في أدعياء "سادهو". عندما يجوعون يصومون، فأنى لهم أن يكونوا أبرياء أو عفويين؟ وعندما ينعسون، يُحافظون على يقظتهم، ويُجبرون أنفسهم على البقاء مُتنبهين، وعندما يشعرون بالغضب يُحاولون الابتسام، وعندما يشعرون برغبة جنسية يتحدّثون عن العزوبية "براهاماشاريا" والتبتل.

لا يُمكن لهؤلاء الأشخاص أن يكونوا "سادهو"، وليس حسب منطق "كبير" فقط، وإنما حسب منطقي أيضاً. لا بُدّ أن يكون "سادهو" بريئاً كالطفل الصغير. أجل، إنّ "المسيح" مُحقّ عندما يقول: "فقط الأبرياء كالأطفال الصغار سوف يدخلون ملكوت الإله". إنّه هنا يتحدّث عن أنّ "سادهو" كالأطفال الصغار. بيد أنه هناك اختلاف بسيط بينهما: عندما

أقول "كالأطفال الصغار"، أو عندما يقول "المسيح" ذلك، فهو لا يعني أنه طفوليّ؛ بل يعني أنّه بريءٌ وناضج في الوقت ذاته. تمتلك البراءة نوعاً خاصاً بها من النضج، نضوج البراءة، وذلك عندما تُزهر البراءة. ما الفارق بين شخص صبياني طفولي، وشخص كالأطفال؟ الفارق هو أنّ الشخص الطفولي الصبياني ليس لديه أيّ نوع من الوعي. أجل، إنه بريء: عندما يشعر بالجوع فإنّه يشعر بالجوع، فيأكل، وعندما يشعر بالنعاس يخلد إلى النوم، ولكنّ عفويته لها خلفية عميقة من اللاوعي. إنّ عفويته حاضرة، ولكنّها لاواعية.

أمّا في حالة "سادهو" تكون العفوية حاضرة، ويكون هناك في الخلفية إدراك ووعي. يكون الوعي موجوداً، ومع هذا لا تتدخّل بهذه العفوية. أنت منضبطٌ في إدراكك، ولكنك لا تخلق أيّ انضباط مُصطنع لذاتك، يقوم إدراكك بمساعدتك على أن تكون طبيعياً، وعفوياً، فلا تتدخّل ولا تقمع. ومع هذا تبقى واعياً.

لا بُدّ من فهم هذين الأمرين. هناك من الناس صنف بريءٌ وغير واعٍ، وهؤلاء الطفوليين لن يدخلوا ملكوت الإله، وليسوا "سادهو". وهناك صنف من الناس واعٍ، ولكنه يُصبح غير طبيعي، فقد جعلهم وعيهم يتدخّلون في حياتهم الطبيعية. إنّ هؤلاء الذين يُدعون بالكهنة "سادهو"، ليسوا جاهزين من أجل دخول ملكوت الإله.

هناك حاجةٌ إلى تركيبة جديدة، وتوليفة جديدة من الوعي مع العفوية. هذا ما عناه "كبير" حين قال "ساهاج سامادهي". إنّ "ساهاج" تعني العفوية، بينما "سامادهي" تعني الوعي، والجملة تعني الوعي العفوي. إذا تدخّل وعيك في عفويتك فقد أخفقت، وإذا تعارضَت عفويتك مع وعيك، فقد أخفقت. إنّ "السادهو" هو مَن يحظى بالاثنين معاً: "ساهاجامي كايا سادهو".

يقول "كبير": **أيها الحكيم المُقدّس "سادهو"! طهّر جسدك بالطريقة البسيطة، الطبيعية، العفوية.** لا تتعارك مع الجسد، تلك هي الرسالة. إنّ الجسد جسدك، والجسد هو أنت، فلا تخلق أيّ عداوة مع الجسد.

طالما تعارك أتباع الديانات المختلفة مع الجسد. بطريقة ما، ساد مفهوم خاطئ جداً، ألا وهو أنّ الجسد عقبة بينك وبين الإله. بيد أنّه ليس كذلك على الإطلاق! ولا علاقة للجسد بذلك. إنّ الجسد عبارة عن مركبة، فإذا أردتَ استعمال المركبة في الذهاب إلى الجحيم، فستأخذك إلى هناك، وإذا أردتها أن تأخذك إلى الجنة فستأخذك إلى هناك. إنّ العربة ببساطة مُتاحة لك، كي تذهب أينما شئت. إن أردت التوجه إلى الخارج فستأخذك إلى هناك، وإذا أردت التوجه إلى الداخل فستأخذك إلى الداخل. تبقى المركبة مُجرّد مركبة؛ إنّها جميلة للغاية، ومتعاونةٌ على نحو مُذهل. إنّ الجسد مُتعاونٌ جداً إلى درجة أنّه يتعاون معك حتى عندما تشرع في تدميره. يُمكنك أن تأخذ سوطاً وتجلد نفسك، وستجد يدك مُتعاونة. انظُر إلى التعاون الهائل: تستطيع جلد جسدك بيديك، وتستطيع أن تشرب السمّ بيديك ذاتها وفمك ذاته، وستجد جسدك مُتعاوناً. إنّه التعاون غير المشروط.

يا له من جسد جميل، يا له من جسد ودود، ومع ذلك فقد تمّ تعليمك أن تعمل ضدّه، وأنّ الجسد شرير، وأنّه ينتمي إلى الشيطان، وأنه يجب ألا تستمع إليه، مع أنّك مُتجسدٌ من خلاله، ومُتجذرٌ فيه. إنّه التربة بالنسبة إليك، ولا بُدّ أن تنمو منه، وتتمّ تغذيتك منه.

الأمر الأول الذي يتكلّم عنه "كبير": **أيها الحكيم المُقدّس "سادهو"! طهّر جسدك بالطريقة البسيطة.** لا تتعارك معه، بل تعاون معه. صادقه، وكُن عفوياً معه. قُم بتلبية حاجاتك الجسدية، لأنّ الجسد عربة يُمكنها أخذك إلى الإله. إنّه جواز مرورك، وسوف يأخذك لو امتطيته. لقد حباك الإله

إياه من أجل غاية معينة. إنّه آلية مُفيدة: لم يتمكّن العلم من إبداع شيء يُحاكي جسم الإنسان، ولا أعتقد أنّه سيتمكن من خلق شيء يُحاكيه. إنّ الجسد هو أجمل آلية خلقها الإله.

بما أنّ البذرة موجودة داخل شجرة التين الهندية "البانيان"،

وداخل البذرة تُوجد الأزهار،

الفاكهة والظل،

بما أنّ البذرة موجودة داخل الجسد،

وفي داخل تلك البذرة هناك الجسد من جديد.

يقول "كبير": إنّ شرارة الحياة مُخبأة في داخلك، وهي البذرة التي يُمكن أن تُزهر، وتُصبح الإله، والإمكانية والاحتمالية مُخبأة في جسدك، فلا تتعارك مع جسدك، لأنّ تلك الإمكانية هشة للغاية، ولو تعاركتَ مع الجسد فستُدمّر تلك الإمكانية. إنّ تلك الإمكانية مُرهفة ورقيقة جداً، ولو أصبحتَ عدائياً، مازوشياً، ورحتَ تُعذّب نفسك، ستتلاشى تلك الإمكانية.

لا بُدّ من الاعتناء بالجسد: لا بدّ للإنسان من أن يُولي جسده اهتماماً كبيراً، ويكون لطيفاً معه. وحينذاك ستقوم عفويته ذاتها بتطهيره، وجعله مُقدّساً.

النار، الهواء، الماء، التراب، والأثير،

لا يُمكنك إخراج هذه من داخله.

يقول "كبير": هذا الجسد ليس خارجاً عن الإله، إنّه موجودٌ في الإله. لا يُوجد شيءٌ خارج الإله. الهواء، التراب، الأثير، النار، الماء، لا شيء خارج عنه. لا يُوجد ما هو خارجٌ عنه. إنّ الإله ليس في الخارج.

دعوني أشرح ذلك لكم على الصورة التالية: ليس للصخرة داخل،

بينما للإنسان داخل وخارج، الاثنين معاً. تمتلك الصخرة خارجاً فقط، أما الإله فليس له خارج، وإنما له داخلٌ وحسب. هذه هي مراحل النمو الثلاثة: المادة: ولها خارج وليس لها داخل. ولا روح ولا إدراك فيها. ثمّ الإنسان: له خارج وداخل، لأنّه مخلوق من روح وجسد، ومادة وعقل، الاثنين معاً. أمّا الإله فليس له خارج، بل هو إدراك وحسب، روح وحسب.

لا يُوجد ما هو خارج الإله، لذلك لا ينبغي أن يكون له مُحيط خارجيّ. إنّ المادة ليس لها مركز وجوهر، وليس للإله مُحيط خارجيّ، في حين يملك الإنسان كلّ من الجوهر والمُحيط الخارجي. تلك هي مأساة الإنسان ومصدر سعادته كذلك.

إنّ الإنسان عظيمٌ لأنّه يجسر الهوة بين العقل والمادة، ويجسر الهوة بين الكون والإله. يضع المادة بيد والإله باليد الأُخرى، إنه الجسر. انظُر إلى جمال إنسانيتك، وإلى بهائها، وهي أيضاً مصدر مُعاناتك، لأنّ الإنسان مُمزق بين الاثنين. تشدّه المادة من جهة، ويُناديه الإله من جهة أُخرى، هناك المُمتلكات المادية من جهة، والحُبّ والصلاة والتأمل من جهة أُخرى، هناك الطموح والمال والمكانة من جهة، والسكينة والجمال والخير من الجهة الأُخرى. إنّ الإنسان مُمزّق. هذه هي الحالة الأولى.

أمّا الحالة الثانية، فهي عندما تشعر أنك مُكتف تماماً، لأنّك تجمع الاثنين معاً. في داخلك نقطة التقاء الإله بالكون، فهو تقاطع الطرق التي يلتقي فيه الإله مع الكون.

دعني أُخبرك: لولاك لكان الكون خاوياً جداً، ولولا الإله لما كان الكون، ولولا المادة أيضاً لما كان الكون. من دون الإنسان، سيكون الكون مُقفراً.

دعني أكرر: من دون الإله لا إمكانية لوجود هذا الكون، ولولا المادة كذلك لما كان الكون. من دون الإنسان سيكون هناك كون، وسيكون هناك الإله، ولكنّ كلاهما سيكون مُقفراً. من دون الإنسان، يختفي العذاب، وتختفي النشوة، ولن يكون الإله قادراً على أن يرقص ويغني، ولن يكون في وسع المادة أن تبلغ القمم وتُلامس قدمي الإله. من دون الإنسان سينكسر الجسر.

الإنسان هو أعظم تألق، والجسر الأكثر براعة، والإمكانية الأكثر استحالة. هو الأمر الذي يجب ألا يحصل، وهو أمرٌ ضدّ القوانين، ذلك هو الإنسان. إنّ الإله بسيط، وهو الوعي الخالص، أمّا المادة فهي اللاوعي الخالص، بينما الإنسان هو الشيء ونقيضه، إذ تجتمع الأضداد فيه، وتلتقي فيه التناقضات.

تذكّر هذا: يعود إليك أمر تحويله إلى عذاب من خلال موقفك، كذلك يعود إليك أمر تحويله إلى نشوة من خلال موقفك أيضاً. إنّ العذاب هو النشوة المنظور إليها بطريقة خاطئة، والنشوة هي العذاب المنظور إليه بطريقة خاطئة. يغدو السمُّ عسلاً عندما تُصحح رؤيتك.

أيها القاضي، أيها العالم، فكّر بالأمر مليّاً:

ماذا يُوجد هناك سوى الروح؟

كما يقول "كبير": ماذا يُوجد هناك سوى الروح؟ لا تتكلّم عن "الفيدا" أيُها العالِم؛ ولا تتكلّم عن القرآن، أيها القاضي، لا تتكلّم عن "الانجيل" أو "دهامابادا". ماذا يوجد هناك سوى الروحِ ذاتها؟ كلّ نصوص "الفيدا" متضمنة هناك، لأنّ نصوص "الفيدا" كلها نشأت من الروح، وفاضت منها. إنّ المصدر والمنهل موجودٌ داخلك. كلّ نصوص "الغيتا" و"الإنجيل" وُلِدَت في داخلك، لأنه عندما دخل "المسيح" إلى روحه، أزهر "الإنجيل"، وعندما دخل "موسى" إلى روحه، أزهرت "التوراة"،

وعندما دخل "كريشنا" إلى جوهر وجوده المكنون، ظهرت نصوص "بهاغافاد جيتا" أي الأغاني السماوية، وعندما تغلغل "بوذا" إلى روحه ذاتها، وُلد "دهامابادا". كل شيء موجودٌ في روحك. عندما تبحث في الكتب المُقدّسة، فأنت تبحث في الاتجاه الخاطئ، كأنك تبحث عن إله ثان، بينما لا يليق بالإله إلا أن يكون الأول.

لا بُدّ للإله أن يكون أولاً. عندما تبحث في الكتب المُقدّسة، فأنت تسعى وراء النظريات وليس وراء الحقيقة، فالحقيقة أصيلة، ولا بُدّ أن تكون أصيلة. لا بُدّ للحقيقة أن تُولد داخلك، ولا يُمكن لها أن تُستعار.

أيّها القاضي، أيها العالم، فكّر بالأمر مليّاً:

ماذا يُوجد هناك سوى الروح؟

كل شيء موجود داخله، داخل الإله، داخل الروح، وهو موجودٌ في كلّ شيء.

إن الابريق المملوء بالماء موضوع على الماء،

يُحيطها الماء من الخارج ومن الداخل.

يجب ألا تُعطى اسماً،

خشية استدعاء خطأ الثنائية مُجدداً.

لقد نشأت المشكلة برمتها بسبب اللغة: الداخل والخارج، الإله والكون، المادة والعقل. لقد ظهرَت المُشكلة برُمتها بسبب تسمية الأشياء. لا تُطلق تسميات، أسقط اللغة، كُن في فجوة غير لغوية، وفجأةً سترى أنه ليس هناك سوى الواحد. جرّب في بعض الأحيان المنهج غير اللفظي.

هذا ما يدور حوله التأمل بأكمله: النظر إلى الحياة دون تعبير لفظي. اجلس جانب شجرة، وانظُر إليها دون أن تقول حتى إنّها شجرة، لا تقُل

أيّ شجرة هي: "كاجورينا"، صنوبر، أرز. لا تُطلق عليها اسماً، بل أسقِط كلّ الأسماء.

حاول أحياناً أن تنظر في عينيّ شخص دون تسميته بأيّ اسم: رجل، امرأة، صديق، عدو، شابّ، مُسنّ، جميل، قبيح، لا تسمَح بدخول الأسماء. انظِر في عينيه وحسب، حاول تجنّب التعبير اللفظي، فجأة ستصل إلى قفزة نوعية، تجعلك تتفاجأ من أنّ الشاهد يُصبح مشهوداً، والمشهود يُصبح شاهداً. حينها لن تعرف مَن "أنا"، ومَن "أنت". في مثل هذه اللحظات يُدنيك الإله؛ فتسمع وقع خطواته.

انسحِب من اللغة مدة ساعة واحدة على الأقل. عندما تنسحب من اللغة، فهذا يعني أن تنسحب من الأديان، ويعني أن تنسحب من كلّ ما أبدعه الإنسان. ألم ترَ ذلك؟ إنّ اللغة بالغة الدلالات. الحيوانات صامتة، الأشجار صامتة، ولا يُعبّرون عن موافقتهم، وليس لديهم نصوص مُقدّسة، وليست تابعة إلى أيّ دين، إنّها ببساطة موجودة هناك بكلّ جمالها دون اسم. لقد تمّ تكوين مُجتمعك من خلال اللغة، وتمّ تكوين معرفتك من خلال اللغة. فقط فكّر، لو حدثت مُعجزة واختفَت اللغة من الكون، عندها ما الفارق بين الإنسان والحيوان؟ وما الفارق بين أتباع الديانات؟ لن يكون هناك أيّ فارق. كلّ الفروق خلقتها اللغة.

من أجل هذا، اجعله انضباطاً بسيطاً. عندما أقول "انضباط"، فأنا لا أقصد فرضه بالقوة على نفسك، فكلمة " انضباط" تعني التعلّم. عندما أقول "اِضبط نفسك"، فأنا أعني تعلّم.

اجلس جانب شجرة، انظر إلى الوردة، دون أن تنبس ببنت شفة، لا ظَاهراً ولا باطناً، فقط كُن حاضراً. دع الوردة تتفتح في حضورك، ودع حضورك ينهمر على الوردة. فليكن لقاءً من غير لغة. بما أنّ الوردة صامتة، عليك أن تكون مثلها؛ وبما أن الوردة لا تقول أيّ شيء عنك،

أيّ شجرة هي: "كاجورينا"، صنوبر، أرز. لا تُطلق عليها اسماً، بل أسقِط كلّ الأسماء.

حاول أحياناً أن تنظر في عينيّ شخص دون تسميته بأيّ اسم: رجل، امرأة، صديق، عدو، شابّ، مُسنّ، جميل، قبيح، لا تسمَح بدخول الأسماء. انظُر في عينيه وحسب، حاول تجنّب التعبير اللفظي، فجأة ستصل إلى قفزة نوعية، تجعلك تتفاجأ من أنّ الشاهد يُصبح مشهوداً، والمشهود يُصبح شاهداً. حينها لن تعرف مَن "أنا"، ومَن "أنت". في مثل هذه اللحظات يُدنيك الإله؛ فتسمع وقع خطواته.

انسحب من اللغة مدة ساعة واحدة على الأقل. عندما تنسحب من اللغة، فهذا يعني أن تنسحب من الأديان، ويعني أن تنسحب من كلّ ما أبدعه الإنسان. ألم ترَ ذلك؟ إنّ اللغة بالغة الدلالات. الحيوانات صامتة، الأشجار صامتة، ولا يُعبّرون عن موافقتهم، وليس لديهم نصوص مُقدّسة، وليست تابعة إلى أيّ دين، إنّها ببساطة موجودة هناك بكلّ جمالها دون اسم. لقد تمّ تكوين مُجتمعك من خلال اللغة، وتمّ تكوين معرفتك من خلال اللغة. فقط فكّر، لو حدثت مُعجزة واختفَت اللغة من الكون، عندها ما الفارق بين الإنسان والحيوان؟ وما الفارق بين أتباع الديانات؟ لن يكون هناك أيّ فارق. كلّ الفروق خلقتها اللغة.

من أجل هذا، اجعله انضباطاً بسيطاً. عندما أقول "انضباط"، فأنا لا أقصد فرضه بالقوة على نفسك، فكلمة " انضباط" تعني التعلّم. عندما أقول "اضبط نفسك"، فأنا أعني تعلَّم.

اجلس جانب شجرة، انظر إلى الوردة، دون أن تنبس ببنت شفة، لا ظاهراً ولا باطناً، فقط كُن حاضراً. دع الوردة تتفتح في حضورك، ودع حضورك ينهمر على الوردة. فليكن لقاءً من غير لغة. بما أنّ الوردة صامتة، عليك أن تكون مثلها؛ وبما أن الوردة لا تقول أيّ شيء عنك،

أرجوك، لا تقُل شيئاً عن الوردة. لا تقول الوردة شيئاً عن كونك إنساناً رائعاً، ولا تقول الوردة شيئاً عن كونك رجلاً أو امرأة، أبيض أو أسوداً. لا تقول الوردة أيّ شيء، بل تعيش في صمت مُطبق، تنبض بصمت، ولذلك عليك أن تنبض بصمت. اجلس جانباً، وانظُر في الوردة، فقط راقِب، لا تسمَح أن تظهر اللغة، ولو ظهرت الكلمات، ضَعها جانباً. ابقَ غير مُبال بالكلمات وحسب. بيد أنّ الكلمات ستأتي، فهي أنت، وهي من ضمن عاداتك القديمة، ولن تتركك بهذه السهولة، فطالما استعملتها وقمتَ باستغلالها بكثرة، وطالما اعتمدتَ عليها بشدّة إلى درجة تجعلها لا تتركك بهذه السهولة: ستبقى تحوم وتهمس حولك، سوف تُزعجك، وتأتي وتقول: "إنّ الوردة جميلةٌ..". حافِظ على لا مُبالاتك، لا تتعاوَن معها. أنا لا أقول لك تعارك معها، بل ببساطة لا تتعاون معها، وذلك سيفي بالغرض. لن يُفيد العراك. في اللحظة التي تتعارك معها سوف تتورّط في الفوضى والحيرة.

إذا تعاركتَ مع كلمة ما، سوف تحتاج إلى كلمة أُخرى كي تتعارك معها، تذكّر أنه لا يُمكنك أن تتعارك مع كلمة دون كلمات. تأتي الكلمة، فتقول: "لا يُفترض بي استعمال أيّ كلمات، "أوشو" يقول اجلِس بصمت". بيد أنّ هذه في حدّ ذاتها كلمات. أو تقول: "ألا تعلمين أنني أتأمل؟ لا تأتي إليّ"، ولكن هذه أيضاً كلمات.

لا يُمكنك أن تُصارع دون كلمات. كي تتعارك مع الكلمات، أنت في حاجة إلى المزيد من الكلمات، وعندها ستعود إلى الدائرة ذاتها من جديد. لا تُبال بها، كُن حيادياً. سوف تهمس الكلمات حولك عدة أيام، ثمّ رويداً رويداً ستشعر أنّه قد تمّ تجاهلها، وستشعر بالتدريج أنّك لم تعُد مُهتماً، وأنّه غير مُرحب بها، وعندما تشعر الكلمات والأفكار أنّها غير مُرحب بها، ستبدأ بالتلاشي، ولا تعود أنت مُضيفاً لها.

ذات يوم سوف تتفاجأ، إذ تمرُّ عدة لحظات، تكون الوردة فيها موجودة، والشمس موجودة، والأشجار الخضراء موجودة، وأنت موجود دون أن تظهر لك أيّ كلمة. لقد تذوّقتَ للمرة الأولى ما هو التأمل. لقد تذوّقتَ طعم "التاو". لقد ألقيتَ نظرة خاطفة على كيان كلٍ من "كبير"، "كريشنا"، "المسيح". لقد ذقتَ طعم "بهاغوان". لقد تمكنتَ من رؤية شيء ذي أهمية بالغة للمرة الأولى، وعندما تذوقه مرة، سوف تُرحّب به أكثر فأكثر، وكلّما سنحت لك الفرصة ستجلس بصمت. لا داع إلى الذهاب إلى غصن الورود، بإمكانك أن تجلس بسكون في غرفتك، فالجدران جميلةٌ هي الأخرى.

يُقال انَّ "بودهيدهارما" جلس تسع سنوات قبالة الحائط لا يفعل شيئاً، جلس قبالة الحائط وحسب. اِجلس قبالة الحائط أحياناً، وانظُر إلى الجدار والحائط الأبيض الفارغ وحسب، لا شيء يُلهيك، فلا يُوجد ما يُقال. أينما كنتَ يُمكنك خلق الفاصل، الفراغ، الفجوة. عندما تكون هناك فجوةٌ بين فكرتين، اِقفز في تلك الفجوة واغطُس فيها.

إنّ اللغة هي المجتمع، وهي الحضارة، وهي الشيوعية. إنّ اللغة هي الأديان على تنوعها بينما تجد في الفجوة "المسيح"، "مُحمّد"، لقد نشأ القرآن في الفجوة.

يُقال: "أنه عندما سمع "مُحمّد" للمرة الاولى، رسولاً من عند الإله يقف أمامه يُطلب منه أن يقرأ باسم الإله العظيم. إنَّ كلمة قرآن تعني القراءة، ومنها اشتقت كلمة قرآن، لأنّ أول ما سمعه "مُحمّد" كان كلمة "اقرأ"، فأصابته الحيرة الشديدة، وقال" كيف أقرأ؟ ما أنا بقارئ؟ !". قال الملَك: "من أجل هذا السبب! اقرأ، لأنّ أولئك الذين يعرفون، لا يُمكنهم القراءة". قال "مُحمّد": "أنا أُميّ، ولا أعرف اللغة على نحو صحيح حتى. لا يُمكنني القراءة ولا الكتابة". قال الملَك: "بالتحديد!

من أجل هذا أقول لكَ اقرأ! لأنَّ أولئك الذين يعلمون، وبمقدورهم القراءة والكتابة قد ضلُّوا في معرفتهم. أنت طاهرٌ في هذه اللحظة: اقرأ. في هذه اللحظة الطاهرة تكلَّم الإله. في هذا الطهر، تكلَّمت روح الإله المكنونة. في هذا النقاء وُلد جمال القرآن.

حسناً، بإمكانك التوجه إلى فسحتك المكنونة وسيأتيك الرسول ويقول لك: "اِقرأ". أقول لك هذا لأنَّه حدث لي؛ ومن المُمكن أن يحدث لك.

حيثما يكون هناك فاصل أو فسحة، سيكون رسل الإله حولك. عندما يكون هناك صمت مُطبق، يكون الإله في داخلك، وأنت راضٍ ومُكتفٍ.

يجب ألا تُعطى اسماً،

خشية استدعاء خطأ الثنائية مُجدداً.

في اللحظة التي تُطلق اسماً على شيء ما، تخلق عالم الثنائيات، لقد استحضرت الازدواجية، والفصام الخفي "شيزوفرينيا" إلى الكون. في كلّ مرة تقول فيها: "هذا جميل"، تستحضر القبح إلى الكون. ألا ترى ذلك؟ في كلّ مرة تقول فيها: "أنا أُحبّ"، تجلب الكره إلى الكون. في كلّ مرة تقول فيها: "أنت صديقي"، تجلب العداوة إلى الكون. في كلّ مرة تقول فيها: "هذا جيد، صحيح، أخلاقيّ"، تجلب الفساد إلى الكون، لقد جلبتَ الشيطان إلى الكون. في الصمت المطبق، عندما لا تعلم ما الجيد وما السيء، وعندما لا تنطق بأيّ تسميات أو أسماء، في ذلك الصمت تختفي الثنائية، الانفصام، الانقسام، ويُصبح الكون واحداً.

إنّ الوحدانية هي الإله. وأن تعيش تلك الوحدانية هو معنى أن تكون "سادهو"، وأن تكون مُريداً "سانياسين".

يقول "كبير": أنصت إلى الكلمة، الحقيقة،

والتي هي جوهرك.

عندما تُنصت إلى مبادئك، وإلى التسميات، الأسماء، اللغة، فلن تستطيع الإنصات إلى الكلمة المُطلقة، ولن يكون في استطاعتك الإنصات إلى الكلمة "لوغوس"، أو ما يدعوه "كبير" "ساباد". إنّها تحمل المعنى ذاته الذي في الإنجيل والذي يقول: "في البدء كانت الكلمة"، لم يكن الإنسان، بل كانت الكلمة في البداية، ثمّ جاءت البشرية بعد ذلك بوقت طويل. "كانت الكلمة مع الإله، وكانت الكلمة هي الإله".

يستخدم "كبير" كلمة "ساباد"، وهي تعني الكلمة، "لوغوس"، أي الكلمة التي كانت قبل وجود الإنسان، والتي ستبقى بعد أن يختفي الإنسان، ولا علاقة لها بكلماتنا، فهي غير لغوية، وليست جزءاً من اللغة، إنّها "أومكار"، إنّها "آوم"، إنّها الصوت غير اللفظي للوجود. هو ما يدعوه مُعلمو "الزن": "صوت الصفقة بيد واحدة"، فلا تصادم بين الكفين. عندما تُصفّق بيديك، يخرج صوت ضربة، صوتٌ مخلوق، ناتجٌ عن التضارب، واصطدام اثنين.

كلا، يُوجد صوتٌ من الصفقة بيد واحدة، وليس ناتجاً عن التضارب، وإنّما عن التناغم المُطلق، إنه الصوت الناتج عن الواحد. تلك هي الكلمة، "ساباد"، الحقيقة. بيد أنه يجب عليك أن تُسقط اللغة كي يتكلّم الإله بلغته. ينبغي عليك أن تكون صامتاً تماماً قبل أن يُوصل الإله رسالته إليك.

بيد أننا نحمل فكرة خاطئة تماماً: نعتقد أنّه كي نصلي يجب أن نتحدّث مع الإله. كلا، إنّ الصلاة إنصات أكثر من كونها كلاماً، ومن الأفضل لك أن تُنصت ولا تتكلّم. لا يُمكنك أن تتفوّق على الإله، وأيّ كان الذي تقوله فسيكون دون معنى، ويكون سخيفاً، فهو يعرفه أصلاً، فما جدوى ذلك؟ التزم الهدوء، وابقَ صامتاً. وحاول أن تُنصت عوضاً عن ذلك. كُن حساساً، ولا تستعمل لسانك، بل استعمل الأذن عوضاً عن اللسان. إنّ الصلاة التي تصدر عن اللسان سخيفة ولا معنى لها. كأنّك

تُسدي النصح إلى الإله، وكأنّك تقول له: "قُم بالأمر على النحو التالي، لأنّ كلّ ما تفعله يفشل". تقول مثلاً: "إنّ زوجتي مريضة، اشفها مُجدداً. وأنا أتقدم في السنّ، امنحني المزيد من القوة، وزد في عمري"، وأشياء من هذا القبيل. إنّ صلواتك بأكملها هي بمثابة نصائح للإله عن كيف يجب أن تكون الأمور.

إنّ الإنسان الذي يُصلّي بحق لا يُمكنه أن يُسدي النصح إلى الإله؛ بل سيقول: "فلتكُن مشيئتك، إنّ ملكوتك قادم؛ كلّ ما تفعله هو الصواب. ربما ليس بمقدوري رؤية الصواب، ولا سبب كونه الصواب، ذلك هو جهلي، ولكن لا تستمع إليّ. حتى حينما أقول لك شيئاً بسبب جهلي، أرجوك لا تستمع إليّ أبداً، بل امضِ في فعل ما تشاء أيّ كان".

إنّ الصلاة الحقيقية ليست كلاماً، بل هي إنصات عميق. ببساطة، يجلس المرء صامتاً، مُنفتحاً، حساساً، يقظاً. ألم تُلاحظ؟ أحياناً وأنت تنتظر محبوبك، حبيبتك، صديقتك، تسمع حفيف الأشجار عندما تهب النسمات، فيما تسقط أوراق شجرة اللوز، تهرع قائلاً: "رُبّما جاءت، رُبّما جاء"، ولكنّه لا شيء سوى النسمات تلعب بالأوراق الميتة. تعود كي تنتظر من جديد، فيحصل شيءٌ آخر، ويتحرّك ساعي البريد في الجوار، وتسمع وقع أقدام، وها أنت مُجدداً عند الباب.

كما تُراقب كلّ إشارة بسيطة في انتظار محبوبتك، وتبقى يقظاً، كذلك يبقى ذهن المُصلّي يقظاً في انتظار الإله، وفي انتظار وصول كلمته. لا شكّ أنها ستصل! تأتي هذه اللحظة عند ظهور الكتاب المُقدّس داخلك، وعندما تشعر بحقيقة هذا الكتاب المُقدّس. إذا شعرتَ بها في جوهرك المكنون، تُصبح الكتب المُقدّسة جميلة، حينها يُمكنك أن تقرأ ما شئتَ من الكتب المُقدّسة، وسيكون ذلك أمراً مُمتعاً، وحينها تُصبح كلّ النصوص المُقدّسة حقيقية. أنت تعلم ذلك، وتصبح شاهداً عليه.

إنّ العكس ليس صحيحاً، فإذا رحتَ تقرأ الكتب المُقدّسة، فلن تتوصّل إلى الحقيقة من خلال ذلك فقط. بينما حين تصل، تُصبح كلّ الكتب المُقدّسة صحيحة. تأتي الحقيقة أولاً، وتكون الكتب المُقدّسة هي الظلال، والصدى.

يقول "كبير": أنصِت إلى الكلمة، الحقيقة،

والتي هي جوهرك.

إنّه يتحدّث كلمته هو،

وهو ذاته الخالق!

لا يُوجد هناك طرفان: عندما يتكلّم الإله، فهو يُخاطب ذاته، فليس هناك أحد غيره. أنت صامتٌ تماماً بحيث لا يكون هناك سوى الإله، حينها عندما يتحدّث إليك، فهو يتحدّث إلى ذاته. إنّه مشهد يُؤديه طرف واحد "مونولوج"، فما من أحد سواه. إنه يتحدّث إلى ذاته، ويهمس إلى ذاته.

ذلك ممكنٌ فقط عندما تمحو نفسك على نحو كامل. إذا كنتَ موجوداً هناك على أساس أنّك "الآخر"، فلا يُمكنه أن يهمس لك بشيء، رُبّما يستمرُّ في همسه، ولكنّك لن تتمكّن من سماع شيء. إنّ الآخر يحجبك، ويصمُّ أذنيك. يجب أن تُسقط الآخر، وذلك هو معنى الاستسلام.

في ذاك اليوم سأل أحدهم: "ما معنى الاستسلام؟". هذا هو معنى الاستسلام: أسقِط كونك الآخر. لا تنظر إلى نفسك على أنّك الآخر، ضع استقلاليتك جانباً. لا تقُل: "أنا"، دع الإله يحضر بكُليّته بحيث تغرق وتُبتلع وتضيع فيه. كُن موجة في المحيط، ولكن لا تدّعي أنّك مُنفصل عن المُحيط، ذلك هو معنى الاستسلام.

هناك شجرة عجيبة تنتصب من غير جذور.

وتحمل الفاكهة من غير إزهار،

ليس لها أغصان ولا أوراق،

إنّها اللوتس في كلّ مكان.

يقول "كبير": إنّ الإله هو السبب الأصيل. بالطبع، لا يحتاج الإله إلى سبب من أجل إيجاده. الإله هو الخالق ولا يُمكن أن تسأل مَن خلق الإله، فهو السبب الغني عن المُسبب.

هناك شجرة عجيبة.. هذا الإله، هذا الوجود، هو الشجرة العجيبة التي تنتصب من غير جذور.

حاول أن تفهم ذلك؛ إنّه أمر بسيط. لا يُمكن للكُليّة أن تتجذّر في شيء آخر لأنّها الكليّة، ولا وجود لشيء خارجها. إنّ الكُليّة مُتجذرة في ذاتها. حسناً، ستكون هذه الشجرة غريبة جداً، فهي مُتجذرة في ذاتها. يجب أن تضرب الشجرة جذورها في الأرض، فما بال هذه الشجرة تضرب جذورها في ذاتها؟ بيد أنه لا بُدّ للكُليّة أن تتجذّر في ذاتها، فلا يُوجد أيّ شيء سواها.

لا يُمكن أن يكون هناك سببٌ لوجود الإله، فالإله هو السبب المُطلق. هذا ما نعنيه بالإله: السبب المطلق، السبب الغني عن المُسبب، الذي طالما كان وسيبقى كذلك. لا شيء قبله ولا شيء بعده. ليس للإله ماض ولا مُستقبل، يمتلك الإله الحاضر وحسب، فهو أبديٌّ.

يقول "كبير": "إنّها شجرة غريبة، تنتصب من غير جذور، وتحمل الفاكهة من غير إزهار". يقول: "إنه أمرٌ غير منطقيّ تماماً". إنّ الوجود غير منطقيّ. هناك منطق في عدم منطقيته. إنّه أمرٌ غريبٌ ومُحيرٌ. إنه أمرٌ لا يُمكن اختزاله كي يُناسب القياس المنطقي

الإنساني. إنّها تنضج وتحمل الفاكهة دون أزهار.

ليس لها أغصان ولا أوراق،

إنّها اللوتس في كلّ مكان.

كيف يُمكن ذلك؟ اللوتس في كلّ مكان؟ ليس هناك إلا اللوتس، دون جذور، ولا أوراق، ولا أغصان. إنه الازدهار المُطلق. إنّ الإله هو المُطلق، الموجود أصلاً، ولا يُمكن أن يحدث له أكثر من ذلك. ليس الإله بذرة، فالبذرة هي شيءٌ لم يتحوّل بعد إلى زهرة. إنّ البذرة في انتظار أن يحدث لها شيءٌ ما. أما الإله فهو الموجود أصلاً، ولا يُمكن لشيء أن يحدث له.

هذا ما نعنيه عندما نقول إنّ الإله قد بلغ حدّ الكمال، فهو لا يحتاج إلى المزيد من النماء. لطالما كان على هذه الحالة من الكمال.

إنّها اللوتس في كلّ مكان.

هناك عصفوران يُغردان؛ أحدهما مُعلّم "غورو"،

والآخر مُريد:

لقد جعل الإله نفسه مُوزعاً بين عدة صور، ويستمرُّ في لعب اللعبة، "ليلى". في مكان ما هو الرجل، وفي مكان آخر هو المرأة، وهما يقومان بإغواء بعضهما، ويُغنيان أغاني الحُبّ، ويرقصان رقصة الحُبّ. إنه المُعلّم في مكان ما، والمُريد في مكان آخر، صورة عن القطبية ذاتها. إنه المادة في مكان ما، والعقل في مكان آخر. إنه الصوت في مكان ما، والصمت في مكان آخر. إنه الحياة في مكان ما، والموت في مكان آخر، ولكنّها القطبية ذاتها. إنّ عبارة "المُعلّم والمُريد" تعني الين واليانغ، الذكر والأنثى.

يختار المُريد فاكهة الحياة المُتنوعة.

كلاهما موجودٌ داخلك! إنّ المُعلّم هو جوهرك المكنون، وهو الشاهد، أمّا المُريد فهو الحدّ الخارجي، وهو عالمك، "السامسارا".

يختار المُريد فاكهة الحياة المُتنوعة.

ويعذوّقها، وينظر إليه "المُعلّم" بفرح.

إنّ المُعلّم في داخلك، والمركز في داخلك، ينظر إليك بفرح، وأنت تلعب ألعابك. ألم تُلاحظ ذلك؟ جرّب أن تنقل نفسك إلى موقع المُعلّم، وراقِب نفسك وأنت تلهو، راقِب كم لعبة سوف تلعب: لعبة الحُبّ، لعبة الطموح، لعبة الغضب، الحقد، كلّها ألعاب. بيد أنك إذا استغرقتَ في ذلك كُلياً، فهذا يعني أنك عدتَ مُريداً، ولو أصبحتَ يقظاً فأنت حينذاك المُعلّم.

هذا هو التغيير الوحيد، والنقلة الوحيدة المطلوبة، والتفاعل الكيميائي الوحيد. فقط راقب. لا يقول "كبير": "أوقِف الألعاب"، بل يقول: "فقط راقِب من موقع المُعلّم أيضاً".

ببساطة كُن المراقب في بعض الأحيان، وكُن الشاهد، وراقب المُريد وهو يلعب ألعابه. عندما تُخاطب زوجتك وتقول لها أموراً لطيفة وطيبة: راقِب. استمتع برؤية الأمر من موقع المُعلّم. قُم للحظة واحدة بنقل وعيك بأكمله إلى موقع الشاهد، كي ترى كم هي جميلة تلك اللعبة التي تلعبها.

إذا كان بوسعك الانتقال من المُعلّم إلى المُريد، ومن المُريد إلى المُعلّم، فلن تتورّط في أيّ لعبة. حينئذ ستبقى اللعبة لعبة، وبوسعك أن تلعبها قدر ما تشاء، كي تُرضي رغبات قلبك، ولكنك لن تتورّط على الإطلاق، ولن يتمّ تحديد هويتك. سوف تبقى حُراً على الدوام في هذا العالم "جيفان موكتا"، حرٌّ في الحياة، تحلم ولا تحلم في آن معاً.

تلك اللعبة التي تلعبها معي، لعبة كونك مريداً، قُم بمراقبتها. قُم في بعض الأحيان بالسماح لمركزك أن يُصبح المُعلّم، ولتكن اللعبة مُنطوية

على ذاتها. إنّها لعبة الانطواء على الذات: أنا أُحاول تدريبك وحسب عسى أن تتمكّن في يوم ما من جعل اللعبة برمتها مُنطوية على ذاتها. من الأسهل اللعب على مسرح الانطواء على الذات. على مسرح مُصمم. إنّه أمرٌ سهل. أنا المعلم وأنت المريد، ولذلك لا يُوجد حيرة شدّيدة. الأمور بسيطة: لك دورٌ، ولي دورٌ آخر. ينبغي عليك يوماً ما أن تنقل ذلك الدور إلى الداخل، أن تغمض عينيك وتسمح لمركزك أن يكون "بهاغوان"، وأن يكون مُعلّمك، وأن تكون حدودك الخارجية هي المُريد. ثمّ العب اللعبة ذاتها، وسوف تتحرر لديك طاقة هائلة، ويبزغ عيك فجر فهم عظيم. إنه الصباح، إذ تُشرق الشمس، وسترى اللعبة الخاصة بك. تذكّر، لا تسمح أن يتمّ إغراؤك بإيقافها، فلا عجلة. إذا تمّ إغراؤك بإيقافها، فسيتمّ تحديد هويتك كمُعلّم مُجدداً.

لا بُدّ من إسقاط تحديد الهوية. يجب أن يكون المرء حُراً في الانتقال من المُعلّم إلى المُريد، ومن المُريد إلى المُعلّم. هذه هي الحرية: أن تتحرّك بين المُتناقضات. من السهل جداً أن يتمّ تحديد هويتك كمُريد، أنت المُريد. حينها يكون هناك المُعلّم الذي تمّ تحديد هويته كمُعلّم: كلاهما في المسار ذاته، والقارب ذاته. كلاهما في وهم عميق، فالمُعلّم الحقيقي هو الذي لا يتمّ تحديد هويته كمُريد ولا كمُعلّم، فمَن يدري "الكيانان لي، والقطبان لي".

يجلس المُعلّم في المركز، بينما يُتابع المُريد اللعب، ولا يتدخّل المُعلّم حتى، ولا يقول: "لا تفعل هذا!". من المشهور أنه أثناء اللعب كلّ شيء مسموح، بل قد تُمارس الغشّ أحياناً. في اللعبة كلّ شيء مسموح. اللعب هو اللعب، ولا يكون المرء أميناً فيه، ولا يكون جدياً حياله، إنّها مُجرّد لعبة، ولكن يبقى الشاهد، ثمّ تستمرُّ اللعبة، ولكنها تتوقف أيضاً على مستوى أعمق. تستمرُّ اللعبة، وتبقى الأمواج في حركة على السطح، بينما المُحيط ساكن تماماً في الأعماق. هذه هي الحالة عندما تكون

"المسيح" أو "بوذا" أو "كريشنا". هذا ما كان "كريشنا" يُحاول قوله لمُريده "آرجونا": "لا تقلق حيال اللعبة، العب! إذا حان دورك كي تلعب لعبة المُحارب، وتخوض هذه المعركة، حارِب. فقط ابق في المركز، واستمرّ في مُراقبة كونها لعبة. لا داعي إلى أن تكون جدياً حيالها".

سوف تتفاجأ عندما تعلم أنّ "كريشنا" هو المُعلّم العظيم الوحيد في العالم الذي عُرف عنه أنّه مارس الغش. يدعوه الهندوس "المُعلّم الأكمل"، وهو كذلك. لم يكن "راما" بمثل كمال "كريشنا"، فقد كان يخشى الغشّ كثيراً، وكان أميناً على نحو تامّ. لقد كانت الأمانة قيده، ولم يكن مُرتاحاً. إنّه الكاهن المثالي: لقد أنكر كلّ الأخطاء، ولكن هذا يُعتبر جدية، ويُبين أنّك ما زلتَ تأخذ الموضوع بجدية كبيرة. أنت لا تعتبر الموضوع لعبة.

أمّا "كريشنا" فهو مُختلف تماماً: إنّها لعبة بالنسبة إليه. إنّه يقطع وعداً يوماً ما، وينساه في اليوم التالي. إنّه مُتحررٌ حقاً، وتحرره مثاليّ، وخال من العيوب، لأنّه يعلم أنّ كلّ شيء عبارةٌ عن لعبة. إذا كان الأمر بأكمله لعبةً وحلماً، فلماذا القلق؟ إنّه ليس قلقاً ولا مُنزعجاً. إنّه يلعب هذه اللعبة، ويبقى غير مُتعلق.

إنّ "كبير" هو المُعلّم المثالي مُجدداً. فهو لم ينعزل عن العالم، بل بقي فيه كربّ بيت. لقد كان له زوجة وأولاد، واستمرّ في مُمارسة عمله. كان يحيك الثياب، وكان رجلاً فقيراً، فاستمرّ في الحياكة، وواصل بيع أقمشته في السوق، وعاش حياة عادية جداً. كان لديه آلاف المريدين يأتونه ويقولون: "أيها المُعلّم، لماذا تستمرُّ في عمل هذه الأمور؟ فقط اجلس، قُم بالتأمل، استرِح. نحن هنا، لماذا يجب أن تفعل أيّ شيء؟". بيد أنّه كان يقول: "كلا. أيّ كانت اللعبة التي أعطاني إياها الإله، يجب عليّ أن ألعبها. إنّها مفيدة، وأنا أستمتع بها. سأفتقدها كثيراً في حال توقفتُ

عنها". سوف أفتقد زبائني في السوق. إنّهم ينتظرونني، أنا أحيك لهم، ويأتي الإله من خلالهم كي يشتري. كلا، سوف يشتاقون لي كثيراً. مَن سيحيك لهم مثل هذه الملابس الجميلة؟ لا يُمكن لأحد أن يحيكها بمثل الجمال الذي أحيكها به.

لقد كان يحيك طوال النهار، ويذهب مع حلول المساء إلى السوق، فالحائك في "الهند" يذهب إلى السوق كي يبيع الملابس، أو كلّ ما أنتجه. يقول لكلّ زبون من زبائنه: "رام، أيها الإله، هل جئت، هل كنتَ تنتظر؟ لقد صنعتُ من أجلك قطعةً جميلةً جداً، سوف تدوم. أنا لم أقم بحياكتها وحسب، بل وضعتُ فيها فؤادي كلّه. اِعتنِ بها، لقد صنعتُها بحُبّ".

لقد تابع حياته. وبقي شخصاً عادياً، ومع هذا كان لديه وعيّ استثنائيّ رائع.

إنّ المُعلّم موجود في داخلك، إنّه مركزك، بينما الحدّ الخارجي هو المريد. عندما يظهر المركز، حينها يكون المُعلّم الخارجيّ مُجرّد انعكاس. حينها ستكون مُمتناً للمُعلّم الخارجي، لأنّه لفت الانتباه إلى الداخلي.

يختار المُريد فاكهة الحياة المُتنوعة.

ويتذوّقها، وينظر إليه "المُعلّم" بفرح.

ما يقوله "كبير" صعب الفهم:

العصفور عصيّ على البحث،

رغم أنّه واضح جداً للعيان.

إنّ المركز عصيّ على البحث، ولا يُمكنك البحث عنه لأنّه موجود أصلاً، فلا يُمكن السعي وراءه. لا بُدّ من اكتشافه وحسب؛ إنّه هناك بالفعل.

أرسل لي "بريم بودهي" قصة طريفة، نكتة كان يحكيها "ديك غريغوري" الكوميدي الأمريكي الأسود:

أيّها الذئاب البيض، لا بُدّ أنكم مجانين حقاً، مثلاً حين أتيتم إلى "أمريكا" ادعيتم أنكم اكتشفتم بلاداً لم تكن مأهولة في ذلك الوقت من قبل الهنود الحمر وحسب، بل كانوا يستثمرونها أيضاً. ثمّ تقولون أنّكم اكتشفتموها؟ لا بُدّ أنّكم مجانين.

يُشبه الأمر أن أمشي وامرأتي في الطريق، ونلتقي بك أنت وامرأتك تركبان سيارة "كاديلاك" جميلة وجديدة، فتقول امرأتي: "رائع! يا لها من سيارة جميلة! أتمنى لو كانت لي"، فأقول لها: "مارثا، هيا بنا نكتشفها!".

على الطريقة الأمريكية: هيا نكتشفها!

إنّ العصفور الداخلي، والعصفور الخارجي موجودان، عليك اكتشاف ذلك على الطريقة الأمريكية. لم يُفقد ولم يضع على الإطلاق، لأنّه محجوز مُسبقاً. وأنت تستعمله أصلاً! رُبّما لا تعلم ذلك، أنت تستعمله فعلاً، بل أنت مُتمركز فيه، ومن دونه سوف تتبعثر إلى أجزاء، فهو يُبقيك مجموعاً، وهكذا يُمكنك اكتشافه على الطريقة الأمريكية: "مارثا هيا بنا نكتشفها!".

إنّه يتجاوز البحث لأنه هو الباحث في حقيقة الأمر. كيف يُمكن البحث عن الباحث؟ وهو أيضاً المبحوث عنه. هو الرحلة وهو الغاية، هو البداية وهو النهاية. هو المُريد وهو المُعلّم.

العصفور عصيّ على البحث،

رغم أنّه واضح جداً للعيان.

عالم اللاشكل هو الوسط بين كلّ الأشكال،

أنا أُنشد مجد الأشكال.

يقول كبير: أنا أُغني مجد الأشكال، لأنّه لا يُمكنني أن أُغني مُمجداً

عالم اللاشكل. لا يُمكنك أن تُغني مُمجداً الإله، ذلك غير مُمكن. يصعب اختزال الإله في أغنية، ومن الصعب اختزاله في كلمات. من أجل ذلك يقول "كبير": "حسناً، إذا كان من الصعب تمجيد الإله في أغنية؟ فسأُغني مُمجّداً الأشكال المُتنوعة. سوف أُغني مُمجّداً الوردة، وأُغني مُمجّداً العين البشرية. وأُغني مُمجّداً النهر في الليل، وأُغني مُمجّداً الغيمة البيضاء، وأغني مُمجّداً الشمس والنجوم".

هكذا دعونا نُغني ونُمجّد الصور المُتنوعة، وسيكون ذلك تسبيحاً للإله على نحو غير مُباشر. لا يُمكن تسبيح الإله مُباشرة، ولا بُدّ للمرء من أن يكون غير مباشر إلى حدّ بعيد. يُمكنك الثناء على الإله من خلال وردة، أو من خلال صخرة جميلة، أو من خلال امرأة أو رجل جميلين. يجب أن تُغني مُمجّداً الوجود.

تلك هي الطريقة الوحيدة لعبادة الإله. لا تذهب إلى المسجد، ولا إلى المعبد، بل غنِّ مُمجّداً النظام الكامل المُتناغم الجميل حولك: غنِّ للورقة اليانعة على الشجرة، غنِّ مُمجّداً قطرات الندى الطازجة على العشب، غنِّ مُمجّداً النجوم والسماء، غنِّ مُمجّداً الحُبّ الإنساني. انظُم الشعر، أبدع في النحت، قُم بتأليف الأغاني، كُن خلّاقاً، لأنها الطريقة الوحيدة كي تُقدّم نفسك على أعتاب الإله. يقول "كبير": أنت لا تدنو من الإله، إلا عندما تكون مُبدعاً.

حصري لقناة عشاق الكتاب

الفصل السادس

الثالوث الداخلي

صباح 26 كانون الأول، قاعة "بوذا"

السؤال الأول:

تقوم مدرسة "ستاينر" لدراسة طبائع البشر بتعليم الإنسان كيفية التحلّي بإرادة قوية. الأمر الذي يُعتبر خروجاً على الفكر الشرقي التقليدي. ما هي هذه الإرادة؟ وما علاقتها بالأنا؟

لقد عمل الشرق والغرب كقطبين متعاكسين إلى اليوم. الغرب من خلال الإرادة، والشرق من خلال الاستسلام، الغرب من خلال الأنا، والشرق من خلال النبذ المُطلق للأنا. إنّ طريقة الغرب هي طريقة ذكورية، وطريقة الشرق هي طريقة أنثوية.

يُؤمن الشرق بالخمول: يأتي إليك الإله عندما تكون خاملاً تماماً، مُتقبلاً، وتكون لا شيء، في حال انتظار ورع، دون بذل أيّ مجهود من قبلك. أمّا طريقة الغرب فهي هجومية، ذكورية. لا بُدّ للإنسان من أن يبحث، وينبغي عليه أن يخرج، لا بُدّ أن يغزو. حتى الإله يجب أن يتم غزوه.

لقد فشل كلاهما، لأنّ كلّ منهما مُتحيز، ولذلك كان لا بُدّ لهما أن يفشلا. لقد فشل الشرق فشلاً ذريعاً تماماً كما فشل الغرب، لأنّ الإنسان ليس رجلاً وحسب، أو أنثى وحسب، بل هو الاثنين معاً، وأكثر. إنّ الإنسان هو الين واليانغ. هناك حاجةٌ ماسةٌ إلى دين عظيم مُركّب، يتخلّى فيه كلّ من الشرق والغرب عن صراعهما القديم.

لقد كان "ستاينر" يُمثل الفكر الغربي، وقد ثار على التصوّف وخلق مدرسة جديدة اسمها "علم طبائع البشر". بينما كان يُمثل الفلسفة الصوفية الشرقية: "بلافاتسكي"، "آني بيسانت"، "ليد بيتر"، "كلوت".

لقد بحثوا في الشرق، في الكتب المُقدّسة القديمة، وفي التقاليد، وعند المُعلّم العجوز، وتوصلوا إلى استنتاج عن الشرق مفاده أنّك عندما تستلم، يحدث الإله.

إنّ كلمة "theosophy" أي التصوف مؤلفة من شقين: الشقّ الأول "theo" يعني "الإله"، والشقّ الثاني "sophy" يعني "الحُبّ". أنت ببساطة تعيش كامرأة، وتنتظر وتبقى في مزاج من الترحيب. كلّ المطلوب هو جوّ الترحيب هذا، وعندها يتغلغل الإله فيك. تُصبح أنت الأنثى، وهو الذكر. تلك هي رمزية "كريشنا" مع صديقاته. إنّ "كريشنا" هو الإله، وهو الذكَر، أما المُحبّ والباحث فهو الأنثى، والصديقة، "GOPI". لا بُدّ للإنسان أن يُصبح مؤنثاً كي يصل إلى الإله، فطالما كان ذلك هو جوهر الفكر والدين والفلسفة في الشرق.

لقد ثار "ستاينر" ضدّ ذلك. لقد كان صوفياً في بداية الأمر، ولكنه أدرك تدريجياً أنّه غير قادر على قبول ذلك، فأنشأ حركة جديدة ضدّ الصوفية، ومدرسة جديدة. أطلق عليها اسم "anthroposophy" وهي كلمة من شقين، الأول "Anthropo" يعني الإنسان، والشقّ الثاني "sophy" يعني "الحُبّ". إنّ فلسفة التصوف تُمثل حُبّ الإله، أما علم طبائع البشر فهو

يُمثل حُبّ الإنسان. لقد وضع الإنسان في المحور تماماً، ولم يعُد الإله محور تفكيره، بل أصبح الإنسان هو المحور.

بالنسبة إلى الفلسفة الصوفية "theosophy"، يكون الإله هو المحور والمركز: يعزف "كريشنا" على نايه، ويرقص الإنسان حوله، أو الصديقات، أو "الغوبي". إنّ الإنسان موجودٌ على الحدّ الخارجي والهامش، والإله في المركز. بينما قام "ستاينر" بقلب الأمر رأساً على عقب، فوضع الإنسان في المركز. وأصبح الإنسان هو الموضوع المحوري. لقد أصبح الإنسان هو الموضوع المحوري في الغرب، بينما بقي الإنسان في الشرق هامشيّ.

حسناً، لقد أخفق سعي كلا الاتجاهين، لأنّهما مُتحيزان. فالإنسان مُؤنث ومُذكرٌ في آن معاً. لا بُدّ أن يكون الأمر كذلك، أنت مولودٌ لأب وأمّ، فكيف لك أن تكون رجلاً فقط أو امرأة فقط؟ ما زالت أمك تعيش داخل روحك، وأبوك كذلك الأمر. ينبغي عليك أن تكون حالة انسجام عميق بين الاثنين.

أنا أعتبر الإنسان مُتديناً، إذا تمكّن من التوصّل إلى تناغم عظيم داخل ذاته، وتناغم بين أمه وأبيه أي أنوثته وذكوريته، فهما لا يزالان يتعاركان داخلك، ولا يزالان يتشاجران. لم يتشاجر أمك وأبوك عندما كنتَ طفلاً وحسب، بل لا يزالان يتشاجران في كلّ خلية من خلاياك.

هكذا هناك احتمالان: الإنسان الذي لا يزال في صراع ولم يتوصّل بعد إلى فهم عميق لمُتناقضاته، وعليه أن يختار. إذا فضّل الذكر فسيُصبح أنانياً، مع صفة "اليانغ"، وإذا فضّل المرأة، واختار اليان، أي المرأة، فسيُصبح مُستسلماً. في كلا الحالين سوف يُعاني طرفٌ ما. سوف يُعاني الجزء الذي لم يتمّ اختياره، ولن تتمكن من أن تُصبح كلّاً على الإطلاق، وأنّى لك أن تُصبح مُقدّساً إذا لم تكن الكلّ؟ سوف ينتقم الجزء المُهمل

والمنبوذ، ويُصبح الجزء الذي تجاهلته هو عقلك اللاواعي، فاللاوعي ليس سوى الجزء المنبوذ من كيانك.

من المُحتمل أن يختفي العقل اللاواعي في مستقبل البشرية. إذا توقّفنا عن الرفض، سوف يختفي اللاوعي، ويُصبح الإنسان واعياً تماماً، وهذا ما نعنيه بكلمة "بوذا" أي الروح اليقظة. ذلك يعني أنّه لم يعُد هناك جزء منبوذ، فقد استوعبتَ كُليّتك، وقبلتَ كلّ جوانبك، وأصبحتَ مُتعدد الأبعاد. لم تعد القطبية الآن مُتعاكسة، بل أصبحتَ مُكمّلة لبعضها البعض، فالمرأة في داخلك تُعين الرجل، والرجل الذي في داخلك يُعين المرأة. لقد أُغرما ببعضهما البعض، واختفى الصراع. لقد أصبحا واحداً، وتزوجا. هذا هو الزواج الروحاني، وفقط من خلال هذا الزواج سوف تُولد أنت. فقط من خلال هذا اللقاء القلبي للمتناقضات سوف تُولد أنت.

هذه هي الفلسفة الكاملة لمبدأ الثالوث، وهو مبدأ جميل وله العديد من المعاني: الإله الأب، الابن، والروح القدس. بالطبع، إنَّ روح القدس ليس اسماً صحيحاً، ولا بُدّ أنَّ الأشخاص الذين صاغوه كانوا ذكوراً مُتعصبين. إنَّ كلمة "روح القدس" ليست صحيحة، بل "الأمّ" هي الكلمة الصحيحة. إذاً هم الأب، الأم، الابن. حينها يكون الأمر صحيحاً تماماً وواقعياً.

إنّ الأب والأم موجودان في داخلك، أمّا الابن فما يزال مفقوداً. لم يلتقِ أبوك وأمك في داخلك، بل تقابلا في الخارج، وهكذا خُلق جسدك. عندما يلتقيان في داخلك، سوف تُولد روحك، ويُولد الابن، وذلك هو ميلاد "المسيح".

لقد عانى الشرق لأنّه أصبح مُؤنثاً، ولذلك لم يستطع أحدٌ غزوه: لقد خسر قوة الإرادة، وخسر الزخم، والحماسة للحياة، وفقد الحيوية. لقد أصبح مُستسلماً للقدر، وأصبح مُسترخياً تماماً. إنَّ تاريخ الشرق بأكمله

هو تاريخ الغزو من قبل الآخرين، تاريخٌ من الفقر، تاريخٌ لا علم فيه ولا تقنيات، وليس بالتاريخ الجميل.

نعم رُبّما ظهرت بعض الشخصيات الرائعة: "بوذا"، "مهافيرا"، "كريشنا"، "كبير"، "ناناك"، "دادهو"، وهم ثلةٌ من الأشخاص الرائعين، ولكنَّهم مُجرّد استثناء، ولا يُمكن الاعتماد عليهم، فالأغلبية الساحقة، وأغلب البشر عاشوا حياةً سيئةً، وتعيسة للغاية، وفي ألم عميق. نظراً لهذا الكلفة المُرتفعة، في حال ظهر "بوذا" أو "كبير" أو "ناناك"، فلن يكون ذا قيمة، فالثمن باهظ جداً.

لقد عانى الغرب من التوجّه الذكوري: الصدام، الصراع، العنف، القتال بلا هوادة، حيث لا مجال للركون إلى الراحة، وحيث التوتر الشديد في الذهن، التوق للسرعة، الطموح، التنافس على قطع الرقاب، فالكلّ يُحارب الكلّ، والبيئة شديدة العدائية. بطبيعة الحال، فقد خلق ذلك أشخاصاً مجانين، وأناساً عصابيين. على الرغم من ذلك، ظهر العديد من الأناس الرائعين على الهامش: "المسيح"، القدّيسة "تيريزا"، القدّيس "فرانسيس"، "إيكهارت"، ولكنّ هذا لا يُعتبر نجاحاً، فقد فشلَت الفلسفة، وأخفق كلّ من الشرق والغرب.

إنّ جهدي بأكمله، وما أُحاول فعله هنا هو أن أُقرّب بين الشرق والغرب، إذ يُمكن لهذين الاثنين أن يلتقيا. كان "كيلينغ" على خطأ عندما قال: الشرق هو الشرق والغرب هو الغرب، ولا يمكن لهذين الاثنين أن يلتقيا أبداً. أما أنا فأقول يُمكنهما أن يلتقيا، بل يجب أن يلتقيا. فاليوم كلّ شيء يعتمد على ذلك اللقاء، حتى إمكانية استمرارية البشرية مُستقبلاً تعتمد على ذلك اللقاء. لا بُدّ من إثبات خطأ "كيلينغ". لم يسبق لهما أن التقيا حتى الآن، هذا صحيحٌ، وهو على حقّ فيما يخصّ الماضي، ولكنه على خطأ فيما يخصّ المستقبل. يجب أن يكون على خطأ، وإلا فلا

يُمكن للإنسانية أن تستمرّ في الوجود. يُعاني كل من العالَمين، فالشرق يُعاني من الفقر الظاهري، والغرب من الفقر الداخلي. لقد أخفق الاثنان إخفاقات هائلة، قد تكون الإخفاقات عظيمة، ولكنّها تبقى إخفاقات.

على الإنسان أن يكون مزيجاً من الإرادة والاستسلام. على الإنسان أن يُنمّي أولاً قوة إرادته، والأنا لديه. إنّ توجهي هو التالي: إنّ الحياة سوف تمتدّ بمُتوسط سبعين سنة، ولذلك يجب أن تكون الخمس وثلاثين سنة الأولى مُكرّسة من أجل تقوية الأنا وقوة الإرادة. على المرء أن يُصغي إلى "نيتشه"، "ستاينر"، "فرويد"، ولا بُدّ من تعزيز الأنا، وجعلها مُكتملة تماماً.

بعد مُضي خمس وثلاثين سنة الأولى على المرء أن يتعلّم الاسترخاء، ويتعلّم إسقاط الأنا، ويتعلّم كيف يغدو أكثر استسلاماً للإله. يُمثل الغرب الجزء الأول من الحياة، بينما يُمثل الشرق الجزء الثاني من الحياة. ينبغي أن تبدأ الحياة على الأسلوب الغربي، وتختمها على الأسلوب الشرقي. ينبغي أولاً على الإنسان الانخراط في العالم، حيث تكون الإرادة مطلوبة، ويجدر على الإنسان أن ينطلق ويُحارب ويُناضل، لأنّ النضال يمنحه ذكاءً حاداً. بيد أنه لا يجدر به الاستمرار في القتال والقتال إلى ما لا نهاية. وإلا فما جدوى ذلك؟

ناضِل، اشحذ ذكاءك، واعرف مسالك هذا العالم، وطُف حوله، وكُن الفاتح، ثمّ قُم بعد ذلك بالتوجّه نحو الداخل. لقد تعرّفتَ على العالم الخارجي؛ حاول الآن أن تتعرّف على العالم الباطني.

من أجل أن يتعرّف على الباطن على الإنسان أن يسترخي، وينسى القلق والكرب والتوتر. على المرء أن يكون غير تنافسي؛ فلا حاجة إلى الإرادة هنا. أنت في حاجة إلى الإرادة كي تغزو العالم، ولكن لا حاجة إلى الإرادة كي تغزو الإله. أن تغزو الإله يعني أن تدع الإله يغزوك، وأن تسترخي وتستسلم على أعتابه.

حسناً سيبدو ذلك شديد الصعوبة، ومُخالفاً للمنطق على نحو شديد. أنا شخصٌ غير منطقي، وإليكم فهمي للأمر: إنّ الأنا القوية وحدها تستطيع أن تستسلم، أما الأنا الضعيفة فليس بمقدورها الاستسلام.

ألتقي يومياً بأشخاص ذوي أنا ضعيفة. كلّما أتتني أنا ضعيفة، فهي تتردد: هل تستسلم أم لا، هل تأخذ المُريدية أم لا. ولكن ما سبب خوفه؟ إنّه خائف لأنّه يعلم أنّ لديه أنا ضعيفة جداً، ولو استسلم فسيضيع، ولن يكون قادراً على الوقوف. إنّه يخشى ضعفه الداخلي. إنه يتظاهر من الخارج، لكنّه يعلم حقيقته من الداخل، ويعلم انّه ليس جاهزاً، وبالتالي يُصبح دفاعياً، ويُدافع.

كلّما جاء شخص لديه أنا قوية يقول: "حسناً، دعنا نرى، فلنُجرب هذا أيضاً". إنه يعلم، وهو واثقٌ بما فيه الكفاية أنّه حتي لو ذهب في طريق مجهول، فلا يزال قادراً على حماية نفسه، وفي حال قرر أن يعود أدراجه، يستطيع العودة، فلديه ما يكفي من الثقة بالنفس، وما يكفي من الإرادة.

تذكّر أنّ الاستسلام هو آخر وأعظم درجات الإرادة. ليس الاستسلام بالأمر الزهيد ولا السهل، وليس أمراً تلجأ إليه لأنك لم تعُد قادراً على الصمود، أو لأنّك تتداعى بالفعل فتقول: "حسناً، استسلم"، ولا لأنك لم تعد قادراً على الوقوف على قدميك.

ليس الاستسلام عجزاً. لا ينتج الاستسلام عن الضعف، بل عن قوة جبارة.

لقد جرّبتَ سبل الإرادة كلّها ولم تجد شيئاً، وبحثتَ في جميع إمكانات الأنا ولم تجنِ سوى المُعاناة، إنّه ببساطة أمرٌ مؤلم. ثمّ تُقرر: "لماذا لا نُجرّب الحلّ النهائي، ونتخلّى عن الأنا".

كي تُسقط الأنا، أنت في حاجة إلى إرادة عظيمة، وإلا فلن يكون من السهل إسقاطها. إنّه أعظم عمل في الكون، وهو العمل النهائي.

وحدهم الشجعان قادرون على ذلك. سوف تتفاجأ عندما تعلم أنه في "الهند" كلّ المخلّصين العظماء، تجسّد الإله "أفاتاراس"، كانوا مُحاربين "كشاتريا". كذلك "بوذا"، "مهافيرا"، والرواد الروحيين "تيرثانكاراس" الأربع والعشرون في "اليانية"، كلّهم كانوا مُحاربين "كشاتريا". لا يُمكن أن يكون كلّ ذلك مُصادفة. لماذا جاء كلّ هؤلاء العظماء من المُحاربين، ولماذا يتكلّمون عن الاستسلام؟ ويقولون: "الاستسلام هو السبيل". لقد كانت لديهم الإرادة كي يستسلموا. إنّ "البراهمي" لم يصل بعد إلى مستوى "بوذا" أو "مهافيرا". لكن لماذا؟ لأنّ "البراهمي" لا يتمتع بإرادة. لقد فكّر منذ البداية في الاستسلام، ولكنه لم يتوصّل إلى إرادة تُمكّنه من الاستسلام.

دعونا ننظر إلى الموضوع من زاوية مُختلفة: عندما يُريد رجل فقير أن يتنازل عن شيء، عن ماذا سيتنازل، ما الذي يملكه كي يتنازل عنه؟ ما معنى تنازله؟ أمّا عندما يُقرر شخص من عائلة "روكفلر" الثرية التنازل يكون لتنازله معنى، ويكون لذلك التنازل ثقله، لأنّ لديه ما يتنازل عنه.

عندما يُعلن مُتسوّل قائلاً: "لقد تنازلتُ وتخلّيتُ عن العالَم"، سيضحك الناس، فهو لا يملك ما يتنازل عنه في المقام الأول. بينما عندما يتنازل الملك، فذلك التنازل ذو معنى، فهو رجلٌ عرف الثروة، النفوذ، الإرادة، ومعرفته لكلّ هذه الأشياء، حملته على فهم أنّها ليست أقصى شيء في الحياة. إنها مُفيدة في البداية، ومن المفيد للفتية أن يلعبوا بها كدمية، أما بالنسبة إلى أولئك الذين أصبحوا ناضجين فهو أمرٌ غير مُفيد، ولا بُدّ لهم من إسقاطه.

نُقدّم للأطفال الصغار الدمى كي يلهوا بها. في اليوم الذي يُصبحون فيه أكثر نُضجاً، يرمون تلك الدُمى، ويبدؤون في طلب ما هو حقيقي. نمنحهم لعبة قطار، فيقولون: "اِنسَ أمرها"، نُعطيهم لعبة طائرة، فيقولون

"ارمها، أُريد سيارةً حقيقية، طائرة حقيقية. أُريد الشيء الحقيقي".

ليس بإمكان الأنا إلا أن تُعطيك دمىً تلهو بها، وهي ضرورية، وإلا فلن تكبر ولن تنضج على الإطلاق. يوماً ما ستُدرك "الآن أريد الشيء الحقيقي"، فالشيء الحقيقي هو الإله. ومن أجل أن يحدث الإله، يجب عليك أن تستسلم.

لقد كان "ستاينر" على خطأ، لأنّ فلسفته مُجتزأة. أما أنا فأتحدّث عن الفلسفة الكاملة.

حتى عمر الخامسة والثلاثين، اسلُك سبل الكون، وسبل الإرادة. عزّز الأنا قدر ما تستطيع بالمعرفة، والقوة، والمال، والطموح. عِش الحياة، لأنّها الطريقة الوحيدة كي تعرفها. اذهب إلى أسفل جحيم يُمكن أن يُتيحه لك العالم، تعرّف عليه لأنّك من خلال معرفته فقط سوف تتحرر.

بعدها وعلى حين غرة سيبزغ عليك النور، وسترى عبثية ذلك بأكمله، وتبدأ رحلة العودة إلى البيت؛ وتعود أدراجك في اتجاه المصدر والمنبع. خُض غمار العالم خمس وثلاثين سنة، وفيما تبقى من وقت عُد إلى نفسك. اخسر نفسك أولاً كي تربحها ثانياً. ارتكب الذنوب في البداية، كي تُصبح قدّيساً في النهاية. أمّا إذا كنتَ قدّيساً منذ البداية، فلن تكون قداستك ذات قيمة كبيرة.

أنا لستُ ضدّ الخطيئة، ولستُ ضدّ أيّ شيء. إستخدم كلّ شيء وتعمّق فيه. لقد سخّر لك الإله هذا الكون من أجل هدف مُحدد، وهذا الهدف هو التعلّم. إنّ الخطيئة درس وشيء واجب. في حال كان الطفل قدّيساً منذ نعومة أظفاره، وأجبر على أن يكون قدّيساً، فلن يشتدّ عوده. دعه يعرف أولاً ما الخطيئة. دعه يُصبح واعياً بمفرده، ثمّ يتخلّى عنها من تلقاء نفسه. لا تقُم بإكراهه، ولا تقُم بتأديبه. أعطه الحرية في التحرّك كي يكون قادراً في يوم من الأيام على أن يُبصر بعينيه، ويشعر بقلبه. أعطه

الحرية كي يتمكّن من إدراك أنّ "بوذا" على حق، وأنّ "كبير" على حقّ، وأنّ "المسيح" على حقّ.

بيد أنّ ذلك يجب أن ينبع من فهمك أنت، وإلا سيكون الأمر مُستعاراً، ومُزيفاً. لا يُريد الإله من أحد أن يُكرر أيّ أحد أبداً. كُن أصلياً، ولتكن تجربتك أصلية.

هكذا، ما أقوله لك هو التالي: لقد أصبحَت الإرادة والاستسلام جزءاً من حياتك جنباً إلى جنب، لأنّك امرأة ورجل في آن معاً، وأنت الشرق والغرب في آن معاً. إنّ العالم واحد، والكرة الأرضية قرية صغيرة. كلّ الفروقات قائمة على المنفعة، وليست حقيقية.

ما الشرق وما الغرب؟ ما الاستسلام، وما الإرادة؟ كلاهما جزء من الموجة ذاتها. ليسا اثنين بل وحدة واحدة، وهما عنصران لشيء واحد، وظاهرة واحدة.

هكذا، اكبر بالإرادة، ولا تخَف. كُن أنانياً على نحو قوي، لا تخف. دَع ذلك يُؤلمك، وليكُن عذاباً لذاتك، وسرطاناً لروحك، وفي يوم من الأيام قُم بإسقاطه، وسيكون ذلك الإسقاط نابعاً من شعورك وتجربتك أنت. إنّه أمرٌ جميل.

هناك خطرٌ يجب أن أُحذرك منه. يتجلّى الخطر في أننا قد نتبادل الأدوار عوضاً عن الوصول إلى توليفة بينهما، قد يُصبح الغرب شرقاً، والشرق غرباً. ذلك احتمال واردٌ جداً، ويبدو ذلك وارداً أكثر نظراً إلى غباء البشرية. يُحاول الشرق أن يُصبح كالغرب: أي تقنياً أكثر، علمياً أكثر، مادياً أكثر، شيوعياً أكثر. في الواقع، سيضحك عليك سكان "بونا": "ما الذي تفعله هنا؟ وما هو "هنا" في المقام الأول؟ التأمل؟ ما هذا الهراء!". إنّهم يُريدون الذهاب إلى الغرب كي يعرفوا المَزيد عن الهندسة، الالكترونيات، الحواسيب، القنابل الهيدروجينية والذرية، كيفية بناء

سفن الفضاء، كيفية جمع المزيد والمزيد من الثروة. إنهم يرغبون في أن يُصبحوا أكثر دنيوية وإنتاجية، وأنت قادمٌ إلى هنا؟ هل جُننت؟ وعندما يذهبون إلى الغرب لن تستطيع أن تُصدّق ما الذي يفعلونه هناك؟ أنت تضيق ذرعاً بماديتك، فما الذي يحملهم على الذهاب إلى هناك؟ كي يستزيدوا من العلوم التقنية؟ كي يُدمّروا الغلاف الجوي الطبيعي؟ من أجل تلويثه؟ من أجل تدمير البيئة؟ ما الذي يدفعهم إلى الذهاب إلى الغرب؟ لقد طفح الكيل بالغرب من التقنيات. يُحاول التفكير الغربي المُعاصر الابتعاد عن التقنيات، على الأقل يُعارض الجيل الجديد التقنيات قطعاً. يستطيع الجيل الجديد في الغرب فهم "بوذا"، أكثر من فهمه لـ"أينشتاين"، ويستطيع الجيل الجديد فهم "مهافيرا" العاري، أكثر من فهمهم لكلٍّ من "داروين"، "إيدينغتون"، "روثرفورد".

بيد أنّ الجيل الجديد في الجامعات والمعاهد الشرقية، يلهث وراء "روثر فورد"، "أينشتاين"، "ماكس بلانك"، كيف سيعرفون المزيد عن العلوم؟

من المُرجّح أن ينقلب الشرق غرباً، والغرب شرقاً، وتستمرُّ الحماقة: أنتما تبتعدان عن بعضكما من جديد، لقد فشل اللقاء مجدداً.

لا بدّ أن يحصل اللقاء: ذلك هو أمل الإنسانية الوحيد. يجب أن يحصل اللقاء في كلّ فرد منا. لا يُمكن أن يحصل هذا اللقاء في الكتب والفلسفات، ولكن لا بُدّ أن يحصل من خلال كلّ فرد منا.

هذا ما تدور حوله "التانترا" بأكملها، فالتانترا هي العلم الأقدم الذي يُعلّمك كيفية الوصول إلى التناغم الداخلي، العرس الداخلي، النشوة الداخلية، إذ تلتقي المرأة والرجل في داخلك، ويُنجبان الطفل، وهذا الطفل هو "المسيح". حينها تُصبح ثالوثاً: الأب والأمّ والابن. عندما تُصبح ثالوثاً، تكون قد حققتَ التوازن، وتمكّنتَ من الوصول إلى

البيت. أنت تعلم الآن ما الحياة، وقد حققتَ الغاية.

السؤال الثاني

أنا مُقامر في الحياة. لقد سببتُ المُعاناة تقريباً إلى أغلب الأشخاص القريبين مني. لقد خدعَت عيناي الجميع حتى الآن، وعندما يقول لي الناس أحياناً، نتيجة مُعاناة سببتها لهم: "أنت روح طيبة"، فهو جزءٌ من لعبتي في خداع نفسي، والشعور بارتياح حيال كلامهم. الآن في الاجتماع الأول "دارشان" معك مُعلّمي العزيز نظرتَ في عينيّ وقلتَ إنني شخصٌ طيبٌ جداً. بيد أني الآن وأنت تقول لي هذا، وأنت المُعلّم، لا يُمكنني أن أخدع نفسي بعد اليوم، ولا يُمكنني قبول هذه الكلمات منك. ما الذي تفعله؟ أنا مُحتارٌ جداً، تائهٌ جداً. هل خُدعت بي أنت الآخر؟ أم أنك تُغامر بي؟ أرجوك لا تُقامر، أرجوك ساعدني على التخلّي عن اللعب. لقد تأذى كياني مُعلّمي العزيز، كيف خُدعتَ بي؟

أنا لم أُخدع، ولهذا قلتُ لك إنّك روح طيبة. لقد أردتُ أن أوطّد الأمر من البداية. لقد أردتُ جلب الموضوع إلى السطح، طالما كانت تلك مُشكلتك. أنا هنا كي أجعل مشاكلك تطفو على سطح وعيك. أنا لم أُخطأ، لقد تمّ الإيقاع بك. أنا لم أُخدع.

ليس من عادتي أن أقول ذلك، ومن النادر أن أقول لشخص ما: "أنت روح طيبة"، لأنّ الناس ليسوا كذلك! من النادر أن أقول ذلك، ولكن كان عليّ أن أقوله لك لأنّ هذه لعبتك القديمة، ومن الجيد جداً من البداية أن أكون واضحاً حول ذلك: يجب ألا تُلعب هذه اللعبة هنا.

يُوجد عند كلّ فرد نقطة ضعف مُحددة، ويستمرُّ هذا الضعف لأنّك غير مُدرك له. لقد أردتُ أن يكون الأمر واضحاً تماماً لك، وقد نجح ذلك.

لقد كانت مُقابلتك الأولى معي، وكان السؤال من قِبل "فيديا"، وقد أردتُ أن أثير الموضوع من البداية منذ مقابلتك الأولى معي. تكلّمتُ

عن طيبتك كي أخلق المشكلة بحيث تتمكّن من مُواجهتها. من الجيد أنّها سببت قلقاً لديك، وانّها أثارت سؤالاً في داخلك، وأنّك أُصبت بالحيرة والارتباك. إنّ إرباكك هو أحد أساليبي في التعامل معك.

عندما تكون واضحاً وصافي الذهن، تكون أناك تحت السيطرة، فالوضوح عندك ما هو إلا أناك تحت السيطرة. بيد أنك عندما تحتار، يتمّ إلقاء الأنا لديك خارج المركز، وحينذاك أنت لا تعرف هذا من ذاك.

إنّ أول ما أقوم به عندما تأتيني هو إرباكك، وأن أُفقدك توازنك بحيث لا تبقى أناك القديمة تحت السيطرة، ولا تدري ما الذي يجب فعله. عندما لا تدري ما الذي يجب فعله، فقط حينها سوف تسألني. وإنّه لأمرٌ جيد أنّك سألتني.

تقول" أرجوك لا تُقامر بي"، أنا لا أُقامر. "أرجوك ساعدني على التخلّي عن اللعب"، ولهذا بدأتُ هذه اللعبة من خلال وصفك بالروح العظيمة، الروح الصالحة، الروح الطيبة للغاية. من أجل مُساعدتك على التخلّي عن سلوكك الأناني.

سوف يتحقق ذلك: سوف تُصبح روحاً طيبة. أنت لستَ كذلك، هذا صحيح، ولكنّ إدراكك أنك "لستَ روحاً طيبة" هو البداية. عندما تُدرك وتقول: "أنا لا أدري"، فهذه هي الخطوة الأولى، عندما تُدرك أنك "لم تنضج بعد"، وأنك "ما زلتَ بعيداً جداً"، فهذه هي الخطوة الأولى.

إذا بقيتَ تعتقد أنّك روح طيبة، وأنت لستَ كذلك، حينها لن يكون هناك أملٌ بالنسبة إليك. يُشبه الأمر المريض الذي يعتقد أنّه في حالة صحة، وأنّه على ما يُرام، فلا يذهب مُطلقاً إلى الطبيب. فما الفائدة؟ إنّه في حالة صحة، إنّه يعتقد أنّه مُعافى، بينما يستمرُّ المرض بالانتشار.

عندما جئتني، قمتُ بتشخيص مرضك بدقة. طالما كان هذا مرضك، وطالما كنت تعتقد أنّك صالحٌ، وطالما كنتَ تخدع الناس بطيبتك،

وعندما يثق بك الآخرون ويتمّ خداعهم، فأنت تُخدع بخداعهم. هكذا استمرُّ الأمر في تغذية نفسه، وأصبح دائرة مُفرغة.

أنت لستَ صالحاً، ولكن يُمكنك التظاهر بالصلاح. يُمكنك من خلال التظاهر خداع الآخرين. عندما يُخدعون، بالطبع، تنظر إلى صورتك في عيونهم، وتشعر بسعادة كبيرة. هكذا تفاقمت الأمور، فعندما تشعر بالسعادة، تُحاول أن تكون أكثر صلاحاً، وعندما تُحاول ان تكون أكثر صلاحاً، يظنّ الشخص بطبيعة الحال أنك روحٌ طيبةٌ بالفعل، على درجة "مهاتما". أنت ترى في عينيه انعكاسك أكثر زخرفة وأكثر جمالاً، فتُخدع من جديد. يجب عليك الآن أن تُحاول أكثر، لأنّ هذا الشخص حاضر، وتستمرُّ اللعبة. هكذا تحدث الأمور في حياة الجميع.

عندما تُصادف رجلاً أو امرأة، تنظر إلى المرأة، وهي تنظر إليك. تنظر إليها بإعجاب، فتنظر هي في عينيك وترى صورتها المعشوقة، فتشعر بشعور جميل. لقد كانت تتوق إلى مَن يُعيرها انتباهه، وها أنت تُعيرها انتباهك. تشعر بشعور رائع، ولهذا تنظر إليك بإعجاب. عندما تنظر إليك نظرات الإعجاب، أنت بالطبع تنظر في عينيها، فلم يسبق لك أن رأيتَ صورتك بهذا الجمال، فتشعر بشعور رائع للغاية يغمرك. لقد تمّ تعزيز الأنا لديك، فتُحاول أن تكون أكثر تحبباً، وهكذا تستمرُّ اللعبة.

تقع في الحُبّ. إنّ تسعاً وتسعين من علاقاتك العاطفية سخيفةٌ بكلّ بساطة. ليس ما تُسمّونه رومانسية إلا غباء، إذ يُغذي كلٌّ منكما مشاعر الآخر، ويُساعد كلٌّ منكما الآخر. ذلت يوم سوف تُصابان بالصدمة، فأنتما اليوم تُريدان أن تبقيا قريبين من بعضكما، أشدّ قرباً، تُريدان أن تكونا معاً على مدار أربع وعشرين ساعة، وها أنتما مُستعدان من أجل الزواج، ثمّ تقضيان شهر العسل، ثمّ تتعودان على بعضكما البعض، ثمّ يُؤكّد الواقع نفسه.

لا يُمكن نكران الواقع فترة طويلة. هذا السبب الكامن وراء عدم انخراط مَن تُسمّونهم الأشخاص العظماء أو القديسين العظماء في السوق، بل يذهبون إلى "الهيمالايا". لو عاشوا في السوق، يستحيل إلا أن يُؤكّد الواقع نفسه عاجلاً أم آجلاً. لا يُمكن هزم الواقع إلى الأبد. يُمكنك أن تؤلّف قصةً خياليةً بضعة أيام، بضع لحظات، ولكن لا يُمكنك أن تعيش في هذه القصة إلى الأبد. ذلك غير مُمكن. لا بُدّ للخيال من أن يصطدم بالواقع، وعندها سينهار.

إذا كنتَ تُريد أن تُحبّ امرأةً حقاً، فلا تتزوجها أبداً. إذا كنتِ تُريدين أن تعشقي رجلاً حقيقةً، اهربي منه إلى أبعد ما يُمكن. حينها سيبقى الحُبّ مُستمراً. بيد أنك إذا أردتَ تحطيم العلاقة العاطفية برُمتها، تزوّج، وخير البرّ عاجله. اقضِ شهر العسل، وسُرعان ما سينتهي شهر العسل، وينقضي وينتهي كلّ شيء. ستنظر إلى المرأة ذات صباح، وتشعر أنّها امرأةٌ عاديةٌ.

ألم تسمع الحكاية القديمة؟ لقد وجدَت الأميرة ضفدعاً، فقال لها الضفدع: "سيّدتي أنا مسحورٌ، وأنا على هذه الحال منذ خمسة آلاف سنة. إذا أخذتني وسمحتِ لي بالنوم معك في سريرك، سوف أُصبح أميراً جميلاً مع حلول الصباح". لا بُدّ أنك سمعتَ أمثال هذه القصة.

قامَت الأميرة باصطحاب الأمير، وفي الصباح تحوّل إلى أمير وسيم.

بيد أنّ الحقيقة هي العكس تماماً: أنتِ تُحضرين أميراً وسيماً، وفي الصباح يتحوّل إلى ضفدع! كلّ أمير ينقلب إلى ضفدع في نهاية المطاف. عندها تُصابين بالحيرة: "ما الذي جرى؟ ما الخطأ؟".

لم يحصل أيّ خطأ، فالضفدع ضفدع. لقد كان الأمير فكرةً في ذهنكِ، وتحقيقاً لأمنيتك. كنت ترغبين أن تحظي بأمير، وهكذا حصلتِ عليه. كنتِ تتوقين، وتُسقطين أمنياتك على الواقع، وتحلمين.

عندما تأتيني، سوف تُصدم من عدة جهات، وتحتار من عدة جهات.

يجب عليّ أن أُعرّي ذهنك، إنّه أمرٌ مؤلم، وليس بالعمل اللطيف. إنّه عملٌ جراحيٌّ. من أجل هذا أصرُّ على أن تُصبح مُريداً في البداية، قبل أن أبدأ في الجراحة، لأنّك لو لم تكن مُريداً، فمن المُحتمل أن تهرب في خضم الجراحة، وسيكون ذلك أشدّ خطراً، لأنّك حينها ستُصاب بالجنون: فالعمل لم يكتمل، وقد تمّت إزالة شيء، ولم يُخلق شيءٌ مكانه.

من أجل هذا أصرُّ على أن تُصبح مُريداً في البداية، لأنّه حينها يُمكنني أن أثق في أنّك سوف تستلقي طوال الوقت اللازم من أجل إجراء العملية على الأقل، وأنّك ستبقى على سرير العمليات، ولا تهرب. سوف تثق بي، وإلا يُمكن أن أقوم بإزالة جزء منك، ثمّ تقوم بعدها بالهرب، وحينها ستكون في أسوأ حالة مررت بها على الاطلاق. إنّ العمل لم يكتمل.

لن تكون مُمتناً إلا عندما يتمّ تجديدك بالكامل: فقط عندما تُقتل وتُعاد ولادتك من جديد. قبل ذلك سيكون هناك الكثير من الألم. يمر النمو من خلال الألم، والكثير من المُعاناة، فليس النماء بالأمر الزهيد.

وهكذا فقد بدأتُ في الواقع بالعمل عليك: عندما ناديتكَ الروح الطيبة، ألقيتُ شبكتي. رُبّما تعتقد أني أخطأتُ، ولكنني لم أفعل.

دعني أُخبرك بطرفة:

وقف رامي السكاكين الماهر ومُساعدته الحسناء أمام خيمتهما في المعرض الدولي، فيما راح المُذيع يصف الحدث الرائع الذي سيتمّ تقديمه داخل الخيمة.

انجذبت السيدة "سيلاس هوكينز" إلى رامي السكاكين بينما لاحظ السيد "هوكينز" في المُساعدة الحسناء انحناءات لم يُشاهدها من قبل. قاما بدفع قطعتين نقديتين بسيطتين "واحد من عشرة أجزاء من الدولار"، ودخلا الخيمة. بعد طول انتظار وقفَت المُساعدة الحسناء أمام الجدار الخشبي، وخلعَت ثوبها اللمّاع. تنهّد السيد "سيلاس هوكينز" بصوت

مسموع، ثمّ قام رامي السكاكين بالصعود على المنصة، وهذه المرة كان دور السيدة "هوكينز" في التنهّد. سحب رامي السكاكين ذراعه إلى الخلف، ورمى السكين الفولاذية بخفة في الهواء، وسرعان ما انغرزَت السكين في الجدار الخشبي على بعد ثمن إنش من الأذن الوردية للمُساعدة. قفز السيد "سيلاس هوكينز" على قدميه وصرخ: "تباً! لقد أخطأها".

أنا لم أُخطأ. لقد أصبتُك تماماً حيث أردتُ أن أُصيبك. لقد حرّك ذلك كلّ الاضطرابات فيك، وجلب كلّ قاذورات اللاوعي إلى السطح. لقد بدأ العمل، والآن إذا سمحتَ لي، فإنّ المزيد من الصدمات في طريقها إليك. كلّما سمحتَ لي أكثر، كان هناك حاجة إلى المزيد من الصدمات. إنّه أمر شاق. سوف تكون إعادة ولادتك من جديد عمليةً شاقة، وهذا هو الميلاد الحقيقي.

حتى في الولادة الجسدية هناك ألم، وهناك صدمة، وهناك مُعاناة. هذه هي الولادة الروحية. لقد أهداك والداك "أبوك وأمك" الولادة الأولى، والآن يُهديك مُعلّمك الولادة الجديدة، حيث ستُولد كياناً روحياً. لا بُدّ من استئصال الكثير، وإسقاط الكثير. لا بُدّ من الإبقاء على الأمور الجوهرية فقط، أمّا غير الجوهري فيجب تدميره كُلياً. أنت لا تعرف ما الجوهري، فالأمور غير الجوهرية هي التي حددَت هويتك.

هكذا ينبغي عليك استئصال هويتك القديمة وعلى نحو تدريجي. عندما قلتُ لك إنك روح طيبة، جعلتُك تُدرك حقيقة مُعينة وهي أنه طالما كانت هذه لعبتك حتى اليوم، ولكن ليس بعد الآن. أنا لا أُقامر بك.

بيد أنه يجب أن تكون الأمور واضحة منذ البداية، وينبغي أن تكون مُدركاً لما سوف يحدث. أنا لستُ هنا كي أُواسيك. أنا لستُ هنا كي أُقدّم لك أيّ نوع من السلوان، بل أنا هنا كي أُدمّرك تماماً، لأنها الطريقة الوحيدة من أجل منحك ولادةً جديدة.

كان الملا "نصر الدين" يهمُّ بمُغادرة مكتبه في أوانه المُعتاد، في الثالثة والنصف، عندما لمح سائق شاحنة يقف على الرصيف ويتصارع مع حقيبة مليئة بالكتب.

تطوّع الملا قائلاً: "سوف أُساعدك". أمسك الاثنان بطرفي الحقيبة، وراحا يزفران ويلهثان عدة لحظات، ولكن من دون جدوى.

تنهّد المُلا قائلاً: "أخشى أنّه لا فائدة، لن تتمكّن مُطلقاً من وضعها على الشاحنة".

صرخ السائق: "على؟ ! أنا أُحاول إنزالها عن الرصيف!".

من أجل ذلك يجب أن يكون الموضوع واضحاً منذ البداية، ستُحاول إنقاذ نفسك بينما أُحاول تدميرك. بإمكاني النظر إلى داخلك مُباشرة، لأنّ السمة الرئيسة لديك واضحة إلى درجة لا يُمكن إخفاؤها.

عندما كان المريدون يذهبون إلى "غوردجيف"، كان ينظر في داخلهم، ويقوم بخلق ظروف تُمكّنه من اكتشاف سماتهم الرئيسة، لأنه ما لم يتمّ معرفة السمات الرئيسة، فلا يُمكن للعمل أن يبدأ. إذا كان أحدهم جشعاً، فمُشكلته هي الجشع، ولو رحتَ تتكلّم عن الغضب أو الجنس، فليست تلك مشاكله.

ستتفاجأ عندما تعلم أنّه ليس لدى الأشخاص الجشعين مشاكل جنسية. لهذا السبب يتعين على طائفة "مارو ادي" تبني الأطفال. لا يملك الجشعون طاقة جنسية، فطاقتهم بأكملها تتحرّك من خلال الجشع، ويُصبح المال هو المحبوب، بينما لا يهتمون بالمرأة أبداً.

هكذا إذا طلبتَ من شخص ينتمي إلى طائفة "مارو ادي" أن يُؤدّي قسَم التبتل، فسيكون مُستعداً، ولن يكون الأمر صعباً عليه، ولكن إيّاك أن تطلب منه التنازل عن ماله أو ثروته، فتلك هي مُشكلته. لا يكترث

السياسي بالمرأة كثيراً، لأنّ توجهه بأكمله، وحتى توجهه الجنسي، مُوجّه نحو السياسة. إنه يُريد أن يصل إلى "دلهي"، "موسكو"، "واشنطن"، وطاقته بأكملها معنيّة بذلك، وقد حلّ الطموح لديه مكان الجنس. إنه يُريد دخول العاصمة، فهي المرأة بالنسبة إليه. إنّ طموحه كالجنس بالنسبة إليه، ولذلك يستطيع تجاهل النساء، ولن يكون مُهتمّاً كثيراً بهنّ. حالما يصل إلى "دلهي" رُبّما يُفكّر بالنساء، ولكن ليس قبل ذلك.

حصل هذا في "الهند" قبل الاستقلال، فقد كان كلّ السياسيين "مهاتما" عظماء، وحكماء يخدمون الناس ويعزفون عن الزواج، ولديهم استعدادٌ عظيمٌ من أجل التضحية. بيد أنهم فجأةً عندما وصلوا إلى السُلطة، اختفوا جميعاً، وتلاشت طاقتهم. لقد تمّ توظيف طاقتهم في الوصول إلى "دلهي"، وها قد وصلوا إليها، فماذا بعد؟ إنّ طاقتهم موجودة، ولا بُدّ من عمل شيء بتلك الطاقة. ثمّ أصبحوا فيما بعد معنيين بألف أمر وأمر.

لا بُدّ من معرفة السمات الرئيسة، فهذا سمته الأساسية الغضب، وذاك الخداع، وذاك الأنا، وذاك الجشع، أحدهم لديه الغيرة، والآخر لديه حُبّ التملك: هؤلاء أنماطٌ مُختلفة من الناس. بيد أنك عندما تأتي إلى المُعلّم، فبإمكانه النظر إليك مُباشرة، لأنّ صفاتك الرئيسة هي روحك تقريباً. أنت لا تعرف ما هي روحك في معزل عن تلك السمات، بيد أنّ سماتك الرئيسة موجودة، وهي تتوهّج.

ذات مرة واجه "شارلوك هولمز" الدكتور "واطسون" بالعبارة التالية: "أيها الطبيب العزيز، أراك لم تلبس سروالك الداخلي الشتوي".

يُفترض أنّ "واطسون" أجاب قائلاً: "مُذهل، كيف استنتجت ذلك؟".

فسّر "هولمز" الفذ قائلاً: "أمر بديهي، لقد نسيتَ أن ترتدي بنطالك".

تذكّر، أنك بالنسبة إليّ بلا بنطال على الدوام، وما من طريقة لخداعي. قد أكون فظاً في بعض الأحيان، ومُؤدباً في أحيان أُخرى، وقد لا أقول

لك ما الذي أُبصره داخلك، وقد أشعرُ أحياناً أنَّ الوقت ليس مُناسباً. بيد أنّك كلّما جئتني، وقابلتني، وذلك هو معنى "دارشان"، فأنت عار تماماً بالنسبة إليّ. ربما لا أقول شيئاً أبداً بينما أنتظر الوقت المناسب. وقد أُباشر العمل دون قول شيء، فالأمر نسبيّ، ولكنّ احتمالية الخداع معدومة.

لو أمكنك خداعي لما كنتُ قادراً على مُساعدتك! أستطيع أن أكون مُفيداً فقط، عندما لا تتمكّن من خداعي.

السؤال الثالث:

لطالما أخافتني المُنظمات لأنني أشعر أنّ هناك شراً كامناً فيها، وربّما شراً لا بُدّ منه. إنّ مؤسسة "راجنيش" مُنظمة، وهي تملك كلّ الإمكانيات كي تُصبح مُنظمة واسعة النفوذ. هلّا أخبرتني عن سبب كون المنظمة أمراً ضرورياً؟

نعم، لأنّ الشر ضروريٌّ.

السؤال الرابع:

لماذا نضع مئة وثمان خرزات على السبحة؟ هل هذا لهذا علاقة بعالم الدين الشعائري؟

نعم إنّه ينتمي إلى الدين الشعائري. لا تكُن شعائرياً، ولكن لا تكُن ضدّ الشعائر أيضاً، فالقليل من الطقوس جميل. من الخطأ أن تُصبح شعائرياً، ولكن لا بأس بالقليل من الشعائر. يُضيف القليل من الشعائر نكهةً على الحياة، وهي كالملح في الطعام، يُعطيه النكهة. إنّ الحياة دون أيّ نوع من الشعائر فقيرةٌ جداً، وحياة جدباء.

تُصادف شخصاً ما في الطريق وتقول له "مرحباً"، هذا طقس. يسألك: "كيف حالك؟"، فتُجيب: "بخير"، هذا طقس. أنت لست بخير وهو يعلم ذلك، وأنت تعلم والجميع يعلم. تلتقي بأحدهم في الطريق وتبتسم، هذا طقس. فقط راقِب، وستجد أنّ الحياة تحتاج إلى بعض الطقوس.

إنها تجعل الحياة تجري بسلاسة، وهي بمثابة زيت التشحيم. أما لو غدَت الحياة بأكملها شعائرية، فسيكون الأمر خطيراً، كأنّك تأكل الملح فقط. إنّ القليل من الملح في الطعام مُفيد، أمّا أن تقتات على الملح وحده فهذا خطير جداً، وقد تموت من ذلك. بيد أنّ الامتناع عن الملح نهائياً خطر هو الآخر. تذكّر هذا دائماً: أنا لا أُعارض أيّ شيء بالمُطلق، كما أنني لا أُؤيد أيّ شيء بالمُطلق، بل أُحافظ دائماً على التوازن.

إنّ الثوب البرتقالي، السبحة، القلادة، هي شعائر بريئة، ولكنّها تضيف نكهة. إنّها تمنحك شعوراً بالجماعة. يحتاج الإنسان إلى بعض الخيال كي يعيش، فالحقيقة قاسية. نعم، سوف تتمكّن يوماً ما من مُواجهة الحقيقة، أما الآن فلا. عليك أن تجتاز عدة مراحل، ولا يُمكنك التخلّي عن جميع التخيّلات إلا عند القفزة النهائية. حتى آنذاك قد لا تتخلّى عنها لأنّها جميلةٌ في حدّ ذاتها. إنّها ليست حقيقية، ولكنّها جميلة في حدّ ذاتها.

أنا لستُ ضدّ الطقوس. ما أقوله ببساطة هو أنّ الطقوس ليست ديناً، بل الطقوس هي الطقوس. والقليل من الطقوس مُفيدٌ دائماً: إنّها تُحافظ على توازنك، وتُبقيك عاقلاً، وإلا بدأ الناس في التحرّك نحو التطرّف. إنّ ديانة بعض الناس شعائرية بالكامل، وليس فيها أيّ وجه للحقيقة على الإطلاق. ثمّ هناك "كريشنامورتي"، والذي تقوم فكرته بأكملها على عدم وجود الشعائر. ليس فيها شعر، ولا خيال، ولا أسطورة، ولا صلاة، ولا تأمل، ولا شيء، وإنما مُجرّد عرض عار وأعزل للحقيقة.

أنا لا أؤمن بالنقيضين. أُريدك أن تتذكّر البهلوان الذي يمشي على الحبل المشدود، وأن تُبقيه دائماً في بالك، فهو رمز الحياة. عندما يميل إلى الجهة اليسرى، ويشعر أنّه إذا مال أكثر قليلاً سيقع، فإنه يُسارع مُباشرةً إلى الحفاظ على توازنه من خلال الميل إلى الجهة اليمنى. ثمّ

عندما يشعر أنّه سيقع إلى اليمين، يعود ويُوازن نفسه من جديد من خلال الميلان إلى اليسار. إنّه يميل باستمرار من اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين. هذه هي الكيفية وهذا هو السرّ الذي يستطيع من خلاله أن يُبقي نفسه في الوسط. يجب عليه الميل إلى اليسار، كما يجب عليه الميل إلى اليمين. كي يبقى في الوسط عليه أن يكون غير عقلاني إلى حدّ بعيد، لأنّ المُنتصف ليس ثابتاً، بل مُتحرّك. إنّ الحياة ليست جامدةً.

وهكذا باستمرار، إذا رغبتَ في إبقاء نفسك مُتوازناً، مُعافى، سليم العقل، عليك أن تميل إلى كلا الجانبين: القليل من الطقوس في بعض الأحيان، ولا طقوس في أحيان أُخرى. القليل من النصوص المُقدّسة أحياناً، ولا نصوص في أحيان أُخرى. القليل من العبادة أحياناً، ولا عبادة في أحيان أُخرى. القليل من الصلاة في بعض الأحيان، ولا صلاة في أحيان أُخرى. من خلال هذه الطريقة ستُصبح بهلواناً.

تذكّر، أُعيدها ثانية: إنّ الوسط ليس وضعية ثابتة، ولا يُمكنك أن تقف هناك وحسب، ولا يُمكنك أن تقول للبهلوان: "لماذا تميل يمنة ويسرة؟ لماذا تُتعب نفسك؟ قِف في الوسط وحسب!"، لأنه حينها سيقع. إذا كنت ثابتاً فستموت.

إنّ الحياة هي عملية حركة، وهي كالنهر. اذهب وراقِب النهر. يتدفّق أحياناً إلى الشمال، وأحياناً إلى الشرق، وفي أحيان أُخرى إلى الجنوب، ويستمر في التعرّج إلى الجانبين. وفي يوم ما يصل إلى المحيط. كلّ الأمور نسبية.

السؤال الخامس

تناهى إلى سمعي أنّ هناك غرفةً في الزاوية "أشرام" تُدعى: مكتب الداعية العظيم المُغري لكبار السن. كم عمر كبار السنّ هؤلاء؟

هذا السؤال من "آستا".

حسناً، إنّه أمرٌ تقني، ولكني سأحاول أن أُقدّم لك تصوّر إنسان عادي. سأعطيك العنوان حيث يُمكنك إيجاد رأي أكثر خبرة، وأوسع اطلاعاً.

أجل، هناك منظمة سرية هنا في الزاوية تُسمّى المُريدية SIN ويَرمز الحرف الأول إلى كلمة الإغواء، أي الإغواء بمُريدية جديدة. هذا هو اسم المُنظمة SIN وهناك ثلاثة فروع لها: للأطفال، لكبار السن، ولمن بينهما. فرع الأولاد مُخصص لمن هم دون سنّ الرابعة عشرة، لأنّه عند حصول البلوغ الجنسي لا يعود الطفل طفلاً، بل في الواقع يُصبح مُستعداً من أجل إنجاب أطفال جدد، ولذلك لا يُمكن أن يكون طفلاً. هكذا يُمكنك هنا تحديد خط فاصل، أربع عشرة سنة هو الخط المُحدد للأطفال: بعد ولادتهم بأربعة عشر سنة. كما أنه قبل الموت بأربع عشرة سنة هو الخط المُحدد من أجل كبار السنّ، فإذا كان مُتوسط عمر الإنسان سبعين سنة، فالسادسة والخمسين هو الخط المُحدد لمرحلة كبار السنّ، وبين هذين الحدين تتدرج باقي الأعمار.

إذاً فهناك ثلاث فئات، وثلاثة فروع لمنظمة SIN: عند الأطفال، هناك "ميدارثا"، "بورفا" من أجل الرعاية، وعند الفئة العمرية المتوسطة هناك "تيرثا"، "مانيشا"، وعند المُسنين، هناك "باريتوش"، "باريجات".

بيد أنّ هذا التصنيف إلى ثلاث فئات هي الأطفال، ومتوسطي العمر، وكبار السن موجودٌ هنا فقط. أمّا في "أمريكا" فهناك فقط فئتان: الأطفال والكبار، ولا يُوجد مرحلة وسطى بينهما. إنّه أمرٌ غريبٌ ذاك الذي حصل في "أمريكا"، إذ يُحاول الناس أن يبقوا أطفالاً أطول فترة مُمكنة، ويستمرّون في دفع الحدّ الفاصل إلى الخمسين، ويبقون أطفالاً، وفي الخامسة والخمسين، يبقون أطفالاً، وفي السادسة والخمسين يبقون أطفالاً. ويحلّ آخر يوم في السنة وهم في السادسة والخمسين ويبقون أطفالاً.

عندما يعجزون عن دفع الحدّ الفاصل أكثر، ويستحيل ذلك، يُصبحون ببساطة كباراً في السنّ، وينتقلون من الطفولة إلى الكهولة مباشرةً.

لقد سمعتُ عن بائع ناجح مُتجوّل من باب إلى آخر. كان كلّ زملائه مُتعجّبون لأنهم كانوا يبيعون البضاعة ذاتها، ولكنهم لم يكونوا في درجة نجاحه. كان يكسب تقريباً عشرة أضعاف ما كانوا يكسبونه. من أجل ذلك أقاموا له حفلة وسألوه: "أرجوك أخبرنا عن سرّك؟ "، فأجاب: "ليس بالأمر الكبير، إنّه أمر بسيط. حتى لو فتحَت لي الباب سيدة عجوز بغيضة في الستين من عمرها، أقول لها: "طفلتي، هل أمّك في البيت؟"، فينجح الأمر! ويتمّ الترحيب بي على الفور".

لقد فقد الأمريكان صوابهم، فاختفت لديهم كلّ الحدود الطبيعية، وأصبح الناس ينتقلون ببساطة من الطفولة إلى الشيخوخة. من أجل هذا نشأت مُشكلة كبيرة اسمها الفجوة بين الأجيال، لأنه لا يُوجد ما يربط بينها، وأصبح الجسر مقطوعاً.

إنّ الأمريكان مجانين. وكما قال الإيطالي العجوز: دعوني لا أقوم باستباق الأمر، إذ يجب أن أخبرك القصة أولاً.

دخل "والاس ريبرن"، مؤلّف كتاب "بعضه كان مُسلياً"، "SOME OF IT WAS FUN" إلى مدينة "نابولي" الإيطالية مع القوات المُنتصرة التي هزمت النازيين عند نهاية الحرب العالمية الثانية. عرض عليه أحد أبناء المدينة أن يُعرّفه على أخته في البيت.

سأل "ريبرن": "هل هي جميلة؟".

أجاب الرجل بحماس: "أجل، جميلة، جميلةٌ!".

"شابةٌ؟"

"نعم، نعم، نعم!".

واصل "ريرن" أسئلته: "هل هي عذراء عفيفة؟".

تحوّل عنه ابن المدينة قائلاً: "هؤلاء الأمريكان والكنديين كلّهم مجانين".

لقد تمّ نسيان كلّ الحدود الطبيعية، وكلّ الأمور الطبيعية. قد لا يكون هذا التصنيف قابلاً للتطبيق في "أمريكا"، ولكن هنا... باستثناء "أمريكا"، في كلّ مكان في العالم هذه الحدود الثلاثة موجودة: الأطفال: الذين ليس لديهم بعد اهتمام بالجنس، وكبار السن: الذين فقدوا اهتمامهم بالجنس؛ وهناك الفئة التي بينهما: الذين ما زالوا يتأرجحون، وما زالوا على الحبل المشدود.

بالطبع بإمكان الأطفال هداية الأطفال، وهكذا "سيدارثا" و"بورفا" صغار. قد تجد الآن "سيدارثا" الصغير يجوب أنحاء "أمريكا"، يُحاول هداية الاطفال هناك، لأنّه في ذلك البلد يُوجد أكبر عدد من الأطفال في العالم. من أجل الفئة في الوسط، هناك "تيرثا" و"مانيشا" المسؤولون عنهم في منظمة SIN، ومن أجل كبار السن هناك "باريجات" و"باريتوش".

هكذا "آسثا" إذا كنتَ ترغب في رأي أكثر اطلاعاً وخبرةً، فاذهب إلى "باريتوش"، فهو المسؤول. إنه الآن مشغول جداً، لأنّ الكثير من الآباء جاؤوا في عطلة الميلاد، وهو يقوم بدعوتهم من أجل الدخول في المريدية الجديدة. من أجل مُساعدة الناس وضع أحدهم ملاحظة على بابه، وهكذا نشأ لديك هذا السؤال، لقد وضع أحدهم على باب "باريتوش" ملاحظة: مكتب المُغوي العظيم لكبار السن، فقط من أجل مُساعدة الناس، بحيث يهتدي مَن يبحث عنه بسهولة إليه.

السؤال السادس

ما هو موقفك من المال؟

لقد عشتُ وكان لديّ مال، وعشتُ ولم يكن لديّ مال، ولديّ

اعتراف: إنّ العيش ولديك مال، أفضل بكثير من العيش دون مال. المال مفيدٌ، ولكن يجب ألا تدعه يستغلّك، هذا كلّ ما في الأمر. أنا لستُ ضدّ المال، ولا بُدّ من الاستفادة منه. إنّه ابتكار نافعٌ وجيدٌ يُساعد كثيراً. إنّه مفيد على نحو هائل، ولكن عليك أن تستغلّه، ولا تدعه يستغلّك.

لا ينبغي أن يكون المال سيدك، بل يجب أن تكون أنت سيده، هذا كلّ ما في الموضوع. إذا كان عليك أن تختار، أنصحك أن تختار دائماً أن يكون لديك مال. أنا لا أقول إنّك ستكون أكثر سعادةً، ولكنني أقول فقط إنّك سيكون لديك حرية أكبر في اختيار تعاستك حسب هواك.

ليس لدى الفقير الكثير من الخيارات: لقد كُتب عليه أن يكون تعساً، مهما كان نوع التعاسة. أمّا الغني فلديه خيارات أكثر. على الفقيرِ أن يُعاني بطريقة محدودة، بينما يُعاني الغني بطرق لا محدودة: بإمكانه أن يُعاني هنا، أو "نيويورك"، أو في "لندن"، أو في "بكين"، فأمامه العالم بأكمله كي يُعاني فيه، وعاجلاً أم آجلاً سوف يُعاني على سطح القمر والمريخ. لديه المزيد من الحرية، والحرية أمرٌ جيدٌ.

إذا كنتَ فقيراً عليك أن تُعاني من امرأة واحدة، بينما لو كنتَ غنياً فستُعاني من عدة نساء، فالمال يفتح الأبواب. من أجل ذلك لو سألتني، وأنت تُحاول الاختيار بين العيش مع المال أو دونه، فسأنصحك وأقول لك عِش وأنت تملك المال. سوف يمنحك خبرة أكثر، ويُوصلك إلى الإله على نحو أسرع، لأنك ستتعب على نحو أسرع.

تذكّر أنّ الفقير لا يتعب من المال أبداً، لأنّه لا يملكه، فكيف له أن يتعب ممّا لا يملكه؟ يتوق الفقير ويرغب ويحلم بالمال، بينما وحده الغني هو الذي يشبع من المال. في الواقع، هذا هو تعريف الغني: إنه ذاك الذي شبع من المال، لقد عرف، ورأى ما الذي يُمكن للمال أن يمنحه، وهو الآن يرغب في شيء لا يُمكن للمال أن يُعطيه أبداً.

أنا لا أقول إنَّ المال يستطيع أن يمنحك الإله، أو الطمأنينة، أو السعادة. ولكن هناك بعض الناس الحمقى يعتقدون ذلك.

جاء أحد "المهاتمات" من أجل رؤيتي منذ عدة سنوات مضت، وقال: "لقد تخليّتُ عن أموالي، لأنه لا يُمكنك أن تحصل على السعادة من خلال المال. قلتُ له: "مَن قال لك إنك ستحصل على السعادة أصلاً؟ تستطيع بالمال شراء بيت جميل، ولكن مَن قال لك إنك ستحصل على الهناء؟ أو ستحصل على السعادة؟ رُبما تحصل على سيارة فارهة!".

بيد أنه هناك حمقى يتوقعون أنَّ السعادة تتحقق عن طريق المال، ولكنهم سيُصابون بخيبة أمل يوماً ما، وليس الخطأ في المال، بل الخطأ في خيالاتهم، وإسقاطاتهم. ليس المال ذنباً. إذا رحتَ تعصر الرمل كي تحصل على النفط، ولم يحصل ذلك، فهل نقول إنّ العيب في الرمل؟ لقد كنتَ غبياً، وأحمقاً. مَن قال لك أصلاً إنك ستحصل على النفط من خلال عصرك الرمل؟

لا يستطيع المال أن يهبك السعادة، ولا السكينة، ولا الإله، ولا الجنة. بيد أنه كي يصل الإنسان إلى معرفة ذلك يتوجّب عليه أن يملك المال، ثمّ بعد ذلك، سيُدرك بوضوح ما الذي يُمكن للمال أن يمنحه، وما الذي لا يُمكن للمال أن يمنحه.

إذا علِم الإنسان ماذا يستطيع المال تقديمه، فإنَّ جهوده ستبدأ في التوجّه إلى ما وراء المال، وما وراء العالم المادي. إنّ المال اختراع رائع، بل إنّه أحد أهمّ اختراعات الإنسان على الإطلاق بعد اللغة، التي تأتي في المرتبة الأولى ويليها فوراً المال. هذان هما أهمّ أسس الحضارة، المجتمع، والثقافة.

أنا لستُ ضدّ المال، كلّ ما أفعله ببساطة هو تبيان ما يستطيع المال توفيره، وما لا يستطيع. إذا كنتَ تعتقد أنَّ الإنسان يستطيع فجأة أن يُصبح

مُتأملاً من خلال اكتنازه للمال، فأنت إذاً أحمق. لن تُصبح تأملياً من خلال تكديسك للمال، وتذكّر أيضاً أنك لن تُصبح تأملياً من خلال تنازلك عن المال. هذان نمطان من الناس الحمقى الذين يعتقدون في البداية أنّهم سيحظون بالإله من خلال المال، وفي يوم آخر يعتقدون أنّهم سيحظون بالإله من خلال التخلّي عن المال، وفي كلا الحالتين يبقى الاتجاه نحو المال.

لا يُوجد علاقة بين الإله والمال. تستطيع أن تحظى بالإله بأيّ قدر تريده من المال، وتستطيع أن تحظى بالإله دون أيّ مبلغ من المال. لا علاقة للإله بالمال. يمكن للغني أن يُصبح مُتأملاً، ويُمكن للفقير كذلك أن يُصبح مُتأملاً. إليكم فهمي للأمر: في حال أراد الفقير أن يُصبح مُتأملاً، فسيكون في حاجة إلى وعي شديد، لأنّه يجب عليه إدراك عبثية المال الذي لا يملكه. سيكون في حاجة إلى وعي لامع.

لا بُدّ أنّ "كبير" كان واعياً جداً، بل أعتقد أنّه كان أوعى من "بوذا" و"مهافير"، وسبب قولي هذا هو أنّ "بوذا" كان يملك المال، وكذلك "مهافير" كان يملكه، وعندما ضجرا من المال، كان الأمر بسيطاً، ومنطقياً. إنّه ببساطة مثل "اثنان زائد اثنان يُساوي أربعة". لو لم يتخلّ بوذا عن قصره، لكان ذلك دليلاً على أمر واحد، وهو أنّه غبيٌّ، ولو تخلّي عن القصر، فلن يكون ذلك دليلاً على وعيه الحاد، بل هو ببساطة دليل على وعي مُتوسط. بيد أنّ "كبير" و"المسيح" و"مُحمّد" كانوا أشخاصاً أكثر وعياً، فعلى الرغم من أنهم لم يمتلكوا المال، ولم يكن في حوزتهم أيّ شيء، ولكنهم أدركوا أنّ المال عديم الفائدة. لم يكن لديهم مملكة عظيمة، ولكنّهم تخلّوا عنها رغم عدم امتلاكهم إياها. لا بُدّ أنّهم كانوا حادّي الذكاء، ويقظين إلى أبعد حدّ. لقد استطاعوا النظر من خلال الأمور التي لا يملكونها، وكانت شفافيتهم ووضوحهم رائعين، واستثنائيين. عندما يُريد الفقير أن يُصبح مُتديناً، سيحتاج إلى إدراك شديد، بينما لو

أراد الغني أن يُصبح مُتديناً، فهو في حاجة إلى فهم مُتوسط فقط.

هكذا، إذا أصبح الفقير مُتديناً، فهو حكيمٌ عظيمٌ. وإذا لم يُصبح الغني مُتديناً فهو أحمقٌ وغبيٌّ.

السؤال السابع والأخير

في كلّ يوم عندما أُغادر قاعة "شوانغ تزو"، أرى ثلاثة أثواب مُعلّقة في غرفة الغسيل. مع أنني لم أرك ترتدي سوى ثوب واحد. لديّ شكّ أنّك في الحقيقة أحد ثلاثة. من شأن هذا أن يُفسّر استمرارك في مُناقضة نفسك في المُحاضرات المُتعاقبة، وظهورك في عدة أماكن في الوقت ذاته.

لقد اكتشفتَ الأمر. أبقِه سراً الآن ولا تُخبر أحداً. هذا صحيح، ويجب أن أعترف به، ما دمتَ كشفته. هذا صحيح، أنا الثالوث الذي كنتُ أتكلّم عنه: الأب والأمّ والابن.

أجل هذا صحيح، ولذلك السبب من السهل عليّ أن أُناقض نفسي: فأحياناً يتكلّم الأب، وأحياناً تتكلّم الأمّ، وفي أحيان أخرى يتكلّم الابن. سوف تجد أنّ ثلاثة أنهار تلتقي في داخلي "سانغام". إنّها نقطة التقاء الأنهار الثلاثة "تريفيني"، إنه الثالوث "تريمورتي". أنا أملك ثلاثة وجوه.

يسهل عليّ بسبب هذا التحرّك عبر كلّ النواميس والسنن، لأنّ هناك ثلاثة نواميس في الكون. يُشكّل العدد ثلاثة وحدةً أساسيةً للغاية: الأب والأمّ والابن، ولهذا ستجد من الصعب تكوين فلسفة مُترابطة منطقياً من تصريحاتي. يجب أن تتحلّى بوعي عالٍ كي تُبصر الترابط المنطقي، وإلا فإنّ التناقض واضحٌ إلى حدّ بعيد.

عندما أتحدّث كأب، فأنا أتحدّث كما يتحدّث الأب على نحو مُتسلط وحازم، وعندما أتحدّث كأمّ، فأنا أتحدّث كما تتحدّث الأمّ على نحو غير مُتسلط، وبمحبة. عندما أكون الأب فأنا آمر وأنهي، وأكون حينها مثل "موسى" ووصاياه العشرة، وعندما أكون الأمّ، فأنا أُقنعك،

ولا آمرك، وحينها لن أكون مثل "موسى"، بل سأكون أقرب إلى "كريشنا" الذي يُحاول إقناع "أرجونا" بألف طريقة وطريقة، وعلى نحو وديّ ومحبّ للغاية، إنه يشدّه رويداً رويداً إلى الداخل. أما عندما أكون الابن فأنا أتكلّم كمُتمرّد وثائر، وحينها أتكلّم مثل "المسيح" و"بوذا".

أنا الثلاثة في آن واحد، وأُريد منك أن تكون الثلاثة معاً أنت أيضاً. عندما تكون واحداً فلن تكون غنياً جداً، أمّا حين تكون الثلاثة معاً فأنت غنيٌّ جداً.

السؤال الثامن والأخير فعلياً

ما هذا الكلام السخيف المُفاجئ عن افتقارك للحضور والجاذبية "الكاريزما"؟

هذا صحيحٌ: إنّه مُفاجئٌ وتافه. كيف يُمكن أن أفتقر إلى الحضور "الكاريزما"؟ بيد أنّ الأمور يُمكن أن تكون أسهل الآن. لقد فهمتَ الآن مبدأ الثالوث. كما أخبرتك أنّ هناك ثلاثة أنماط من المُعلّمين: صاحب "الكاريزما"، المنهجي، والفطري. الأب هو صاحب الكاريزما، والأمّ هي المنهجية، والابن هو الفطري. إنّ كلمة "فطري" مُشتقةٌ من بجذر يعني "من خلال الولادة".

بالتأكيد، أنت على حق: إنّه مفاجئ وتافه. بعضي يملك الكاريزما، وبعضي الآخر فطريّ، وهذا ما يجب أن يكون. يتعيّن على المُعلّم المثالي أن يكون الثلاثة معاً، وعلى نحو مُتزامن.

هكذا أرجوك، إذا قلتُ شيئاً ما، بإمكانك الآن تصنيفه. لديك ثلاثة خيارات: الأب، الأمّ، الابن. يُمكنك المضي في جمع وتصنيف واكتشاف كلّ شيء بسهولة وبساطة. لا تسألني: "لماذا قلتَ ذلك ذات يوم؟"، لأنّك حينها لا تسأل الشخص ذاته. وليس الأمر سهلاً كما حدث في تلك القصة الطريفة. دعني أقصها عليك:

يوجد في إرث "ناثان سوبل" للفولكلور اليهودي قصة واعظ مشهور يُدعى "دوبنو"، فقد توقّف السائق الذي يعمل لديه وهم في طريقهم من أجل اللحاق بموعد المحاضرة وقال: "أيها الحاخام، اِصنع لي معروفاً. أتمنى ولو مرة واحدة أن أكون أنا الذي يحظى بالتكريم والاهتمام، كي أرى ذاك الشعور، فقط هذه المرة، تبادل معي الثياب. كُن أنت السائق، ودعني أكون الحاخام".

ضحك الواعظ الذي كان يتحلّى بروح مرحة وكريمة وقال: "حسناً، ولكن تذكّر أنه ليست الثياب هي مَن تصنع الحاخام. اِحرص على ألا تجعل من نفسك أضحوكة، في حال طُلب منك تفسير بعض المقاطع الصعبة من الكتاب".

تمّ التبادل. ووصلا إلى وجهتهما، وتمّ استقبال الحاخام المُزيّف بحفاوة بالغة، وبدا أنّه يستمتع بكلّ لحظة من ذلك. بيد أنّه في نهاية المطاف حانت اللحظة المُرعبة حين طُرح عليه سؤالٌ بالغ الصعوبة. قابل فحوى السؤال بنبل.

صاح بصوت مُدوّ: "يا لكم من علماء عظماء! هل هذه هي أصعب مسألة تسألونني عنها؟ إنّها بسيطةٌ جداً، حتى السائق الذي يعمل لديّ يُمكنه الإجابة عنها!"، ثمّ نادى على الخطيب "دوبنو" قائلاً: "أيُّها السائق، تعال إلى هنا لحظة، وأوضِح المسألة لهؤلاء الزملاء مُتبلدي الذهن".

بيد أنّ الأمر ليس سهلاً بالنسبة إليّ، لأنّه عندما أكون حاضراً يغيب الآخران. لا أستطيع أن أنادي وأقول: "تعال واشرح هذا نيابة عني"، من أجل ذلك، أرجوك، لا تطرح أيّ أسئلة عن التناقض. أيّ كان الذي قلتُه ذات يوم فقد انتهى أمره، وقد انتهيتُ منه. أنا لا أنظر إلى الخلف، بل أمضي قدماً.

لا داعي إلى القلق حياله. مهما كان الذي أقوله الآن، فهو الحقيقة، فالحاضر هو الحقيقة، وما فات مات. لقد ماتت تلك العبارات الماضية، وفي اللحظات القادمة، سيكون للحقيقة ثانية، شكلها الجديد. لا تحمل هذه اللحظة معك.

هذا هو مبدأي بأكمله: لا تحمل الماضي، وابقَ مُخلصاً لهذه اللحظة وحسب. حينها لن يكون هناك أيّ تناقض. تظهر التناقضات فقط بسبب تدريبك على نحو منطقي، بينما أنا رجلٌ غير منطقي. إنّ منطقي بأكمله هو اللامنطق. أنا شخصٌ لا عقلاني.

أجل أنا ثلاثة، لكن أرجوك لا تُخبر أحداً بذلك.

الفصل السابع

إنسجام الحُبّ والتخلّي

صباح 17 كانون الأول، قاعة "بوذا"

"كالات مانسا أكال كينهي"

لقد أسكتُّ عقلي الذي لا يهدأ

يتوهّج قلبي:

لأنّني من خلال الأشياء رأيتُ ما وراء الأشياء.

ومن خلال الصحبة رأيتُ الصاحب نفسه.

بينما أعيش في الأسر، جعلتُ نفسي حراً

فررتُ من مخالب الضيق.

يقول كبير: لقد نلتُ المُتعذر نيله،

وتلون قلبي بألوان الحب.

"جو داي ساي سو تو هاي ناهين"

ذاك الذي تراه ليس الحقيقة:

أنت لا تملك الكلمات من أجل وصف ذاك الحقيقي

لن تؤمن، ما لم تر:
لا يُمكنك قبول ما يُقال لك.
يُدرك الفطن من خلال الكلمات،
بينما يقف الجاهل مُحدقاً.
يتأمل البعض في عالم اللاصور،
بينما يتأمل الآخرون الصور،
بيد أنّ الحكيم يعلم
أنّ "البراهما" موجودٌ وراء كلّ منهما.
لا يُمكن رؤية جماله بالعين،
لا يُمكن للأُذن أن تسمع ألحانه.
يقول "كبير":
من وجد الحُبّ والتخلّي معاً
لن ينال منه الموت.

كان صباحاً جميلاً، وقد أشرقَت الشمس للتوّ في الأفق، وراحَت أشعة الشمس الأولى تُلاعب أوراق شجرة اللوز. رأيتُ بوماً قد حطّ على شجرة اللوز، وقال: "لقد حلّ الظلام، ترى هل يصلح هذا المكان من أجل المبيت حتى طلوع الفجر؟". لم يسمعه سوى أرنب وحيد، فقال: "سيّدي إنّه الفجر! لقد أشرقت الشمس. لقد فهمتَ الأمر بالمقلوب".

إنّ فهم البوم للأمر مُختلف تماماً، فالليلِ هو النهار بالنسبة إليه، والنهار ليل، وهو ينام من الصباح حتى الليل، والمساء هو الفجر بالنسبة إليه. هذه هي الفجوة الواسعة بين الصوفي وغير الصوفي. إنّ الفجر عند الصوفي هو ليلة ظلماء عندك، والليلة الظلماء عند الصوفي هو حياتك بأكملها. ومن هنا سوء الفهم.

لطالما أُسيء فهم الصوفيين. يقولون شيئاً، فنفهم شيئاً مُختلفاً تماماً. إنّ سوء الفهم هو أمرٌ طبيعي بين الصوفي وغير الصوفي، إلى درجة يبدو معها تحقيق الفهم أشبه بالمُعجزة، وفي حال تحقق التفاهم بين الصوفي وغير الصوفي، حينها لا يبقى غير الصوفي على حاله، بل يكون قد تسامى من خلال الفهم ذاته.

قال القرد للسمكة وهو يضعها بسلام على الشجرة: "من فضلكِ اسمحي لي أن أُساعدك، وإلا ستغرقين".

إنّه يُحاول جاهداً أن يكون رحيماً، ويُحاول إنقاذ السمكة من الغرق. إنّه مُصمم على قتل السمكة، بدافع الشفقة. يجب فهم هذه المسألة بتعمّق شديد، وسيكون هذا الفهم نقطة تحوّل.

حسناً، إنّ "كبير" صوفيّ، بل أحد أعظم الصوفيين. في المقام الأول، يبدو ما يُحاول قوله مُشوشاً ومُحرّفاً لحظة قوله له، لأنّه أدركه وهو في حالة لا يُمكن للكلمات اختراقها، حيث الصمت الأبدي. لقد عرف، واختبر الأمر، وقام بمُواجهته، ولكنّ ذلك حدث في لحظة لم يُشارك التفكير فيها.

عندما يرغب لاحقاً في نقل الأمر، لا بُدّ للتفكير من أن يُشارك، ويُؤدي دوراً مُعيناً. يُحاول التفكير نقل الأمر، ولكنه من خلال ذلك الجهد يُشوهه. الآن، ينبغي على الصمت أن يدخل إلى الصوت، ويجب على الصمت أن يقبل ضدّه. ينبغي وصف ما وراء الكلمات من خلال الكلمات. يجب اختصار ما لا يقبل التعريف في تعريف، ويجب تحويل الأمر الغامض إلى أمر مُفسّر، وهنا يضيع كلّ شيء. إذا لم يضِع كلّ شيء، فسيضيع مُعظمه، ولا يبقى سوى ومضة من الحقيقة، ومُجرّد موجة. عندما كان الإنسان في خضم تجربته الخاصة، كان الأمر كالمُحيط الواسع، أمّا الآن فقد أصبح مُجرّد ومضة.

على الرغم من ذلك يتعيّن على الصوفي أن يقول الأمر، فلا بُدّ أن يُشاركه مع الآخرين، فالمُشاركة جزء من تجربته. إنّه كالزهرة التي تتفتح وتنشر عبيرها. لا بُدّ من فعل ذلك، ولا يُمكن لأحد أن يكتمها داخله، إنّه مدين للإنسانية بها، ولكلّ الذين لا زالوا يتخبطون في الظلام. رُبّما لن يقدر على تبليغ النور بكلّ تفاصيله، ولكن قد يكون مُجرّد انعكاسه مُعيناً بالنسبة إلى الكثيرين. قد تكون الصورة المشوشة عنده مُفيدة بالنسبة إلى الكثيرين في سعيهم، وبحثهم، واستفسارهم. قد يجعل الكثيرين مُتلهفين إلى الأمر، ولذلك لا بُدّ للصوفي من أن يقوله، وفي كلّ مرة يصفه، سيبكي، لأنه يرى حقيقة تجربته، ويرى كيف تبدو حين يتمّ التعبير عنها بالكلمات، إذ يضيع تسع وتسعون بالمئة منها، ثمّ تقوم أنت بسماع الكلمة وترجمتها وتفسيرها من جديد حسب تجربتك.

أولاً هناك التجربة، ثمّ ترجمة الصوفي لها من خلال تفكيره، الذي تمّ تكوين تفكيره وتهيئته وأقلمته من خلال المجتمع، فليس التفكير سوى خبرة العيش مع الآخرين. عليه أن يُترجم ذاك الذي لا يُمكن إدراكه إلا من خلال الوحدة الشديدة، وذاك الذي لا يُمكن اختباره إلا من خلال العزلة المطلقة، ويُقدّمه إلى العالم الدنيوي، ويختزله إلى لغة الجمهور، وبيئتهم، مما يُضيّع معظمه.

بعدها تسمع الكلمة، عوضاً عن أن تسمع ما وراءها، وتتمسّك بالكلمة، مع أنها ليست جوهرية، فيضيع ما هو جوهري مُجدداً. ثمّ تقوم بترجمة الكلمة حسب تفكيرك، وحسب تجربتك الخاصة. أنت الآن تبعد آلاف الأميال عن التجربة الأصلية.

لقد سمعتُ ذات مرة:

طُلب من مُعلّم "الزن" العظيم "سوزان"، شرح تعاليم "بوذا" العظيمة، فأجاب قائلاً: "لن تفهمها حتى تنالها"، ولكن ما جدوى فهمها حينذاك؟

حينما تحظى بها ستحظى بها، ولا داعي إلى فهمها. بيد أنك عندما لا تملكها لا يُمكنك فهمها، وتبرز الحاجة إلى فهمها. هذا هو التناقض: يُمكنك أن تفهمها عندما تحظى بها، ولا سبيل إلى فهمها قبل ذلك. وحدها التجربة هي التي تُفسّرها لك، ولا يُمكن لأيّ شيء آخر أن يُجدي نفعاً، ولا يُوجد بديل مُمكن. عندما تحظى بها، فلن يكون هناك داع إلى فهمها، فقد حظيتَ بها. عندما تكون هناك، فهي هناك. لن يكون هناك حتى رغبة في فهمها، فقد حدثت وانتهى، لقد عرفتَ، وأصبحَت هي أنت.

يُشبه الأمر تناولك الطعام تماماً: عندما تتناول الطعام، لا تُصبح أنت الطعام. هل راقبتَ ذلك؟ لو كان الأمر كذلك لتحوّلتَ إلى موزة، بيد أنك عندما تأكل موزة، لا تتحوّل إلى موزة، بل تُصبح الموزة أنت. يحدث الشيء ذاته عندما تعرف الإله، إذ يُصبح الإله أنت. عندما تعرف الحقيقة، تُصبح الحقيقة أنت، فيتمّ استيعابها، وتجري منك مجرى الدم، وتُصبح عظامك، نخاعك، حضورك، ولا داعي إلى فهمها. في الواقع، لا يفهمها أحد، فهي لا تترك أحداً خلفها، لقد أصبح فهمك هو الحقيقة ذاتها. تنشأ الحاجة بسبب عجزنا عن الفهم. من أجل ذلك نمضي باحثين عن تفسيرات، مع أنه ليس في وسع أيّ تفسير أن يُجلّيها.

هذا هو التناقض في التجربة الدينية: أولئك الذين يعلمون ليسوا في حاجة إلى الفهم. هم راضون إلى حدّ كبير بمعرفتها، وذلك كاف أكثر من اللازم. رُبّما يرقصون، يُغنون، يضحكون، ولكن لا يسعون بأيّ طريقة من الطرق إلى تفسيرها. رُبّما يعيشونها، يتكتمون بشأنها، رُبّما يجلسون بصمت، ورُبّما ينتشون بجنون، ولكنّهم لا يكترثون بتفسيرها.

من أجل هذا، فإنّ كلّ النصوص الدينية العظيمة في العالم: "الأوبانيشاد"، "تاو تي تشينغ"، أقوال "المسيح"، "دهامابادا" البوذية،

هي مُجرّد تصريحات، وليست تفسيرات. لا تُثبت "الأوبانيشاد" وجود الإله، بل هي تُؤكّد ببساطة، وتقول إنّه كذلك، فليست جدالاً، ولا تطرح افتراضات على سبيل الجدل، بل تقوم بالتصريح وحسب: إنّه كذلك. إنّ "الأوبانيشاد" تُصرّح بوجود الإله، وهي لا تُعطي أيّ دليل على ما تُصرّح به، أو عن سبب تصريحها بكونه موجوداً. هي تقول: إنّه كذلك، ولك أن تقبل أو ترفض، ولكنّه كذلك. ليس هناك داعٍ إلى أيّ دليل، فهي الدليل في حدّ ذاتها.

بيد أنه بالنسبة إلى أولئك الذين ما زالوا غارقين في ليل أرواحهم المُظلم، يتخبطون، ويتعثرون، فإنهم في حاجة إلى بعض التفسيرات. نعم قد يكون التفسير شديد البُعد عن الحقيقة، وقد يكون كذبة، ولكنّه مطلوب.

هكذا يتكلّم الصوفيون، ويجب أن يتكلّموا، ويُغدقوا من كياناتهم، وهم يعلمون أنّ ذلك قد ينفع البعض، ويُقدّم العون إلى قلة قليلة من الناس. إنّه يُساعد فقط أولئك المُستعدين من أجل منح الثقة، وإلا فلن يُساعدهم. إذا رحتَ تُجادل، فسيضيع الأمر، لأنّه ليس في استطاعة الصوفي أن يُجادل، وليس بمقدوره إقناعك. إنّ الصوفي هشّ للغاية من ناحية المنطق، إنّه هشٌّ للغاية. ليس بمقدوره الجدال، ولا البرهنة. تستطيع أن تدنو منه، وتشعر بكيانه، وتنظر في عينيه، وتُمسك بيده، وتقع في غرامه، وتضع ثقتك في هذا الرجل المجنون الصوفي، تستطيع أن تُرافقه في رحلة مجهولة. سوف تكون مُغامرة شجاعة في منح الثقة. إذا كان لديك شكّ، فسيتمّ حجبك فجأة، ولن يكون هناك إمكانيةٌ لبناء أيّ جسر. لا بدّ للمُريد من أن يثق.

إذا كان لديك ثقة بكلام الصوفي، فسيكون هناك إمكانية من أجل خلق موجة صغيرة داخلك، وإلا دون ثقة، ستختفي حتى تلك الموجة الصغيرة.

تذكّر أنه ينبغي الاستماع إلى "كبير" أو "المسيح"، أو "كريشنا" بطريقة مُعينة، وليس استماعاً عادياً. يتوجّب الاستماع إليهم بحُبّ وثقة، بحيث لا تقف مُنعزلاً عنهم، وتُصبح كلك آذان صاغية، وتُصبح كالأنثى مُستقبلاً، وتشرب وحسب، ولا يكون لديك أيّ أفكار تعمل على ترجمتها. بدلاً من الإسراع إلى ترجمتها وتفسيرها في داخلك، والتفكير فيما إذا كنت صحيحة أم خاطئة، أنت ببساطة تستمتع لها كما تستمع إلى الموسيقى.

عندما يعزف "رافي شانكار" لا تأبه فيما إذا كان مُخطأ أو مُحقاً. ما الذي تعنيه بكلمة "مُخطئ" أو "مُصيب"؟ تبقى الموسيقى هي الموسيقى، قد تكون جيدة أو سيئة، ولكنّها لا تكون صائبة أو خاطئة. أنت لا تأبه إلى ذلك، بل تستمع وحسب. بسبب أنّ المُوسيقى ليس لها لغة، لا يُمكنك ترجمتها. أنت ببساطة في حضرة الموسيقى، مُحاط بها، مغمور بها، محمول بواسطتها إلى رحلة بعيدة. بيد أنك لا تُفكّر فيما إذا كانت خاطئة أم صائبة، وهل تُوافق منطقك أم لا. أنت تستمع بقلبك.

ينبغي الاستماع إلى الصوفي كما لو كنت تستمع إلى الموسيقى. نعم أقول لك: إنها موسيقى، وهي موسيقى أعمق بكثير ممّا يُمكن لموسيقي أن يُبدع. بيد أنك حالما تبدأ في ترجمتها، تُصبح الأمور صعبة.

حتى تلك الترجمات الجميلة لـ"رابيندراناث طاغور" ليست صحيحة، ولا يُمكن أن تكون. وردت أقوال "كبير" بالهندية، ثمّ تمّت ترجمتها إلى البنغالية، ثمّ قام "رابيندراناث" بترجمتها من البنغالية إلى الإنكليزية. إنّها أصداء بعيدة جداً، وقد ضاع منها الكثير. على سبيل المثال: "لقد أسكنتُ تفكيري الذي لا يهدأ وقلبي يتوهج: لأنني من خلال الأشياء رأيت ما هو وراء الأشياء، وفي الصحبة رأيت الصاحب نفسه".

"لقد أسكنتُ عقلي الذي لا يهدأ..."كالات مانسا أكال كينهي": حسناً، يمتلك النص الأصلي طعماً مُختلفاً تماماً. لو كان عليّ أن أترجمه سأقول: "مولاي، هل فعلتها؟ لقد جعلتَ عقلي المُتحرّك باستمرار، ثابتاً؟ " ذلك هو معنى "كالات مانسا أكال كينهي". إنّ العقل الذي كان يتحرّك باستمرار، كان يتحرك دائماً، إلهي، هل فعلتها؟ هل جعلتَه ثابتاً؟ ". هذه هي الترجمة الأقرب لكلمات "كبير" المُدهش. يقول "كبير": "إلهي، ما الذي فعلتَه؟ لقد حاولتُ وحاولتُ، ولم أستطع إسكات تفكيري، ولكنّك قمت بإسكاته! لقد كان أمراً شديد الصعوبة، ولا يُمكن تصوّره حتى. إنّ إسقاط فكرة واحدة كان أمراً صعباً للغاية، وها قد تمّ إسقاطها كلياً، وهي الآن في اللامكان! ولا يُمكنني العثور عليها. لقد اختفت كلّ الذبذبات في التفكير، وكلّ تلك التموجات المُستمرّة، وكلّ تلك الأفكار المُتلاحقة. هل فعلتها؟ لقد ترجم "رابين درانات" عبارة "كالات مانسا أكال كينهي؟ " كالتالي: لقد أسكنتُ عقلي الذي لا يهدأ. لقد فاته كلّ الموضوع، لأنّ "كبير" لا يقول هذا. يُمكن ترجمة الجملة بهذه الطريقة أيضاً. أنا لا أقول إنّ الترجمة خاطئة من الناحية اللغوية، بل هي خاطئة من الناحية الصوفية.

من الممكن ترجمة عبارة "كالات مانسا أكال كينهي؟" بهذه الطريقة أيضاً: إنّ كبير لا يقول أيّ شيء عن ذاك الذي جعل التفكير ثابتاً: أنا أم أنت. لم يقل أيّ شيء. يُمكن ترجمة العبارة: لقد أسكنتُ تفكيري، ولكنّ ذلك مُستحيل، لأنّ "الأنا" هي التفكير، وبالتالي فلا يمكن أن تُسكن "الأنا" نفسها. إنّ الأمر أشبه بسحبك لنفسك من شريط حذائك، بقوة شريط الحذاء. لا بُدّ أن تفشل، لأنّ ذلك غير مُمكن. وحده الإله قادرٌ على إسكان عقلك، ولهذا أقول إنّها صحيحة لغوياً، ولكنّها خاطئة صوفياً.

إنّ الإله هو الوحيد الذي يُمكنه إسكان تفكيرك. إنّها هدية، ونعمة

تتنزّل عليك، ليس أمراً تقوم به أنت، لأنك مهما فعلت، ستبقى أنت، ولن تنجح مُحاولتك في أن تختفي. سيجعلك سعيك أقوى وأقوى، ويُصبح غذاء لأناك.

كيف لك أن تُسكن تفكيرك؟ من ذا الذي يُمكنه إسكان الدماغ؟ إنّه التفكير في حدّ ذاته الذي يقوم بالأمر، وسيكون ذلك أشبه بكلب يُلاحق ذيله. من هنا، أقول أنّ الأمر خاطئ من الناحية الصوفية. لستُ أعرف الكثير عن اللغة، بيد أني أعرف ما هو التصوّف. رُبّما لا أكون عارفاً إلى حدّ كبير بالتصوّف، ولكن لا داعي إلى معرفة الكثير عن التصوف، فهو تجربتي.

إنّ المعلومات هي المعرفة التي تتلقاها من الدروس، أما المعرفة فهي التي يُظهرها الحدس. أنا صوفيٌّ، ولست شاعراً. لقد كان "رابين دراناث" شاعراً عظيماً، ورأى أنّه من الأفضل أن تبقى الترجمة صحيحة من الناحية الشعرية واللغوية، ولكن فاته أمرٌ ذو قيمة عظيمة.

دعني أكرر معنى عبارة "كالات مانسا اكال كنهي؟": يا إلهي، إنّه أمر مُدهش، إنّه مُعجزة. لم أستطع أبداً أن أُصدّق أنّه مُمكن الحدوث. إنّه أمرٌ لا يُصدّق. هل فعلتَها؟ ! أنا مُندهش ببساطة، لا أستطيع أن أُصدّق ذلك، ولكنّه حصل. أنا في اللامكان، لقد جعلتني ساكناً؟ إنّ فضلك عظيمٌ.

يشعر "كبير" بالامتنان، والأغنية هنا تعبير عن الامتنان. لا يُؤمن "كبير" بالأساليب، ولا يعتقد أنّه على الإنسان أن يفعل شيئاً كي يحظى بالإله ويصل إليه. ماذا على الإنسان أن يفعل؟ إنّ يديه البشريتين مُتناهيتي الصغر، وهي لا تطال إلا القليل. نحن نطال ما نطاله، ولكن كيف لنا أن نصل إلى الإله، من خلال السعي البشري المحدود؟ إنه أمرٌ مُستحيل. وحده الإله مَن يستطيع أن يصل إلينا، وكلّ ما بوسعنا فعله هو أن نكون موجودين، هذا كلّ ما في الأمر. يُمكننا الركوع والاستسلام، وهذا كلّ ما في الأمر.

لا يؤمن "كبير" ببذل الجهد والمُحاولة، بل يؤمن بعدم بذل الجهد. هذا ما يدعوه بعبارة "ساهاج سامادهي"، أي النشوة العفوية. إنّ "كبير" مُحبّ، وطريقه هو طريق الحُبّ، والحُبّ لا يعرف الجهد.

ألم تر في حياتك الخاصة؟ هل بوسعك عمل شيء حيال الحُبّ؟ إذا قلتُ لك: "اذهب وأحبب فلاناً"، ما الذي ستفعله؟ سوف تقول: "ما هذا الهراء! كيف يُمكنني أن أذهب وأُحبّه بهذا البساطة؟". لا يمكنك أن تأمر أحداً بأن يُحبّ شخصاً ما. إذا حدث الحُبّ فقد حدث، وإن لم يحدث فلم يحدث. ما من طريقة للشعور بالحُبّ وفق الطلب، وتلك هي أحد مآسي العالم، فقد تعلّمنا جميعاً أن نُحبّ وفق الطلب، مما يجعل هذا الحُبّ شيئاً مُزيفاً.

تقول الأمّ للابن: "أحبني، أنا أُمك!"، والطفل مغلوب على أمره، وهو تابع وخاضع إلى درجة أنّه بدلاً من أن يُصبح مُحبّاً لأمه، يُصبح سياسياً. يبدأ بالتظاهر: "نعم، أُحبّكِ"، ويبتسم. نحن مَن يُفسد الأطفال الصغار، ويحوّلهم إلى سياسيين. إنّ الطفل لا يعني ما يقوله إطلاقاً، ولكنّه مُضطرّ إلى قول ذلك. تقول الأمّ: "أنا أمّك ويجب أن تُحبّني". كيف يُفترض بالإنسان أن يُحبّ؟ ما الذي في وسعك أن تفعله كي تُحبّ شخصاً ما؟ بإمكانك أن تتظاهر، وتستطيع أن تلعب لعبة الحُبّ، ولكنّه لن يكون حُبّاً على الإطلاق. يبدأ الطفل بأداء لعبة الديلوماسية، ويُصبح سياسياً، فيبتسم عندما تُقبل عليه الأمّ، ولكنّ ابتسامته لا تتجاوز الشفاه.

ليس في وسعك إكراه القلب على الابتسام. أقصى ما يُمكنك فعله هو تحريك الشفتين.

ينظر إلى أمّه بعينين مُحبتين، مُزيفتين. يقول لأمّه مراراً وتكراراً: "أنا أُحبّكِ"، وهلمّ جراً. عليه أيضاً أن يُحبّ الأبّ، والأخوة، والأخوات، مع أنه في الحقيقة يكره كلّ أخوته وأخواته، لأنّهم مُنافسون له. في حقيقة

الأمر، يرغب كلّ طفل في أن يكون وحيد أبويه، وهو يكره الأشقاء، لأنّ عليه التنافس معهم، ولكن يجب عليه أن يُحبّ، لأنهم يقولون له: "هذا أخوك الصغير"، ولذلك يجب أن يُحبّه. بيد أنّه يكره هذا الأخ الصغير، ويرغب في قتله، فهو لم يعُد مُهمّاً كما كان سابقاً، بسبب هذا الأخ الصغير. لم يعُد مركز اهتمام الأسرة، وأُلقي به على الهامش، بسبب هذا الأخ الصغير. لقد احتلّ هذا العدو ساحة الاهتمام، وهو يُدير الأمور الآن، ويُملي أوامره، ويُهيمن على خشبة المسرح الرئيسة. لم يعُد الأخ الأكبر أكثر من شخصية ثانوية، فأنّى له أن يُحبّ هذا الأخ الصغير؟ ولكن ينبغي عليه أن يُظهر الحُبّ، وإلا سيُواجه المتاعب. هكذا يتمّ تزييف الحُبّ منذ اللحظات الأولى.

ثمّ تبقى طوال حياتك تُحبّ بالطريقة المُزيفة ذاتها، وتستمرُّ في التظاهر، ولا تسمح للحُبّ الحقيقي أن يتملكك. سوف تبقى على الدوام خائفاً من الحُبّ الحقيقي، لأنّه يبدو لك كالفيضان، خطيراً، آتياً من المجهول، خارجاً عن السيطرة. لقد تعلّمتَ الخدعة.

بالطبع، إنّ حُبّك صغيرٌ إلى درجة تُمكّنك من التحكّم به، إنّه مُزيفٌ إلى حدّ بعيد، ممّا يُسهّل التحكم به. إنّه طوع يديك، يُمكنك أن تفعل به ما تشاء. أمّا الحُبّ الحقيقي فهو أكبر منك، إنّه ضخم، هائل. إنّه يغمرك، ويجرفك بعيداً بكلّ بساطة. لن تبقى واقفاً في أيّ مكان. مع الحُبّ الحقيقي تفقد كيانك، فهو أمرٌ عظيم، ينبع من الجنة.

ينطبق الشيء ذاته على التأمل: ينبع التأمل الحقيقي من الجنة. إنّه ليس أمراً تقوم به، بل أمرٌ يحدث. هناك أمرٌ واحد مطلوب من جانبك، وهو أنه عليك أن تبقى مُتقبلاً، مُتدفقاً، مُستعداً كي تمضي مع الإله. لو كان الإله ذاهباً إلى الشمال، فستذهب إلى الشمال.

تذكر أنّه عندما تشير أداة دليل اتجاه الريح "دوارة الطقس" إلى

الشمال، فليست هي مَن يجعل الرياح تهبُّ نحو الشمال. إنّها تُسجّل هبوب رياح الشمال وحسب.

كذلك هو التأمل، وكذلك هو الحُبّ، وكذلك هي الصلاة: إنّها لا تجعل الإله يتدفّق نحوك، وإنّما تُسجّل ببساطة أنّ الإله يتدفّق نحوك، وأنّ الإله مُقبلٌ عليك. ليس التأمل منهجاً بالنسبة إلى "كبير". وهنا يكمن الفارق بين "باتانجالي" و"كبير". إنّ "باتانجالي" منهجيّ، وهو يُؤمن بالمنهجية. أمّا "كبير" فهو يُؤمن بالحُبّ. إنَّ ما يدعوه "باتانجالي" بحال "سامادهي"، يدعوه "كبير" "سامادهي مُصطنع"، وبخلاف "باتانجالي"، يقول "كبير": "فكر بـ"ساهاج": أي العفوي والبسيط، ذلك الذي لا يتمّ إنشاؤه ولا صنعه من قِبلك، لأنّ كلّ ما تصنعه سيكون عديم الفائدة والقيمة. أنت عديم القيمة، ولذلك فإنّ كلّ ما تصنعه سيكون بطبيعة الحال عديم القيمة، لأنّ توقيعك سيكون عليه.

إنّ عبارة "ساهاج سامادهي" تعني: لم يُصنع من قِبلك. إنّه ليس صناعةً بيتية منزلية، إنّه هبة من الإله. ليس التوقيع توقيعك، بل هو توقيع الإله. بسبب ذلك أقول إنّ درب "كبير" هو درب الحُبّ.

لقد أسكنتُ تفكيري الذي لا يهدأ، كلا، يجب أن يقول: "لقد هدأ تفكيري. لقد رأيتُ تفكيري وقد سكن وهدأ، لقد شهدتُ حدوث ذلك. إلهي، هل قمتَ بذلك؟ ها هو قلبي يتوهّج".

عندما يهدأ التفكير، يتوهّج القلب، ولكن عندما يثرثر التفكير، يموت القلب. لا يُمكنك أن تحضر في القلب، إذا كنتَ حاضراً في التفكير، فالتفكير غيورٌ جداً وتملكيٌّ للغاية، ولن يسمح لك أن تتجه نحو القلب. إنّ التفكير زوجةٌ مجنونة بالغيرة، وهو يستهلكك تماماً، ولا يسمح بالاقتراب من القلب ولا لحظة واحدة. حتى لو رحتَ تُفكّر بالقلب، يقوم التفكير بخلق قلب مُزيف في التفكير، ويبدأ في إنتاج المشاعر!

أحياناً يأتيني أحدهم ويقول: "لقد وقعتُ في حُبّك، مُعلّمي الحبيب". أُجيبه: "حقاً؟". يقول: "أظنُّ ذلك". حسناً، لا يُمكن للإحساس أن يكون فكرة. إما أن تكون قد وقعت في حُبّي، أو العكس، ولكن لا يُمكنك أن تظنّ بأنّك قد وقعت في حُبّي، فالتفكير أمرٌ مُزيف، وهو يقوم بصنع عملة مُزيفة من أجل خداعك. إنّه يقول: "تحتاج إلى الحُبّ؟ لا بأس، إليك الحُبّ"، فيخلق فكرة الحُبّ، وفكرة الإحساس. لدى التفكير قدرةٌ عظيمةٌ على الابتكار، وهو يستطيع الاستمرار في اللعب، وهذا أمرٌ يجب الاحتراس منه، وإلا ستتوه في الرأس، فالدماغ مُخادعٌ جداً، وهو يستمرُّ في الخداع مراراً وتكراراً. إنّه فخٌ هائل، وه يستطيع خلق أيّ شيء. إنّه ماهرٌ جداً في صنع السلع المزيفة.

أخبرني شابّ أنّه لا يستطيع البكاء وأنّ دموعه قد جفت. قال: "أنا أُحاول جاهداً، لأنّني فهمتُ أنّ البكاء أمر ضروريٌّ، وأنّ البكاء سيُريحني، وأنّه سيجعلني أكثر تأثراً بالأحاسيس، ولذلك أُحاول جاهداً".

قلتُ: "إذا كنتَ تُحاول جاداً فقد تنجح، وهنا مكمن الخطر. يستطيع التفكير صنع الدموع حتى، ويُمكنه إكراه عينيك على أن تغرورقا بالدموع، ولكنّ ذلك لن يكون له علاقة بقلبك. حالما تنجح في إكراه العينين على البكاء، سوف تعتقد أنّك نجحتَ، بيد أنّ التفكير قد خدعك".

ينبغي أن يكون المرء حذراً للغاية. يقول "كبير": "لا يهدأ تفكيرك إلا عندما يُهدئه الإله، فما الذي يُمكن القيام به من جانبنا؟ يقول "كبير": علينا من جانبنا أن نكون أطرافاً مُستقبلة. ونكون مُرحبين، مُترقبين، مُنتظرين، ولسنا مُطالبين من جانبنا بفعل أيّ شيء، لأنّ أفضل شيء نفعله هو ألا نفعل شيئاً، وهذا أمرٌ صعب، ولكن حاول القيام به. من السهل جداً القيام بشيء، ولكن أعظم وأصعب شيء تقوم به في هذا العالم،

هو عدم فعل شيء. إنّ عدم القيام بأيّ شيء هو الإنجاز الأعظم، ويُسميه أتباع "الزن" بلفظ "زازن" أي الجلوس بصمت، دون فعل أيّ شيء.

لقد قرأتُ قصة جميلة جداً من "الزن". استمع لها بانتباه، إنّها قصتك.

خلف المعبد كان هناك حقلٌ فيه الكثير من القرع الناضج. ذات يوم نشأ خلاف بين القرع. حسناً، أنت تعلم القرع هو القرع، لقد نشأ صراع عظيم، فانقسم القرع إلى مجموعتين، وقاموا بعمل ضجة كبيرة من خلال صراخهم على بعضهم البعض. بطبيعة الحال، كانوا يسكنون ويكبرون في المعبد، ولذلك كانت المجموعتان مُتدينتين: مسيحيون ويهود، بوذيون ويانيون، هندوس ومحمديون، شيء من هذا القبيل. لقد نشأ جدل لاهوتي كبير. سمع رئيس الكهنة الضجة، فصرخ مُوبخاً إياهم: "يا ثمار القرع! كيف تتعاركون مع بعضكم البعض! وفي معبد "الزن"؟! فليقُم الجميع بعملية "زازن"! اجلسوا بصمت دون فعل أيّ شيء.

علّمهم الكاهن كيف يقومون بـ"زازن": "ائتوا أرجلكم هكذا، اجلسوا وظهوركم ورقابكم مشدودة". بينما راحت ثمار القرع تجلس في وضعية "زازن"، انطفأ غضبها وهدأت. ثم قال الكاهن: "فليضع الجميع أيديهم على رؤوسهم". عندما تحسست ثمار القرع رؤوسها بأيديها، وجدت شيئاً غريباً على رؤوسها. تبين أنّه الغصن الذي يصلها ببعضها البعض، فراحت تضحك. قالت: "هذا سخيفٌ حقاً! نحن واحدٌ، ونتقاتل دون داعٍ إلى ذلك".

يكتشف المرء من خلال جلسة "الزازن" أنّ الكون واحد. يكتشف المرء من خلال الجلوس بصمت، أنّه لا وجود للخلاف في أيّ مكان، وأنّه لا وجود للعدو، وأنّ العداوة من صنع خيالنا، وأننا مَن ابتدعها، وأنّ القلق والطموح والصراع، هي مُجرّد ألعاب عقلية. لا يُوجد مَن نتصارع معه، فالكلّ واحد. عندما تتوصّل إلى معرفة أنّ الكلّ واحد،

وأننا مُرتبطون ببعضنا البعض، وأنّنا مع بعضنا البعض، وأنّني جزءٌ منك، وأنّك جزءٌ مني، وأنّنا أفرادٌ في عائلة واحدة، حينها سوف تنفتح على حين فجأة. لن يحصل هذا الفهم من خلال بذل الجهد، بل فقط من خلال الجلوس بصمت دون بذل أيّ مجهود، ومن خلال الانتظار وحسب، مع اليقظة بالطبع، لأنّك قد تستغرق في النوم فلا يحصل أيّ شيء.

يسهل القيام بأمرين: الأول هو فعل شيء، والثاني هو الاستغراق في النوم. أنت تشعر بالنعاس فجأة، كلّما جلستَ دون القيام بشيء. أنت تعرف طريقتين: إما أن تقوم بفعل شيء ما، وحينها تستطيع أن تبقى يقظاً، أو لا تقوم بفعل شيء، وعندها تبدأ في الشعور بالنعاس، وأنّك على وشك الاستغراق في النوم. بيد أنه بين هذين الأمرين هناك أمر ثالث: لا تقُم بفعل أيّ شيء، كُن هادئاً كما لو كنتَ نائماً، ويقظاً كما لو كنتَ تقوم بشيء ما. كُن هادئاً مثل هدوئك أثناء استغراقك في النوم، ويقظاً مثل يقظتك عندما تُحارب عدوك بالسيف. عندما يجتمع النوم مع اليقظة تحصل على حالة النشوة العفوية "ساهاج سامادهي". في تلك اللحظة تشعر على نحو مُفاجئ أنّ طاقتك بأكملها قد انتقلَت إلى القلب. يتوارى التفكير؛ وتُصبح بلا رأس.

في ذاك اليوم، كانت "سافيتا" تقول إنّها في حيرة شديدة: لقد رأتني فيما يُشبه الحلم أو التفكير الحالم، رأتني دون رأس. قلتُ: "صحيح تماماً، "سافيتا". لقد حققتِ لحظة "ساتوري" كبيرة، وتجربة عظيمة. أنا بلا رأس! وأنت أيضاً بلا رأس، والجميع بلا رأس".

يحدث هذا عندما تبدأ الطاقة في التحرّك في اتجاه القلب، فتُدرك فجأة ذات يوم أنّه ليس هناك رأس. لا يختفي رأسك المادي، بل إنّه في مكانه، ولكنّه لم يعُد محور وجودك. إنّه هناك، ولكنّه لم يعد موجوداً على المنصة الرئيسة، لم يعُد هو المُتحكّم، ولم يعُد هو المُدير، ولم يعُد هو الرئيس.

يهدأ ويسكن التفكير، ويتحوّل من الحركة إلى السكون. عندما لا يتحرّك التفكير لا يعود تفكيراً، فالحركة هي التفكير في حدّ ذاته. عندما لا يتحرّك تفكيرك، أين هو التفكير؟ كي تكون هناك أفكار لا بُدّ لها أن تتحرّك، وإذا لم يكن هناك حركة في تفكيرك، وتوقّفت عملية التفكير، تختفي الأفكار، لأنّها ليست سوى عملية التفكير. "عندما يغيب التفكير، يتوهّج قلبي": عندها وعلى نحو مُفاجئ تُشرق شمس في قلبك، ويغمرك النور، وتغمرك السعادة، ويغمرك الحُبّ.

لأنني من خلال الأشياء رأيتُ ما وراء الأشياء.

هناك تجد ما وراء الأشياء. هناك من خلال تلك اللحظة، تتمكّن من رؤية ذاك الذي هو الحقيقة. طالما وجدتَ من خلال تفكيرك إسقاطاتك الخاصة، ولم تتوصّل مُطلقاً إلى الحقيقة. يُواصل التفكير خلق أفكار عن الحقيقة، ولكنّك لا تُواجه الحقيقة كما هي على الإطلاق. يُوجد دائماً حجاب من الأفكار التي تُواصل تشويه الحقيقة باستمرار. أنت لا ترى أبداً ما هو موجود، ولستَ موضوعياً. يستمرُّ خيالك في العمل، وتستمرُّ رغبتك في تحقيقك أمنياتك في العمل، وتستمرُّ رغباتك في تلوين الأشياء. ليس في استطاعتك رؤية الأشياء كما هي، ما لم يتمّ تحييد التفكير كلياً. عندما تنظر من خلال القلب، ترى الحقيقة.

لأنني من خلال الأشياء رأيتُ ما وراء الأشياء.

في ذلك النور العظيم، يتوهّج القلب. لقد نظرتَ في العمق، ونظرتَ في الماوراء.

ومن خلال الصحبة رأيتُ الصاحب نفسه.

أنا أعلم الآن أنّ كلّ مَن حولي ليسوا أحداً سواك. في الصحبة رأيتُ الصاحب نفسه، فلم تعُد زوجتي الآن هي زوجتي، بل إنّها الإله يلعب دور زوجتي. ولم يعُد ابني هو ابني، ولم يعُد زوجي هو زوجي، بل إنه

الإله يلعب دور زوجي، ودور ابني. حتى العدو لم يعُد عدواً، وإنّما هو الإله يلعب دور عدوي من أجل جعل الحياة أكثر بهجةً، وأكثر ثراءً، وأكثر إبداعاً، وأكثر حيوية. من أجل أن تكون الحياة أكثر ثراءً، تجلى الإله في الكثير من الصور.

ومن خلال الصحبة رأيتُ الصاحب نفسه.

بينما أعيش في الأسر، جعلتُ نفسي حراً

لا داعي الآن إلى الذهاب إلى أيِّ مكان. يقول "كبير": من خلال حياة العبودية، حررتُ نفسي. إنها حريةٌ أعظم بكثير من الحرية الموجودة مُقابل العبودية. هذه هي الحرية الحقيقية، وهي ليست نقيض العبودية، بل إنّها ببساطة ما وراء العبودية. إذا استطعتَ أن تكون حراً في سجنك، فقط حينها يُمكنك أن تكون حراً. عندها يكون لحريتك طبيعة روحانية. عندها قد تكون مُكبلاً بالسلاسل من الخارج، ولكنّك تبقى عصفوراً طليقاً في أعماق الداخل. حينها لن تتعارك حتى مع السلاسل.

لقد سمعتُ.....

تمّ الإمساك ذات مرة بالمستنير "ديوجين" من قِبل بعض الأشخاص اللصوص. كان "ديوجين" صوفياً يتمتع بصحة جيدة. يبدو أنّه الشخص الوحيد في الغرب الذي يمكن مُقارنته مع "مهافيرا" في الشرق. لقد اعتاد أن يعيش عارياً، وكان يملك قواماً جميلاً. يُقال إنّ "ألكسندر" نفسه كان يغار منه. كان "ديوجين" ناسكاً عارياً، ولم يكن يملك سوى كبرياءه وجماله. بينما كان يتأمل تحت شجرة في الغابة، قام بضعة لصوص بالقبض عليه والإمساك به، وراحوا يُفكّرون: "جيد. يُمكن لنا أن نبيعه بسعر جيد في سوق العَبيد". بيد أنّهم كانوا خائفين، لأنَّ الرجل بدا قوياً جداً. كان اللصوص ستة على الأقل، ولكنّهم كانوا خائفين. واقتربوا منه في مُنتهى الحذر، لأنّه قد يكون

خطيراً. كان يبدو قادراً على النيل من الستة بمُفرده.

نظر إليهم "ديوجين" وقال: "لا تخافوا، لا تخافوا، لن أُقاومكم. بإمكانكم الاقتراب مني، تستطيعون تكبيلي بالسلاسل".

أصابتهم الدهشة. كبلوه وجعلوه أسيرهم، واقتادوه إلى السوق. في الطريق قال لهم: "لكن لماذا قيدتموني؟ كان بإمكانكم أن تطلبوا مني وحسب، وكنتُ سأتبعكم. لماذا أحدثتم ضجة حول الأمر؟".

قالوا: "لا يُمكننا أن نُصدّق أن يُصبح شخص ما عبداً بملء إرادته!".

ضحك "ديوجين" وقال: "لأنني رجلٌ حرّ، فلستُ قلقاً حيال ذلك"، ولكنهم لم يتمكنوا من فهمه. في السوق، وقف في الوسط وراح يُنادي: "سيدٌ جاء كي يُباع هنا. هل يرغب أحد العبيد في شرائه؟". انظروا إلى ما قاله: "سيدٌ جاء كي يُباع هنا. هل يرغب أحد العبيد في شرائه؟".

يبقى السيد سيداً، وليست الحرية الحقيقية نقيض العبودية، بل تتخطّى الحرية الحقيقية أيّ عبودية. إذا كانت حريتك نقيض العبودية، فلستَ حُراً حقيقة. قد تفرُّ إلى "الهيمالايا"، فقط لأنك تخشى السوق والزوجة والأولاد، ولكنّك لستَ رجلاً حُراً حقيقة. لا يُمكن أن تكون "الهيمالايا" حريتك. أنت تخشى الزوجة؛ ولو جاءت الزوجة من أجل زيارتك في "الهيمالايا"، ستبدأ في الارتعاش. أو سوف يظهر لكِ زوجكِ المُتسلّط هناك فجأة.

يُحكى أنّ "سوامي راماتيرثا" سافر حول العالم يُبشّر حول رسالة الشرق. لقد كان مُفكراً وصوفياً عظيماً. ثمّ عندما عاد، عاش في "الهيمالايا" مع مُريده "بونسي". في يوم من الأيام، حسب ما سجّله "بونسي" في مُذكراته، جاءت زوجته من أجل رؤيته. يقول "بونسي": "لقد رأيتُ "راما تيرثا" يُقابل آلاف الناس رجالاً ونساء، من كلّ الأصناف، ولكن فجأة شعرتُ كأنّ شبحاً قد ظهر له في شكل "الزوجة"،

فأصبح خائفاً بعض الشيء، وقال لـ"بونسي": قُل لزوجتي أنّني لا أُريد أن أراها".

أصابت الدهشة "بونسي" وقال: "سيدي، إذا كنت تخاف زوجتك، فأنا أرغب في الهروب منك، فلم تعُد مُعلّمي بعد الآن. ما الذي يجعلك تخشى هذه المرأة المسكينة؟ لقد جاءت من قرية بعيدة من "البنجاب". لقد هجرتها وتركتها مع الأولاد، وكانت تُكافح الفقر والحاجة الشديدة دون شكوى. لقد جاءت فقط كي تلمس قدميك، وتراك فقط، ثمّ سترحل في المساء، ولكنك لا ترغب في رؤيتها؟ لا بُدّ من وجود خوف خفي داخلك، وما زلتَ تخاف منها. هكذا ما زلتَ زوجاً، ولم تتحوّل إلى مُريد حقيقي".

أنصت "راما تيرثا" إلى كلمات "بونسي" وأصبح واعياً وقال: "أنت على حقّ. نادِ المرأة: لن تلمس قدميّ وحسب، بل سألمس قدميها أنا الآخر. قد تكون هذه رسالة من الإله، ويكون هذا هو خوفي الأخير، لا بُدّ أنه موجود في مكان ما من عقلي الباطن. أنت على حق".

كتب "بونسي" في مُذكراته، أنّ "راما تيرثا" اكتسب نورانيةً لم تكن موجودةً من قبل. لقد أصبح منذ ذلك اليوم حُراً حقيقة، بل أصبح الحرية في حدّ ذاتها. لقد اختفى آخر ظلّ للعبودية، فقد قبل زوجته أيضاً، ولم يعُد الآن هناك ضغينة ولا تذمر، ولا خوف، ولا هروب.

هذا ما قصدته عندما قلتُ إنّ الحرية يجب أن تتجاوز العبودية، لا أن تكون نقيضها. إنّ الحرية المُناقضة للعبودية، هي الخشية من العبودية، والحرية المبنية على الخوف ليست حريةً على الإطلاق، فلا تجتمع الحرية مع الخوف أبداً. إنّ الخوف هو موتُ الحرية بأكملها، والحرية مُمكنةٌ فقط عندما يختفي كلّ خوف على نحو كامل.

هذا ما يعنيه "كبير" بقوله:

بينما أعيش في الأسر، جعلتُ نفسي حراً

الآن ليس هناك شكّ، وليس لهذه الحرية شروط من قبيل: "يجب أن أعيش في الهيمالايا، وسأكون حراً"، "سوف أعيش في دير كاثوليكي، وسأكون حراً"، "سوف أعتزل النساء، وسأكون حراً"، "لن ألمس المال، وسأكون حراً"، هذا كلّه هراء، وسخافة، خلقه الإنسان الجبان، وأنشأه الخوف.

بينما أعيش في الأسر، جعلتُ نفسي حراً

فررتُ من مخالب الضيق.

هذه هي الحرية: أن تكون حُراً من كلّ أشكال الضيق والمحدودية. إذا كنتَ هندوسياً فلن تكون حراً، أنت محدودٌ جداً، وتقع في نفق يُدعى الهندوسية. كذلك الأمر لو كنت تتبع أيّ دين. إذا كنتَ تعتقد أنّك رجل أو امرأةٌ، فلست حراً، كلّها أنفاق، وجميعها سراديب. إذا كنتَ تعتقد أنّك زنجيّ أو أبيض، فلستَ حُراً. وهذه أنفاق وسراديب أيضاً، إذا كنتَ تعتقد أنّك شيوعيّ أو ضدّ الشيوعية، أو كان لديك أيديولوجية تُحدد هويتك، فلستَ حُراً.

إنّ الحرية هي ألا يكون لك تعريف مُعيّن، وأن تكون من غير تعريف، وأن تكون واسعاً كما الوجود ذاته. وتلك هي الحقيقة، أنت الحقيقة "تاتوامسي"، أنت هي. أنت الكلّ، ولا ذرة أقلّ من ذلك. إنّ الجزء هو الكل: دعني أؤكد ذلك. إنه أمرٌ غير رياضي وغير دقيق أن تقول إنّ الجزء هو الكلّ، بيد أنّ التصوّف غير رياضي ولا دقيق. إذا ذهبتَ إلى عالم رياضيات فسيقول لك: "كيف يُمكن للجزء أن يكون الكلّ؟ فالجزء هو جزء، ولا يُمكن للجزء أن يكون الكلّ، ولا يُمكن للجزء أن يكون مُعادلاً للكلّ، ينبغي أن يكون الجزء أصغر من الكلّ". بالتأكيد هذا صحيح من الناحية الرياضية، ولكنّه كلام فارغ من وجهة النظر الصوفية.

إنَّ الجزء هو الكلّ، ومُعادلٌ للكلّ، وليس أصغر من ذلك ولو بقليل، ولا أصغر منه ولو ذرّة واحدة. لأنَّ الجزء ليس مُنفصلاً عن الكلّ، فكيف لجزء أن يكون أصغر من الكلّ؟ فقط فكّر بالموجة: سوف يقول عالم الرياضيات: "الموجة أصغر من المُحيط"، أمّا الصوفي فسيقول: "الموجة هي المحيط!"، فكيف لها أن تكون أصغر من المحيط؟ هل تستطيع أن تنتزع الموجة من المحيط؟ هل تستطيع إبعادها عنه؟ هل تستطيع حبسها في صندوق؟ بعد ذلك ستعلم أنّك في اللحظة التي تُبعد فيها الموجة عن المحيط، فلن تبقى موجة حينذاك. لا وجود للموجة إلا في المحيط، وهي المُحيط، ولا يُمكن أخذها بعيداً. ليست الموجة سوى حركة المُحيط.

الموجة هي حركة المحيط، وهي ليست مُنفصلة، ولا يوجد انقسام بينها وبين المحيط. الموجة هي المُحيط، الجزء هو الكلّ. عندما تتذكّر هذا، ستؤكّد كلمة "المسيح" عندما قال: "أنا والإله واحد"، وعبارة "منصور الحلاج" عندما قال: "أنا الحقّ، أنا الحقيقة"، وعبارة "أوبانيشاد" التي تقول: "آهام براهماسمي"، أي أنا الإله، أنا المُطلق، أنا الكلّ.

فررتُ من مخالب الضيق.

يقول "كبير": لقد نلتُ المُتعذر نيله،

وتلوّن قلبي بألوان الحب.

استمع الى جمال هذه العبارات:

يقول "كبير": لقد نلتُ المُتعذر نيله،

وتلوّن قلبي بألوان الحب.

لماذا يدعوه بالمُتعذر نيله ثم يقول: "لقد نلته؟"، هنا يسير المنطق والصوفية في طريقين مُنفصلين، مُتباعدين. بالنسبة إلى المُتخصص في

علم المنطق: لو ذهبتَ إلى "آرثر كوستلر" وسألته عن الجملة التي يقول فيها "كبير": "لقد نلتُ المتعذر نيله"، فسيقول: "هذا أمرٌ مُناف للعقل! فإذا كان مُتعذر النوال، كيف أمكنك القول إنّك نلته؟ ولو قلتَ إنّك نلته، كيف تدعوه في الوقت ذاته "مُتعذر النوال"؟ . سوف يقول إنَّ هذا خداع، وجنون.

بيد أنك يجب أن تسمعني: إنّه ليس خداعاً، بل إنّ "كبير" يُحاول أن يقول شيئاً ذا قيمة كبيرة. ينبغي عليه أن يستعمل هذا التعبير المُنافي للعقل، لأنّها الطريقة الوحيدة من أجل التعبير عن الأمر. يُمكن التعبير عن الحقيقة فقط من خلال التناقض.

لقد نلتُ المُتعذر نيله،

ما الذي يعنيه إذاً؟ إنّه يدعوه "المُتعذر نواله"، لأنّك لا تستطيع نيله. لا يُمكنك تحقيقه؛ ولا جعله الغاية، ولا بذل الجهد من أجل نيله، فلا منهجية، ولا طريقة من أجل الحصول عليه. بالتالي فهو يدعوه " المُتعذر نواله"، ومع ذلك فقد ناله. في يوم من الأيام سيُصبح هبة، وليس منالاً. أنت لا تناله، بل أنت ببساطة مُندهش، ولا يُمكنك أن تُصدّق ما تراه عيناك، هل هو حقاً هنا، إنّه ينهمر من حولك. تكمن المفارقة في أنّه كلّما سعيتَ أكثر لنيله، قلّت إمكانية منحك الهبة.

يجب أن تتخلّى عن مُحاولة الحصول عليه، وتنسى كلّ ما يتعلّق بذلك، وتفهم أنّه لا يُمكن الحصول عليه، ويتغلغل هذا الفهم في صميم وجودك، يجب أن ترتاح، ولا يبقى أيّ رغبة في نيل شيء، أو الذهاب إلى أيّ مكان، ولا يبقى أيّ رغبة في أن تكون شخصاً ما، أو تملك شيئاً ما، أو تحصل على تجربة مع الإله، "موكشا"، "نيرفانا"، يجب أن تختفي كلّ هذه الرغبات، لأنك تعلم أنه مُتعذر النوال، ولا يُمكن أن ترغب في الحصول عليه، ولا يُمكن جعله موضوعاً لطموحك، لأنّ كلّ مواضيع

الطموح تخلق الأنا، وهو محالٌ من خلال الأنا، إذ كيف يُمكنك أن تُصبح رحباً من خلال الأنا؟ إنّ الأنا مثل النفق، فكيف لك أن تكون في النفق، وتحظى بالسماء الرحبة في الوقت ذاته؟ هذا مُحال.

يجب أن يفهم الإنسان أنه هو "السبب الرئيس في بؤسه"، وأنه "سجن نفسه". عندما يرتاح الإنسان، ويكون الاسترخاء مثالياً، وكاملاً، حينها تأتي الهبة.

هكذا يقول "كبير": "لقد نلتُ المُتعذر نواله، أنا لم أحصل عليه، بل أُعطي لي، إنّه نعمة. لقد تنزل عليّ الإله".

من أجل هذا السبب أقول إنّ "راييندرات" لم يقُم بترجمة عبارة "كالات مانسا أكال كينهي؟ " على نحو صحيح. إنّ الترجمة الصحيحة هي: هل فعلتها يا إلهي؟ لقد فقدتُ الأمل تماماً. بل إنّني انقطعتُ عن الصلاة من أجل ذلك، فقد كانت بلا معنى. لقد كنتُ أبحث عنه طوال آلاف الحيوات، ثمّ تخليتُ عن ذلك كله، والآن تخلّيتُ عن البحث بأكمله، هل فعلتها أنت؟ لقد فاجأتني! عندما كنتُ أسعى قمتَ بإحباطي. والآن حين كففتُ عن المحاولة، فعلتها أنت؟ حينما كنتُ أظنُّ أنّني قادرٌ على امتلاكه، وأظنُّ أنّني أستحقّه، لم تستمع إليّ أبداً. لقد كنتَ بعيداً جداً، والآن عندما تيقنتُ أنّني لا أستحقه، وأنّني غير جدير به، ها أنت فجأةً".

لقد نلتُ المُتعذر نيله،

وتلوّن قلبي بألوان الحب.

فقط عندما يتجلّى الإله، يتلوّن قلبك بألوان الحُبّ، وليس قبل ذلك أبداً. أو عندما يتلوّن قلبك بألوان الحُبّ، تحظى بالإله، وليس قبل ذلك. أرجوك لا تجعل من ذلك أحجية: لا تبدأ في السؤال عن أيهما يأتي أولاً، الدجاجة أم البيضة. لا تسأل عن ذلك.

سواء تحرّكتَ عبر الحُبّ فحظيتَ بالإله، أو تحرّكتَ عبر الإله فنلتَ الحُبّ. إنّهما يأتيان مع بعضهما البعض، وهما حزمةٌ واحدة. فالدجاجة والبيضة ليستا مُنفصلتين، البيضة ليست إلا وسيلة الدجاجة في انتاج المزيد من الدجاج، كما أنّ الدجاجة ليست إلا وسيلة البيض في انتاج المزيد من البيض. إنّهما ليستا مُنفصلتين. البيضة هي دجاجة غير ظاهرة، والدجاجة هي بيضة ظاهرة. إنّهما طرفا النهاية لشيء واحد، وظاهرة واحدة، وكذلك هما الإله والحُبّ.

من أجل هذا يقول "المسيح": "الإله محبة"، وأنا أقول: "المحبة هي الإله"، ولكلّ منهما المعنى ذاته. إنّ الإله هو أحد طرفي النهاية للطاقة والذبذبة ذاتها، والطرف الثاني هو المحبة. بإمكانك أن تبدأ من أيّ منهما.

ابدأ أرجوك: لا تكتفِ بالوقوف والتفكير: "أيّهما أولاً؟ من أين سأبدأ؟". إنّ الذين يُفكّرون من أين سيبدؤون لا يبدؤون أبداً. إنّ الذين يُفكّرون لا يبدؤون. وحدهم الذين لا يُفكّرون هُم مَن يقومون بالقفزة.

يأتيني أحدهم فأسأله: "ما رأيك بالمريدية "سانياس"، هل أنت مُستعدّ من أجل القيام بالقفزة؟"، فيقول: "سأُفكّر بالأمر"، وهو لا يعلم أنه لا يقوم الذين يُفكّرون بأيّ قفزة. إنّ التفكير يعني جعل كلّ شيء مُحدداً قبل حدوثه، ويعني مُحاولة جعل المجهول معلوماً قبل القيام به، ويعني: "عليّ أن أقوم بكلّ الاستعدادات، فلن أنخرط في مُغامرة". إنّ التفكير جبان، والذين يُفكّرون جبناء.

ما الذي يُمكنك أن تعرفه في هذه الحياة الغامضة؟ ما الذي يُمكنك معرفته؟ لا شيء معلوم.

لقد سمعتُ...

في أحد باصات النقل المُزدحمة، كانت سكرتيرة شابة تجد صعوبة

في إخراج النقود من حقيبتها كي تدفع الأجرة. قام شابٌ مُهذبٌ قوي البنية بالتطوع قائلاً: "هل لي أن أدفع الأجرة عنك؟".

تمتمت قائلةً: "كلا، لا يُمكنني السماح لك بذلك. فأنت غريب عني تماماً".

قال: "ليس تماماً، فقد قمتِ بفتح سحابي ثلاث مرات".

هذا ما ندعوه الاطلاع، المعرفة. هل تعرف زوجتك؟ هل تعرفين زوجكِ؟ هل تعرف ابنك؟ هل تعرف والدتك؟ هل تعرفني؟ ما الذي نعرفه؟ جميع المعارف سطحية، ولكنِ مع ذلك يعتقد المُفكر أنّ عليه أولاً أن يتأكّد من كلّ شيء، عليه أولاً أن يكون واسع الاطلاع بكلّ الطرق. ينبغي عليه أن يمتلك الخريطة والدليل والامكانيات والأخطار والفوائد. وبعدها سيتحرّك. حينها قد تتحرّك نحو أيّ شيء، ولكن لا يُمكنك التحرك نحو المُريدية، فهي مُغامرة، ولا يُمكنك التحرّك نحو الإله، فهو المغامرة المُطلقة. ليس ما تراه حقيقياً، فما الذي ستُفكّر به؟ ما الذي تستطيع أن تُفكّر به.

ذاك الذي تراه ليس الحقيقة:

أنت لا تملك الكلمات من أجل وصف ذاك الحقيقي

إنك لا ترى الأمر بسبب تفكيرك، فالتفكير هو الحماقة الأعظم عند الإنسان. عند ذلك، أنت تحمل الأفكار في رأسك، وتقوم باستمرار بالنظر من خلال هذه الأفكار.

لقد سمعتُ.....

اعتاد ركاب "كونيكتيكت" على الخدمة المُريعة لشركة سكة الحديد، ولكن عندما تقدّم قطار بطيء في "غراند سنترال" مُتأخراً ساعة ونصف عن الجدول، في رحلة من المُفترض أن تستغرق أربعين دقيقة،

احتجّ أحمقٌ ضعيفٌ تافه من "ماونت فيرونا".

ذكّره قاطع التذاكر بالقول: "نحن نتأخّر دائماً عندما تُثلج".

أجاب الشخص الابله: "أعلم ذلك، ولكن هذا الصباح لم يكن هناك ولا غيمة واحدة في السماء!".

قال قاطع التذاكر: "نحن لسنا مسؤولين عن ذلك، لقد تمّ التنبؤ بهطول الثلوج".

ذلك هو أسلوب المعرفة. أنت تُواصل البحث عن الأشياء المُتوقعة، والأشياء التي تمّ تدريبك عليها، والأمور التي أعدّك لها المجتمع، وليس عن الأشياء الحقيقية. حتى الآن لم يظهر المُجتمع القادر على تحضيرك من أجل الحقيقة، لأنّ المُجتمع أسطورة وخرافة، وقصة خيالية، وكذبة.

لقد سمعتُ حادثة نادرة جداً، وهي حقيقية، إذ يُؤكّد مصدرٌ موثوقٌ أنها كذلك.

صادف "داروين" جزيرةً صغيرةً خلال رحلته، بينما كانوا مُسافرين على متن سفينة ضخمة جداً. لم يسبق أن رأى سكان الجزيرة سفينةً بهذا الحجم، فقد كانوا يعرفون القوارب الصغيرة فقط والتي تتسع لشخصين، وأكبر ما عرفوه هي قوارب الصيادين. يُسجّل "داروين" في مُذكّراته: عندما رسَت السفينة الكبيرة قرب الجزيرة، لم يرها أهل الجزيرة! لم تلفت انتباههم. كان الناس يعملون على الشاطئ، ويقومون بصيد الأسماك، وأمامهم هذه السفينة الضخمة، ولكنّ أحداً لم ينظر إليها. كان ركاب السفينة مُندهشين: "ما الأمر؟ هل هؤلاء الناس مجانين؟". كان يجب أن يركضوا، ويحتشدوا. كان ينبغي أن يتجمّع كلّ أفراد الجزيرة الصغيرة، ذلك ما كان "داروين" يتوقّعه.

عندما نزلوا إلى الجزيرة تحرّوا الأمر، ووجدوا لاحقاً، أنّ أهل

الجزيرة بدأوا ينتبهون إلى وجود السفينة بالتدريج. قال الزعيم: "لأننا لم نرَ شيئاً كهذا من قبل، لم نكن نتوقّعه".

كيف يُمكن أن ترى الشيء ما لم تكن تتوقع حدوثه؟ عندما تتوقّع شيئاً، تبدأ في رؤية الأشياء. إذا كنتَ تمشي قرب الدير، وأنت لا تعلم أنّه دير، فقد ترى شيئاً مُختلفاً غير موجود هناك. بيد أنك لو كنتَ تعلم أنه دير، وقد لا يكون ديراً، رُبّما تبدأ في رؤية أشياء غير موجودة هناك. إذا كنتَ تمرّ خلال مقبرة، وأنت لا تعلم ما هي فلن ترى أشباحاً، بينما لو كنتَ تعلم أنّها مقبرة، وقد لا تكون كذلك، وقد تمّ تضليلك، فستبدأ في رؤية الأشباح. إن رؤيتك يحجبها ما تتوقعه. إنّ رؤيتك ليست واضحة.

ذاك الذي تراه ليس الحقيقة:

أنت لا تملك الكلمات من أجل وصف ذاك الحقيقي

لن تؤمن، ما لم تر:

لا يُمكنك قبول ما يُقال لك.

يقول "كبير": أنا أعلم، مهما قلتُ لك فلن تستطيع أن تُؤمن به لأنك لم تره. كيف يُمكنك أن تُؤمن به؟ أستطيع أن أتفهّم الصعوبة التي تُواجهها. عندما أقول لك: "قُم بالقفزة إلى المريدية"، فأنا أتفهّم ترددك. أنت لم ترها، كيف لك أن تثق بها؟ أنت لا تعرفني كذلك، كيف يُمكنك أن تثق بي؟ أنت لا تعرف ذاتك حتى؛ كيف يُمكنك أن تثق بذاتك؟ يُمكنني تفهّم حيرتك، وترددك. إنّ أولئك الذين قاموا بالقفزة لم يقوموا بذلك بناءً على أيّ استنتاج من جانبهم. لقد قاموا بالقفزة على الرغم من جميع مخاوفهم وشكوكهم. لقد قاموا بالقفزة بصرف النظر عمّا يقوله تفكيرهم. إنّهم لم يتوصّلوا إلى قناعة، فما من طريقة تجعلك تقتنع. ما أتكلم عنه هو أمرٌ تختبره، وعندها فقط سوف تعلم. إذاً كيف يُمكنك أن تقتنع به؟ لا يوجد طريقة لإقناعك بديهياً، ومُسبقاً.

يقول "كبير": "أعلم".

لن تؤمن، ما لم تر:

لا يُمكنك قبول ما يُقال لك.

يُدرك الفطن من خلال الكلمات،

بينما يقف الجاهل مُحدقاً.

تكفي مُجرّد تلميحة بسيطة من أجل إقناع ذاك الذي يعلم، وتكفي كلمة واحدة كي تُوصل له رسالة عالم اللاكلمات. بيد أنه يعرف بالفعل، وهو فطن، لقد أدرك.

ذات مرة التقى "كبير" مع "فريد" ولم يتكلما. لقد مكثا يومين معاً، والتزما الصمت. كانا يضحكان في بعض الأوقات، ويتعانقان في أوقات أُخرى. جلسا وقد أمسك كلّ منهما بيد الآخر، وراحا ينظران إلى الشمس والقمر. ساور القلق المُريدين: "ما الذي حدث لهذين الرجلين؟ لقد كان كلّ منهما يتكلّم دائماً.

كان "فريد" مُعلّماً عظيماً؛ وكذلك كان "كبير". بينما كان "فريد" يجوب البلاد، قال له طلابه: "إنّ زاوية "كبير" قريبة من هنا. وسيكون من الجميل أن نراكما تلتقيان. ستكون تجربةً عظيمةً لنا". كان المُريدون يأملون سراً أنّه عندما يلتقي هذان الشخصان فسيكون هناك تواصلّ بينهما، أو حوار، الأمر الذي سوف يعود عليهم بمنفعة هائلة. هكذا قال طلاب "كبير" له: "لقد سمعنا أنّ "فريد" يمرُّ بالقرب من هنا. يجب أن نقوم بدعوته. سوف يكون أمراً عظيماً أن يراكما أهل الزاوية سوياً وأنتما تتحادثان، سوف نستفيد إلى حدّ كبير".

ضحك "كبير"، وتمّت دعوة "فريد". مكث "فريد" في زاوية "كبير" مُدة يومين، ولكن لم ينبس أيّ منهما ببنت شفة. أصبح المُريدون ضجرين للغاية، فقد كانوا يتوقّعون الكثير. لقد أصابهم الإحباط بالطبع.

ظلّوا ينتظرون يوماً وليلة خشية أن يتكلّما عندما يغيب الجميع، ولذلك لم يتركوهما بمُفردهما أبداً، ولم يخلدوا إلى النوم. حتى عندما أوى "كبير" و"فريد" إلى النوم، لم ينم المُريدون، ولكن لم يتمّ تبادل ولا كلمة واحدة.

ثمّ غادر "فريد"، وجاء "كبير" كي يُودعه، ولكن لم ينطقا ولا بكلمة واحدة. لقد تعانقا وافترقا.

في اللحظة التي افترقا فيها، قفز طلّاب "فريد" عليه وقالوا: "ما الذي حدث لك؟ لم نكن نعلم أنّك أبكمّ إلى هذا الحدّ؟ لماذا التزمتَ الصمت؟ لماذا عذّبتنا إلى هذه الدرجة؟ لقد كان ذلك الصمت ثقيلاً جداً، وكنا ننتظر بعض التواصل بينكما".

أجاب "فريد": "ماذا أقول؟ إنّه يعلم". وكان الحال ذاته مع "كبير" حيث قال: "ماذا أقول؟ إنّ قول أيّ شيء له يدلّ ببساطة على أنني لا أعلم. هو يعلم وأنا أعلم، وكلانا يعلم الشيء ذاته. لقد نظرنا في عينيّ بعضنا، وانتهى الأمر. ما جدوى التكرار؟ سوف يكون التكرار بلا معنى".

عندما يعلم الإنسان، لن تكون الكلمة ضرورية حتى، أو رُبّما تكفي كلمةٌ واحدةٌ.

يتأمل البعض في عالم اللاصور،
بينما يتأمل الآخرون الصور،
بيد أنّ الحكيم يعلم
أنّ "البراهما" موجودٌ وراء كلّ منهما.

يعتقد البعض أنّ الإله له صورة أو شكل "ساغونا"، بينما يعتقد البعض الآخر أنه ليس للإله صورة أو شكلٍ "نيرغونا". يقول "كبير": إنّ الإله يتجاوز الاثنين، وهو موجود في كلّ منهما، وهو موجود وراءهما، إنه

موجود في الصور، وفي الوقت ذاته لا صورة له. يتجلّى الإله في ملايين الصور، ومع هذا يبقى مُحتجباً ومُستتراً.

لا يُمكن رؤية جماله بالعين،

إذا كنتَ ترغب في أن تراه، فلن تنفعك هاتين العينين.

لا يُمكن رؤية جماله بالعين،

في الحقيقة، سيتوجّب عليك أن تُغمض هاتين العينين، وتفتح عيني إدراكك، ووعيك، فهاتان العينان الماديتان لن تنفعاك.

لا يُمكن للأُذن أن تسمع الحانه.

تلك النغمات، تلك الموسيقى، تلك الألحان، تلك الأغنية، لا تسمعها هذه الآذان. ينبغي عليك التحرّك في اتجاه الداخل. إنّه يغني هناك في داخلك، وليس في الخارج. تستطيع هذه الآذان أن تسمع الموسيقى الخارجية فقط. يتوجّب عليك التوجّه نحو الداخل، فالمُغنّي هناك، والموسيقي هناك. إنّه يُغني أغنيته باستمرار. تلك الأغنية هي حياتك في حدّ ذاتها.

بيد أنه ينبغي عليك أن تستمع بطريقة مُختلفة تماماً، وترى بنوعية مُختلفة تماماً.

يقول "كبير":

من وجد الحُبّ والتخلّي معاً

لن ينال منه الموت.

تذكّر أنّ أعلى درجات الانسجام هو الانسجام بين الحُبّ والتخلّي. انظُر إلى هذه الحكمة "سوترا" المؤثرة: الحُبّ والتخلّي مع بعضهما البعض. تلك هي تعاليمي أنا أيضاً.

يأتيني الناس ويقولون: "إذا كنتَ تُعلّم التأمل وحسب، فإنَّ ذلك يفي بالغرض. لماذا تقوم بتعليم الحُبّ أيضاً؟ لم يسبق لنا أن سمعنا القدّيسين يتكلّمون عن الحُبّ، فلماذا تتكلّم أنت عن الحُبّ؟ حتى لو تكلّم القديسون عن الحُبّ فهم لا يتكلّمون عن الحُبّ العادي عند البشر؟".

في ذاكِ اليوم عندما قلتُ: "إنَّ الإله محبة، ولا تكتبوا الحرف الأول من كلمة محبة بالحرف الكبير". كتبَت لي سيدة رسالة احتجاج قالت فيها: "لماذا؟ لماذا لا نكتب الحرف الأول بالحجم الكبير؟ لماذا تُصرُّ على أنّ الحرف الأول يجب أن يُكتب بالحجم الصغير؟". يُمكنني تفهّم اعتراضها. عندما نكتب أول حرف من كلمة محبة بالحرف الكبير، يكون الحُبّ أمراً مُقدّساً، وأمراً غير بشري. من خلال الحرف الأول الكبير، يتمّ التخلي عن حُبّك البشري، ويتحوّل إلى الحُبّ الذي بين "كريشنا" ومُحبيه، الحُبّ بين الإله وعاشقيه، وليس الحُبّ الذي بينك وبين ابنك. ذلك النوع الحُبّ نكتبه بالحرف الصغير. نعم، لا بأس بكتابة الحرف الأول من كلمة محبة بالأحرف الكبيرة، والقول إنَّ الإله محبة، ولكن الحُبّ المألوف، الحُبّ الإنساني، كيف ندعوه مُقدّساً؟ ذلك أمرٌ صعبٌ، إنّه يُشبه تدنيس المُقدسات، ولكنّ جهدي هنا بأكمله ينصبُّ على هذا.

يجب أن لا يكون هناك حرف كبير في بداية كلمة المحبة. بل حتى كلمة الإله يجب أن يُكتب الحرف الأول منها بالحجم الصغير، لأنَّ الوجود بأكمله، والكون بأكمله مُقدّس، وتكمن الروعة فيما هو مألوف جداً. انظُر إلى الحرف الصغير، وستجد أنّ الحرف الكبير حاضرٌ فيه.

إنه حاضرٌ في الحصاة العادية، والصخرة العادية، مثل حضوره في جوهرة "كوهينور". لا يُوجد فوارق عند الإله، والكون بأكمله نفيس بحضور الإله.

يقول "كبير":

من وجد الحُبّ والتخلّي معاً

لن ينال منه الموت.

يتعسّر فهم هذا، إنّه أقصى درجات اللامنطق. يُمكننا فهم الحُبّ، لكن ماذا عن التخلّي؟ بإمكاننا فهم التخلّي، لكن ماذا عن الحُبّ؟ يبدو أنّهما أعظم نقيضين مُمكنين. عندما تُحبّ كيف لك أن تتخلّى؟ وعندما تتخلّى كيف يُمكنك أن تُحبّ؟

حاول فهم ذلك: إنّ الحُبّ العادي هو نوعٌ من النوم، إذ تُصبح مُتعلّقاً بالمحبوب، وتبدأ في الشعور بالغيرة، ويُصبح لديك شعور بالتملك، بيد أنّ تملكك وغيرتك، يُسممان حُبّك في الواقع، بل يُدمرانه. في اللحظة التي تُحاول فيها تملك محبوبك، فأنت تُنكر الحُبّ، بل لقد أنكرته بالفعل. أنت تُؤكّد أنّك لا تُحبّ.

إنّ الحُبّ مُمكنٌ فقط عندما ينتفي التملّك والغيرة. هذا يعني أنّ الحُبّ قد حاز على التخلّي. أنت تُحبّ الشخص، ولكنّك تتخلّى عن التملّك والغيرة. تُحبّ الشخص، ولكنّك لا تجعل منه أو منها عبداً. تُحبّ الشخص، ولكنّك تحترم حريته أو حريتها. تُحبّ الشخص، ولكنّ حُبّك لا ينقلب حبساً. تُحبّ وتبقى غير مُتعلّق في الوقت ذاته. تُحبّ بقوة، ولكنك على الرغم من ذلك لا تتشبث: هذا هو التخلّي.

أحبب العالم، ولكن لا تتعلّق به. عِش في العالم، ولكن لا تدع العالم يتملكك: ذلك هو التخلّي. هذا ما أدعوه المُريدية "سانياس": تناغمٌ عظيمٌ بين الحُبّ والتخلّي، تناغمٌ عظيمٌ بين هذا العالم وذاك، تناغمٌ عظيمٌ بين الإله الخالق والكون المخلوق، تناغمٌ عظيمٌ بين الجسد والروح، تناغمٌ عظيمٌ، حيث تختفي كلّ ألوان الصراع.

إذا كان حُبّك عظيماً بحيث يشمل التخلّي، فقط حينها يكون حُبّاً. إذا كان تخلّيك عظيماً إلى درجة تجعله يحتوي الحُبّ، فقط حينها يكون

تخلياً. إنَّ الإنسان الذي يستطيع أن يُحبّ ويتخلّى في الوقت ذاته، يحوز النماء العظيم والمصير. ذلك هو المصير الذي نسعى وراءه، وما لم يتمّ الحصول عليه، فلن تشعر بالرضى. إنّ الإله هو المحبّ وهو المُريد.

انظُر. إنَّ الإله يُحبّ الكون، وإلا لما كان الكون. إنّه يُحبّ الكون، ومع ذلك لا تجده في أيّ مكان. إنّه غائبٌ تماماً، إنّ التخلّي لديه كامل. إنّه يُحبّ الكون، ويُواصل خلقه. إنّه يُحبّه بشدة، وإلا لماذا خلقه؟ إنّه يهتمّ جداً لشأنه، ولكنّه ليس مُتعلقاً به أبداً، فهو لا يعرض نفسه في السوق قائلاً: "انظروا، أنا الخالق".

ليس لديه "أنا". هو الخالق، دون الشعور بعبارة "أنا الخالق". إنّ تخلّيه كامل، وكذلك حُبّه كامل.

يجب أنْ يكون المُريد صورة مُصغرةً عن الإله: حُبّه كامل، وكذلك تخلّيه كاملٌ:

يقول "كبير":

من وجد الحُبّ والتخلّي معاً

لن ينال منه الموت.

إنّه يعبر إلى ما وراء الموت، ويُصبح خالداً. لقد ذاق الرحيق الإلهي، وحصل على الإكسير، الذي طالما بحث عنه كلّ الكيميائيين حول العالم. يُمكن أن يحدث هذا الإكسير داخلك. يلزمك تركيبة، وتوليفة عظيمة واحدة: التوليفة بين الحُبّ والتخلّي.

الفصل الثامن

لا يزال لدى الإله أمل

صباح 28 كانون الأول، قاعة "بوذا"

السؤال الأول:

هل هناك حياة بعد الموت؟

هذا سؤال خاطئ لا معنى له أساساً. يجب ألا يقفز المرء أمام نفسه أبداً: ستقع على وجهك حتماً. يجب على الانسان أن يسأل السؤال الجوهري، يجب أن يبدأ من البداية. أقترح أن تسأل سؤالاً أكثر جوهريةً.

على سبيل المثال، بإمكانك أن تسأل: "هل هناك حياة بعد الولادة؟ " سيكون ذلك أكثر جوهريةً، لأنَّ الكثير من الناس يُولدون، ولكنّ قلة قليلة منهم تحظى بالحياة. إنّ الولادة في حدّ ذاتها لا تقتضي كونك على قيد الحياة. أنت موجودٌ بالتأكيد، ولكنّ الحياة هي مفهوم أوسع من مُجرّد الوجود. قد تُولد، ولكن ما لم تتمّ ولادتك من جديد داخل كيانك، فلستَ على قيد الحياة على الإطلاق.

إنّ الولادة ضرورية، ولكنها ليست كافية. أحياناً يلزم أمرٌ أكبر، وإلا عاش الإنسان حياةً فارغة، ومات بكلّ بساطة. إنه بالطبع موت تدريجيّ، وأنتَ لست واعٍ بما فيه الكفاية كي تُميّزه، بل إنك لا تعيه مُطلقاً. من

الولادة إلى الموت، إنّه موت مُتدرج طويل الأمد. من النادر جداً العثور على شخص على قيد الحياة مثل "بوذا"، "المسيح"، "كبير"، الذين كانوا على قيد الحياة. هذه هي المعجزة: لا يسأل أولئك الذين هم حقيقة على قيد الحياة هذا السؤال: "هل هناك حياة بعد الموت؟ "، فهم يعلمون، ويعرفون ما الحياة، وفي معرفتهم هذه يختفي الموت. ما إن تعلم ما هي الحياة، حتى يتلاشى الموت. إنّ الموت موجود فقط، لأنك لا تعلم ما هي الحياة، لأنك لا تُدرك تماماً معنى الحياة، ولا تعي أنها خالية من الموت. أنت لم تلمس الحياة بعد، وبالتالي يبقى الخوف من الموت قائماً. ما إن تعرف الحياة، حتى يُصبح الموت معدوماً في اللحظة ذاتها.

أوقِد نوراً في غرفة مُظلمة، وستتلاشى العتمة. تعرّف على الحياة وسيتلاشى الموت. إنّ الإنسان الذي يعيش حقيقة، يضحك ببساطة من احتمالية الموت في حدّ ذاتها. إنّ الموت مُحال، ولا وجود للموت، وحسب طبيعة الأشياء، سوف يبقى ما هو كائن، إذ طالما بقي. لا يُمكن أن يختفي ما هو كائن. بيد أنك يجب أن تدخل هذه التجربة من الناحية الوجودية، وليس من الناحية النظرية.

بطبيعة الحال يبقى السؤال في الذهن، سواء طرحته أم لا، وهذا السؤال هو: "ما الذي يحدث بعد الموت؟"، ولأنه لم يحدث شيء قبل الموت، فقد نشأ السؤال. لأنّ الحياة لم تتحقق حتى بعد الولادة، فكيف يُمكنك أن تُصدّق وتثق أنّ الحياة سوف تتحقق بعد الموت؟ إذا لم تحدث الحياة بعد الولادة، فكيف لها أن تحدث بعد الموت؟ إنّ الذي يعلم ما هي الحياة، يعلم أنّ الموت ولادة جديدة لا غير. إنّ الموت ولادة جديدة، وباب جديد يُفتح.

إنّ الموت هو الجانب الآخر من الباب ذاته الذي تدعوه الولادة: من الجهة الأولى يُعرف الباب بالموت، ومن الجهة المُقابلة يُعرف الباب

بالولادة. يُقدّم لنا الموت ولادة جديدة، وبداية جديدة، ورحلة جديدة، ولكنّ هذا يُعتبر مُجرّد تخمين بالنسبة إليك، ولن يكون له أيّ معنى ما لم تعرف ما الحياة. من أجل هذا أقول لك: اطرح السؤال الصحيح؟ لا يُمكن الإجابة على سؤال خاطئ، أو رُبّما تتمّ الإجابة عليه بطريقة خاطئة. إنّ السؤال الخاطئ يفترض مُسبقاً إجابة خاطئة. أنا هنا كي أُساعدكَ على معرفة شيء ما، وليس كي أُساعدك على أن تُصبح مُفكراً عظيماً. إنّ التجربة هي الغاية، وليس التفلسف، وحدها التجربة تحلّ اللغز.

لقد تمّت ولادتك ولكنك لم تُولد حقيقة بعد، وتلزمك ولادة جديدة. يجب أن تُولد مرتين: الولادة الأولى هي الولادة المادية، والولادة الثانية هي الولادة الحقيقية، وهي الولادة الروحية. يجب أن تعرف نفسك، ومَن تكون. يجب أن تطرح هذا السؤال: مَن أنا؟ بما أنّ الحياة موجودة، لماذا لا تتحرّى عن ماهية الحياة في حدّ ذاتها؟ لماذا نكترث بالموت؟ بوسعك أن تُواجه وتتعرف على الموت عندما يأتي. لا تُفوّت هذه الفرصة في التعرّف على الحياة، بينما هي تُحيط بك.

إذا تمكّنتَ من معرفة ماهية الحياة، من المُؤكّد أنّك ستعرف ماهية الموت، وحينذاك لن يكون الموت عدوك، بل سيكون صديقك. عند ذلك لن يكون الموت سوى نوم عميق، ومن جديد سيكون هناك صباح، فتتجدد الأشياء، ولن يكون الموت سوى استراحة عظيمة ضرورية، بعد حياة طويلة من النصَب والتعب، يحتاج الإنسان إلى استراحة عند الإله، وما الموت إلا عودة إلى المصدر، كما يغرق الإنسان في النوم.

أنت تموت في كلّ ليلة موتة صغرى، تدعوها النوم، مع أنه من الأفضل أن تدعوها الموت الأصغر، إذ تختفي من السطح، وتتحرّك في اتجاه جوهرك المكنون، وتكون تائهاً، ولا تدري مَن تكون، وتنسى كلّ ما له علاقة بالعالم، والعلاقات والناس. تموت موتتك الصغرى البسيطة،

وعلى الرغم من كونها صغرى فهي كفيلةٌ بإنعاشك، فتُصبح في الصباح مُفعماً بالحيوية والنشاط، وتخفق بالحياة من جديد، وتكون مُستعداً من أجل القفز في ألف مُغامرة ومُغامرة، وجاهزاً من أجل قبول التحدّي، ثمّ في المساء ينال منك التعب مُجدداً.

يتكرر هذا يومياً. أنت لم تعرف حتى ما هو النوم، فكيف لك أن تعرف ما هو الموت؟ إنّ الموت نوم عظيم، واستراحة كبيرة بعد حياة طويلة. إنّه يُجددك، ويجعلك نشيطاً، ويبعثك من جديد.

السؤال التالي:

يرغب مالك فندق "غراند" الذي أنزل فيه، أن تُجيبه على السؤال التالي: لماذا خلق الإله هذا الكون؟

أولاً، إياكم أن تُحضروا لي سؤال شخص آخر، بل أحضروا صاحب السؤال، لأنّه لا يُمكنني الإجابة على سؤال شخص آخر. ينبغي أن يكون صاحب السؤال هنا في حضرتي، لأنّ حضوري في حقيقة الأمر هو الجواب، ليس الجواب ما أقول، بل ما أكون عليه. إياكم أن تُحضروا لي أسئلة مُستعارة. إذا لم يكن السؤال سؤالك، فلا معنى له. قُل لمالك الفندق: "بإمكانك أن تأتي"، وإذا كان مُهتمّاً حقيقة يجب أن يأتي. لا أظنّ أنّه مُهتمّ بالإله أو بأيّ شيء آخر، رُبّما كان لديه فضول، إلا أنّ الفضوليين هم مُجرّد أغبياء.

يُمكن لأيّ غبي أن يكون فضولياً. ولكن كي يكون الإنسان باحثاً حقيقة، فإنه في حاجة إلى ذكاء حاد.

حسناً، إذا كان مُهتماً، فأنا هنا في "بونا"، وهو يُدير فندقاً هنا. لقد جئتَ أنت من بلاد بعيدة، بينما لم يأتِ هو. إنّه ليس مُهتماً، بل فضولي وحسب. ليس مُستعداً من أجل التضحية بأيّ شيء، ولا حتى القدوم إلى هنا. لن يُكلّفه القدوم إلى هنا الكثير، باستطاعته المجيء. إنّه يعلم أنّك

تأتي إلى هنا كلّ يوم، ويعلم أنّك مُريد، ويعلم أنّك خاطرت وغامرت بحياتك، ولكنّ ذلك لم يكن كفيلاً بجعله مُهتماً.

إياكم أن تُحضروا لي هكذا أسئلة. فهذا النمط من الأسئلة غبيّ، ولا يُمكن الإجابة عليه، لأنّك ما لم تسأل بكثافة، ومن صميم كيانك، فسيكون السؤال غير مهمّ. يُصبح السؤال ذا أهمية فقط عندما تكون خلفه، وعلى استعداد من أجل تقديم شيء من أجله، وعلى استعداد من أجل دفع الثمن.

لا يكون الإله مُتاحاً لأمثال هؤلاء، الذين ليس لديهم استعداد من أجل دفع أيّ شيء، ويُريدون الإله بثمن بخس. إنهم يُريدون إلهاً مُستعملاً. سوف تستمع الآن إلى جوابي، ثمّ تذهب إليه وتُخبره. أولاً، أنت لا تعلم، ولن تستمع إلى ما أقوله، وهكذا ستنقل رسالة خاطئة. بالطبع سيتدخّل تفكيرك، ويُحرّفها، فتُضيف شيئاً ما، وتحذف آخراً، وتلوّنها بألوان دماغك، وتفسيراتك وتأويلاتك، ثمّ تحملها إليه. لقد مات الجواب مُسبقاً، وقد قتلته، ثمّ تذهب وتعطيه إياه.

لو كانت الاستفسارات مُمكنة بهذه الطريقة، لأمكن الإجابة من الكتب المُتاحة. يجب عليه أن يذهب ويُراجع المكتبة، فكلّ الإجابات مكتوبة هناك. لا بُدّ أنّه قرأ شيئاً عن الموضوع، وإلا لما نشأ لديه السؤال. لا بُدّ أنّه سمع بكلمة الإله.

إياكم أن تفعلوا هذه الأمور. إذا سألك أحدهم مثل هذا السؤال، عليك سحبه وجرّه إليّ. قُل له: "تعال وقابل الرجل مُباشرةً".

بيد أني أشكّ أنّ السؤال عائد إليك، وليس إلى مالك الفندق، ولكنّك لا تملك الجرأة على أن تقول إنه عائد إليك. يخجل الناس كثيراً، حتى من طرح الأسئلة الحقيقية. لماذا يخجل الناس؟ لأنّ طرح السؤال يُبين أنّك جاهل، ولذلك يُفضّل الناس أن يتواروا خلف الآخرين، ويكون

"مالك فندق "غراند" مكاناً مثالياً من أجل الاختباء.

يشعر الناس ببعض الخجل عندما يطرحون سؤالاً ما، لأنَّ فكرة "أنا أسأل" في حدّ ذاتها تعني "أنا لا أعلم".

ذات مرة جاءني أحدهم وقال: "لقد أصبح صديقي عاجزاً جنسياً. هل لديك أيّ اقتراح؟".

قلتُ: "كان يجدر بك إرسال صديقك كي يقول الحقيقة، وهي أنَّ صديقه قد أصبح عاجزاً جنسياً. لماذا أتعبتَ نفسك؟ ألستَ قوياً بما يكفي من أجل طرح السؤال؟ لماذا أقحمتَ صديقك في الأمر؟".

إنَّ أول ما تعترف به عند طرحك للسؤال هو جهلك. من هنا يبدأ البحث. لا يكون السؤال جميلاً إلا عندما يُدرك السائل أنه لا يعلم، وحينها يكون السؤال صحياً، لأنَّ الأمَّ مُعافاة، والسؤال هو الطفل. عندما تقول: "أنا لا أعلم، وأنا أطرح السؤال لأنني لا أعلم"، حينئذ يكون السؤال صحياً، نابضاً بالحياة، يتنفّس. أنا أُحبّ السؤال النابض بالحياة، لأنه يُشعرك أنَّ هناك ما يُمكن فعله.

بيد أنّك الآن أتيتني بسؤال ميت بسبب عجزك عن قبول حقيقة جهلك. أنت تعلم تماماً أنَّ مالك فندق "جراند" يجهل أنّه يطرح سؤالاً. من أجل هذا سأُجيب، لأنني أعلم أنّه سؤالك أنت.

"لماذا خلق الإله هذا العالم؟".

في البداية: قد تتفاجأ عندما تعلم أنَّ الإله لم يخلق هذا العالم على الإطلاق. هذا العالم من خلقك أنت. لقد خلق الإله عالماً، ولكنّك لا تعلم شيئاً عن ذلك العالم على الإطلاق. لم يخلق الإله على الإطلاق هذا العالم الذي أوجد "ريتشارد نيكسون"، و"فيتنام"، و"إيدي أمين دادا". لم يخلق الإله هذا العالم الذي أوجد "أدولف هتلر"، و"موسوليني"

والفاشية والشيوعية و"ستالين" و"ماو". لم يخلق الإله هذا العالم حيث الفقر المُدقع بسبب جشع البشر، وإصرار الناس على كنز المال، وحيث الحياة البشعة، ولا مكان للحُبّ، لم يخلق الإله هذا العالم الشبيه بالصحراء، العالم الخالي من الحُبّ، حيث لا يفعل الناس شيئاً سوى التنافس، الصراع، القتال، وحيث يُوجد هذا الكمّ الهائل من العنف، كلا، هذا العالم ليس من خلق الإله. هذا عالمك وأنت خالقه. أنت هذا العالم. هذا العالم هو إسقاطاتك. هذا العالم ينبض ببشاعتك.

هكذا فالأمر الأول هو أنّ الإله لم يخلق هذا العالم. أرجوك لا تجعله مسؤولاً عنه، فهو ليس كذلك. لو كان الحال كذلك، لكان الإله هو المجرم الأخطر. على الأقل أُعلن نيابةً عن نفسي أنّ الإله لم يخلق هذا العالم. بل هذا العالم من خلقك أنت.

بيد أنّك ستقول ومن وجهة نظر منطقية أيضاً أنّه خلقنا، وإذا كنا نحن مَن خلق هذا العالم فهو مسؤول في النتيجة. كلا، لا زلتُ أقول إنّه ليس مسؤولاً، لأنّه خلقك حُراً. لا بُدّ من فهم هذا الأمر.

لو خلقكم الإله عبيداً لما كان هذا العالم البشع. لو خلقكم الإله رجالاً آليين، أو آلات، لما كان هذا العالم البشع، ولكنتم كلّكم في مقام "بوذا"، ولكن دون معنى. إن لم يكن في استطاعة "بوذا" أن يكون "أدولف هتلر"، وتمّ نفي تلك الاحتمالية، فسيكون "بوذا" عبارة عن تمثال بلا معنى. إذا كنتُ مُجبراً على أن تكون صالحاً، وليس لديك حرية في أن تكون شريراً، فما الجدوى من كونك صالحاً؟ لو لم يخلقكم الإله أحراراً، لكان العالم صالحاً. لو أجبرك على أن تكون نسخة آلية، وأسطوانةً مُكررة، لكنتم جميعكم الآن تقومون بإلقاء "موعظة على الجبل"، أو تكتبون "بهاغافادغيتا"، ولكنّ الأسطوانة تبقى أسطوانة.

لقد خلقك الإله حراً، وبالطبع فإنّ نقيض الحرية هو الإكراه. بإمكانك

فعل الخير إذا اخترته، وفعل الشر إذا اخترته، والخيار عائدٌ إليك. لقد منحك الإله حرية الاختيار التامة.

إنّ عظمة الإنسان وعذابه في أنه حُرّ. ألم ترَ؟ إنّ الشجرة ليست حُرّة، وغصن الورد هو غصن الورد. مهما حدث فهو مُتوقعٌ مُسبقاً. إنّ غصن الورد ليس حُراً، ولو قرر ألا يطرح الورود، فلن يحدث شيء، وستُواصل الورود تفتحها. لو قرر غصن الورد أن يُغيّر لون الورود، فلن يتغيّر شيء، وستبقى الورود تحمل اللون ذاته. لو قرر غصن الورد أن يُصبح نبتة "لوتس"، لن يحدث شيء، وسيبقى غصن الورد نفسه غصن ورد. إنّ قدره أن يكون غصن ورد. إنّه جميل، ولكنّه ليس حراً.

من أجل هذا أقول: لا شيء يُضاهي جمال الإنسان، حتى جمال الورود لا يُضاهي جمال الإنسان. لأنّ الوردة مُجبرة على أن تكون وردة في نوع من العبودية، ولا يُمكنها أن تفعل خلاف ذلك. ليس في وسع الوردة أن تضلّ، بل ينبغي عليها أن تكون قدّيسة. يجب عليها أن تكون "المسيح"، ولا يُمكنها أن تكون "يهوذا"، ومن أجل هذا، فإنّ غصن الورد هو مُجرّد غصن ورد تستمتع بالنظر إليه، ولكنّ جماله لا يُقارن مع جمال الإنسان. يكمن جمال الإنسان في كونه قادراً على أن يكون "المسيح" أو "يهوذا"، وكلّ إنسان يحمل كلا الاحتمالين، "المسيح" أو "يهوذا".

كل إنسان حرّ تماماً، والدائرة واسعة، بكلّ ألوان الطيف. إنّ الإنسان كقوس قزح، تجتمع فيه كلّ الألوان. إنّ قدر الإنسان ليس محتوماً، وبالتالي نحن خلقنا العالم بكامل حريتنا، وتقع المسؤولية علينا. إذا أردتَ أن تكون "بوذا"، يُمكنك ذلك، وليس في استطاعة أحد أن يجعلك "جنكيز خان"، فالخيار خيارك. لا يُكرهك الإله على فعل أيّ شيء. لقد مدّ لك الحبل بما فيه الكفاية. بوسعك أن تضلّ، وبوسعك أن

تؤوب، وبسبب هذه القدرة على الضلال، ظهر هذا العالم إلى الوجود. من المُمكن تغيير هذا العالم على نحو كليّ. ما إن نُغيّر وعينا، حتى يُصبح هذا العالم قضية مُختلفة تماماً.

أنت تسأل: "لماذا خلق الإله هذا العالم؟"، أولاً هو لم يخلق هذا العالم. لقد خلقك أنت، وخلق الحرية الإنسانية، وعلى الإنسان أن يكون مُمتناً لأنّ الإله جعله حراً. خلاف ذلك، لو تمّ إكراهك على أن تكون "المسيح"، فسيكون الأمر آلياً، ولا معنى له، وليس له دلالة، ولا شاعرية فيه، لأنّك لا يُمكن أن تُخطئ الهدف.

إنّ كلمة "خطيئة" في المسيحية عظيمة الدلالة، وهي مُشتقة من جذر معناه: إخطاء الهدف. بإمكانك أن تُخطأ، والأمر عائدٌ إليك. إنّ الخطيئة هي إخطاء الهدف، والضلال، ولن يمنعك الإله، لأنّ حُبّه مُطلق إلى درجة أنّه يُحبّك حتى لو ضللت. إنّه يُحبّ المُذنبين بقدر ما يُحبّ القديسين. لو استمعت إلى "المسيح" لوجدته يقول إنّه يُحبّ المُذنبين أكثر، لأنّهم يحتاجون إلى المزيد من الحُبّ.

ألم تُلاحظ ذلك؟ عندما يمرض الطفل، فإنّ الأمّ تُولي الطفل المريض عنايةً أكثر من الطفل المُعافى، وهذا طبيعي جداً، وأمرٌ مُبرر. إنّ المُعافى مُعافى، ولذلكِ لا داعي لأن تُوليه الأمّ المزيد من العناية. بيد أنّ المريض مريض: تجلس الأمّ على جانب السرير، وتقوم بتدليك الطفل، وتهتمّ به أكثر. يقول "المسيح" إنّ الإله يهتمّ أكثر بالمُخطئين، وأولئك الذين أخطأوا الهدف، ولا ينفكّ الإله يفيض عليهم من رحمته.

هذا العالم هو نتيجة ضلالنا، وخطيئتنا. ولا علاقة لذلك بالإله.

الأمر الثاني: "لماذا خلق الإله هذا العالم؟". يوجد في عالم الأديان مفهوم خاطئ يُصوّر الإله مُنفصلاً عن خلقه، كأنّه خلق الكون ذات يوم ثم نسي أمره تماماً، وكأنّ الإله رسامٌ انتهى من رسم لوحة وأصبحت هذه

اللوحة مُنفصلة عن الرسام. كلا، إنّ الشرق يعرف أكثر، فهو يقول: ليس الإله مُنفصلاً عن خلقه، بل انخرط فيه، وهو موجود وكائنٌ فيه. الخالق هو الخلق، ولهذا أُصرُّ مراراً وتكراراً: لا تُسمّه "الخالق"، بل سمه "الإبداع". الإله هو الإبداع المُفعم بالحيوية والحركة. أمّا مفهوم الخالق على أنّه أمر تمّ في يوم واحد وانتهى، فهو مفهوم ميّت. هذا ما يُؤمن به المسيحيون: أنّ الإله خلق الكون في ستة أيام، واستراح في اليوم السابع. في ستة أيام وانتهى؟ ماذا كان يفعل منذ ذلك الحين؟ لا بُدّ أنّه تعب من عدم فعل أيّ شيء. لا بُدّ أنّه ضاق ذرعاً، وأصابه الملل، كُونوا رحماء به.

إنّه لم يفرغ بعد. لم تنتهِ عملية الخلق، فهي عملية مُستمرة. إنّ الخلق عملية لا تكتمل، فالإله ماضٍ في عملية الخلق هذه. إنّه لم يفرغ منها بعد، ولو فرغ منها لكانت النهاية. ما زال الإله منخرطاً في الخلق، ولا يزال مُغرماً به، وما زال يرسم، وينحت، وما زال يأمل.

يقول "رابيندرات": "كلما رأيتُ مولوداً جديداً، أنظر إلى السماء وأقول: ما زال الإله يأمل". إنّ الطفل الجديد أمل جديد. لقد فشل بالتأكيد مع الجيل القديم، ولذلك يخلق أجيالاً جديدة. كأنّه يقول: "دعونا نرى، رُبّما أنجح هذه المرة". إنّ تفاؤله مُطلق، كالشاعر الذي لا ينفكّ ينظّم قصائد جديدة كلّ يوم. يشعر كلّ يوم بالقليل من الرضا، لأنّه تمّت إضافة شيء إلى الشعر، وتمّ التقاط إحساس مُعين، وشعاع من نور، وبالقليل من عدم الرضا، لأنه هناك شيءٌ مفقود، وفي صباح الغد، يقوم بمُحاولة أُخرى. قام "رابيندرات" بنظم ستة آلاف قصيدة، وعندما كان على فراش الموت قال له صديق قديم: "يُمكنك الآن أن تموت بسلام واطمئنان تامّ، لأنّك أعظم الشعراء".

فتح "رابيندرات" عينيه وقال: "كُفّ عن هذا الهراء! أنا الآن أُخبر ربي قائلاً: ما الذي تفعله؟ لقد كنتُ أُحاول وأُحاول ولم أنجح بعد!

لقد قمتُ بالكثير، لكنّني لم أكن راضياً قطّ. أنا الآن أقترب أكثر فأكثر، ولكن هل حانت ساعتي؟ لقد كنتُ على وشك الوصول، وكنتُ أشعر أنّ الشعر الذي كنتُ أطمح إليه قريب جداً. لقد كانت ستة آلاف قصيدة تلك هي ستة آلاف مُحاولة فاشلة. ماذا لو كانت القصيدة الأولى بعد الستة آلاف هي ما أُنشده؟ هل هذا أوان وفاتي؟ ما الذي تفعله؟ طوال حياتي كنتُ أُحاول وأُحاول، أشعر الآن أنّني أقترب من الأوج، أنا على وشك الوصول إلى القمة، هل هذه هي اللحظة المُناسبة كي تتوفاني؟ ".

لم ينته الإله بعد، ولا زال يأمل، وهكذا نحن أيضاً نستطيع أن نأمل، فأملنا جزء من أمله، وهو لم يفشل تماماً. لا زال يثق بك، ولا زال يُواصل عملية الخلق. وهكذا يستمرّ مفهوم الخالق الميت الموجود في مكان ما من الماضي.

كان علماء اللاهوت المسيحيين ساذجين إلى درجة تعيين التاريخ، فقالوا إنّه قبل ميلاد "المسيح" بأربعة آلاف وأربع سنوات، خلق الإله الكون في يوم اثنين مُحدد، باكراً في السادسة صباحاً، في الوقت الذي تبدأ فيه أنت التأمل الفعال، بدأ هو هذه العملية الإبداعية الحيوية برُمتها. في الصباح الباكر، عند الساعة السادسة، لا بُدّ أنّه ضبط المنبه! إنّ الأمر سخيف بمُجمله.

إنّ الخلق لا زمان له: طالما كان الخلق موجوداً، وسيبقى موُجوداً، لأنّ الإله هو الخلق، وهو الإبداع. من أجل ذلك، أنا لا أُسمّي الإله بالرسام، بل أُسمّيه الراقص.

عندما تنتهي اللوحة، يكون الرسام مُنفصلاً عن اللوحة. أمّا في حالة الرقص، فالأمر مُختلف تماماً. الرقص هو الظاهرة الروحانية الأعظم، لأنّ الراقص والرقصة وحدة واحدة، ولا يُمكنك فصلهما، فالثنائية معدومة. هناك وحدة عظيمة: الراقص هو الرقصة، والرقصة هي الراقص.

إذا استبعدتَ الرقص، لا يعود الراقص راقصاً، وإذا توقّف الراقص يتوقّف الرقص، فهما ليسا اثنين. إنَّ الإله مُنخرط في عالمه كانخراط الراقص في رقصته. من هنا أقول قدّسوا الكون، ولا تقوموا بإدانته؛ فالإله مُنخرط فيه، والإله حاضرٌ في كلّ مكان.

هذا ما يُواصل "كبير" قوله: اشعُر بالرهبة وبالخشوع، اشعُر بالدهشة لأنَّ الإله ما زال يعمل في كلّ مكان. يُمكنك أن تراه وهو ما يزال يرسم، وما يزال ينحت، وما يزال يرقص. ليس الخلق أمراً حدث في وقت ما من الماضي. إنّه يحدث الآن في هذه اللحظة: إنّه يتحدث الآن من خلالي، إنّه يستمع من خلالك. ما زال الخلق يتحقق، ولن ينته مُطلقاً، فهو الرحلة التي لا تنتهي.

في الحقيقة، ليس للوجود هدفٌ. إنّه رحلة نقية. إنّ الرحلة جميلة في حدّ ذاتها، مَن يكترث بالغاية؟

قالت القدّيسة "تيريزا": "الجنة هي الطريق إلى الجنة، ألم يقل: أنا الطريق؟". إنَّ مثل هذا التأكيد الرائع له أهمية عظيمة: "الطريق إلى الجنة هو الجنة"، لا تنتظر الجنة كغاية، "فالطريق إلى الجنة هو الجنة كلّها، ألم يقل: "أنا الطريق؟". إنّ الإله هو الطريق، وليس الغاية. إنّ الإله حاضرٌ هنا، وليس هناك. إنّ الإله الآن وليس فيما بعد. إنّ الإله حاضر فيك، وفيَّ أنا، وفي كلّ مكان. ليس هناك كائن إلا الإله.

من أجل ذلك، لا يُمكنك طرح هذا السؤال: "لماذا خلق الإله هذا العالم؟"، فهو لم يخلقه أبداً، بل لا زال يخلقه، وإذا كنتَ ترغب حقيقة في معرفة السبب، اذهب إلى الفنانين. لا تذهب إلى علماء اللاهوت، ولا إلى الفلاسفة، ولا إلى كبار الكهنة: اذهب إلى الفنانين. اذهب إلى "فان كوخ" وهو يرسم واسأله لماذا يرسم. اذهب إلى راقص، أمسك يده واسأله: "لماذا ترقص؟". اذهب إلى مُغنّ واسأله: "لماذا تغني؟"، وستجد الجواب عندهم.

سوف يهزّ الرسام كتفيه ويقول: "ما الذي أستطيع فعله سوى ذلك؟ أنا أُحبّ الرسم. لماذا؟ ليس هناك سؤال لماذا. أنا أُحبّ الرسم، أنا هكذا. تلك هي الطريقة الوحيدة التي تُشعرني بأقصى درجات السعادة، وتجعلني أشعر أنني مُقدّس إلى حدّ كبير، هذا هو السبب. وما من طريقة أُخرى". اِسأل راقصاً: "لماذا ترقص؟"، وسوف يقول: "ماذا أفعل سوى ذلك؟ الحياة هي الرقص". اِسأل مُحبّاً عن سبب وقوعه في الحُبّ؟ هل سبق لك أن أحببت يوماً؟ إذا جاء أحدهم وسألك عن السبب، ماذا ستقول له؟ هل سيكون لديك حقيقة جواب عن سبب حُبّك؟ سوف تقول: "ما السبب؟ ليس هناك سؤال عن ذلك، إنها الطريقة التي أشعر من خلالها أنني في أحسن حالاتي، وكأنني في القمة، وأشعر بروحي تتفتح، وأشعر بالسعادة تغمر حياتي".

حسناً، ليس هناك سؤال عن النعمة أو السعادة. حين تكون سعيداً، فأنت سعيد، ولا أحد يسألك لماذا أنت سعيد. أجل، إذا كنتَ تعِساً، يكون السؤال مُهمّاً، ومن المُمكن أن يسألك أحدهم لماذا أنت تعِس، وسيكون الجواب مُهمّاً، لأنّ التعاسة ضدّ الفطرة، وهناك خطأ يحدث. بينما عندما تكون سعيداً لا يسألك أحدٌ عن سبب سعادتك، ما عدا بعض العصابيين، وهناك أمثال هؤلاء الناس، وأنا لا أُنكر إمكانية وجودهم.

لقد سمعتُ عن مريض، ضجر الطبيب النفسي منه. بالطبع كان يحصل منه على مال كاف، ولكنّ الملل أصاب الطبيب رويداً رويداً بعد ثلاث، أربع، خمس سنوات من العلاج النفسي، بينما كان المريض يُعيد الكلام ذاته مراراً وتكراراً. قال الطبيب النفسي: "هناك أمرٌ واحد، اذهب إلى الجبال بضعة أيام. سيكون ذلك مُفيداً جداً". هكذا ذهب المريض إلى الجبال، واحزر ماذا حصل؟ وصلَت منه برقية في اليوم التالي إلى الطبيب قال فيها: "أنا أشعر بالسعادة الغامرة، ما السبب يا ترى؟".

يشعر بالسعادة الغامرة ويتساءل عن السبب، فلا بُدّ من وجود تفسير. كلا، لا تحتاج السعادة إلى تفسير. تُفسّر السعادة نفسها بنفسها. يُواصل الإله عملية الخلق، لأنّها السبيل الوحيد الذي يجعله سعيداً، تلك الطريقة الوحيدة التي يُحبّ بها، وتلك هي الطريقة الوحيدة التي يُغني من خلالها، وتلك هي الطريقة التي تجعله كائناً. إنّ الخلق هو طبيعته المكنونة، وما من داعٍ إلى وجود سبب.

السؤال الثالث

ما هو الفرق بين الدير "monastery" والزاوية «ashram»؟

الفارق كبير وعظيم، كالفارق بين الشرق والغرب، والفارق بين الإرادة والاستسلام.

يُمثل الدير المفهوم الغربي، ويجب ألا تقوم أبداً بترجمة "الدير" إلى زاوية "ashram"، فأنت بذلك تُفسد كلمة "ashram"، وتُدمّر المعنى برمته. يُمثل الدير فكرة الإرادة: حيث يبذل الناس ما في وسعهم من أجل معرفة الحقيقة، ويُكافحون بجدّ من أجل العثور على الإله. إنّ الدير هو عملٌ مضن.

أمّا كلمة الزاوية "ashram" في حدّ ذاتها فهي تعني الراحة والاسترخاء إلى حدّ كبير. إنّ الزاوية مكان تنشد فيه الراحة، أمّا الدير فهو مكان تقصده من أجل البحث والسعي. إنّ الدير عدوانيّ، ذكوريّ؛ بينما الزاوية أنثوية، سلبيّة. لا تحتاج الزاوية إلى عناء، في حين أنّ الدير لا شيء سوى العناء. في الدير أنت تعمل من أجل الوصول إلى الإله، أما في الزاوية، فأنت تلعب، ذلك هو الفارق. إنّ الزاوية أمرٌ مُسلٍ، بينما الدير جديّ للغاية.

إنّ كلمة الدير "monastery" في اللغة الإنكليزية، مُشتقة من كلمة راهب "monk". إنّ الراهب هو إنسان جديّ للغاية، فقد تنازل عن العالم، وعن الزوجة، وعن الأطفال، وعن هذا وذاك. إنّ الراهب إنسان

جاف، ومن هنا قامت جميع الأديرة الغربية القديمة في الصحراء. لقد قامت أبرز الأديرة في الصحراء، وهي جافة من الداخل ومن الخارج، فلا راحة، ولا ظلّ لشجرة، ولا خضرة، ولا أزهار تتفتح، ولا شيء سوى جهد يتبعه جهد، وليست تلك الأديرة واحة تنشد فيها الراحة. كما أنّ كلمة راهب تعني الشخص الذي قرر أن يبقى وحيداً.

إنّ كلمة" راهب "monk" تعني الوحدة، وهو الشخص الذي قرر أن يعيش بمُفرده. كذلك تُشتق كلمات الاحتكار "monopoly" الزواج الأحادي "monogamy"، الرتابة "monotony"، من الجذر ذاته الذي يعني واحد، وحيد. إنّ الدير هو المكان الذي يُمارس فيه العديد من الأشخاص عزلتهم، ولكنّهم لا يعيشون سوياً، فلا وجود للزمالة هناك. إنّ الدير ليس مُجتمعاً، ومع أنك قد تجد هناك الكثير من الأشخاص، ولكن يعيش كلّ منهم لوحده. إنهم سوياً، ولكنّهم وحيدون. إنّ الدير ليس مُجتمعاً، بل كلّ فرد فيه يسعى إلى الإله على حدى، ولا بُدّ من بذل جهد عظيم، فأحدهم ينبغي أن يكون مُتقشفاً، والآخر يجلد جسده باستمرار. أحدهم يُعذب نفسه، وأحدهم يصوم، والآخر يُدمّر كلّ ما يربطه مع العالم. كيف لك أن تسترخي؟ إنّ الكون خطيئة، وقد وُلدتَ في الخطيئة، كيف تسترخي؟ كيف يُمكنك أن ترتاح؟ كيف يُمكنك أن تحتفل؟

سوف تتفاجأ عندما تعلم أنّ كلمة احتفال "celebration" في اللغة الانكليزية تأتي من جذر "CELERE" وهي كلمة تعني الصيام. لقد كان الرهبان في الأديرة القديمة يصومون، ويُسمّون ذلك "الاحتفال". حسناً، من المُمكن أن تكون مأدبة الطعام احتفالاً، ولكن كيف يُمكن للصوم أن يكون احتفالاً؟ ولكن هكذا تمّ فرض الصيام، باعتباره احتفالاً. لقد كان يُنظر إلى تعذيب الذات على أنه صلاة. وكان يُنظر إلى العالم المادي على أنّه نقيض الإله، وهكذا ينبغي عليك أن تهجر العالم كي تحظى بالإله.

أما كلمة الزاوية "ashram" فتملك منظوراً مُختلفاً تماماً، فالزاوية مُجتمع، تتمّ فيها المشاركة بين الناس، والأرواح المُتآلفة. سوف تتفاجأ عندما تعلم أنّ الزاوية الهندوسية الحديثة ليس شرقية تماماً، تذكّر هذا. لقد تأثرت الزاوية الهندوسية الحديثة إلى حدّ كبير بالدير المسيحي إلى درجة أنّها لم تعُد هندوسية أبداً. إذا كنت ترغب في أن تأخذ لمحة عن الزاوية الهندوسية، عليك أن تعود إلى أيام "الفيدا". لقد كان هناك مُعلّم، ولكنّ المُعلّم لم يكن راهباً، بل كان إنساناً مُتزوجاً: وكان لديه زوجة وأولاد، وكانت الزاوية بمثابة عائلته. من أجل هذا السبب كان يُطلق على الزاوية اسم "GURUKUL" والتي تعني: عائلة المُعلّم. كان لديه زوجة وأولاد، وكان يعيش حياة مُريحة في أعماق الغابة والطبيعة في نمط حياة عفوي دونما استعجال. لم يكن المُعلّم يبحث وإنّما ينتظر، ولا يضع الإله مُقابل العالم المادي، وإنّما يستمتع بالعالم لأنّ الإله موجودٌ فيه. كان المُريدون الذين يعيشون معه هم عائلته، ولم تكن الزاوية مُؤسسة، بل كانت عائلة، وكان المُريدون بمثابة أولاد المُعلّم وأبناءه. رُبّما كان منهم مَن يكبره سناً، ولكنّ ذلك لا يهمّ، فقد كانوا جميعاً أولاده.

لقد عاش هذا المجتمع حياة شديدة العمق والراحة، يرقصون، يُغنون، يُولمون، يحتفلون، يستمتعون بالطبيعة بما فيها من النجوم، القمر، الشمس، الصباح، المساء، النهار، الليل، ويستمعون إلى صوت الإله في الطبيعة. من هنا كان لزاماً على المُعلّم أن ينتقل إلى الغابة، ولم يكن ذلك هروباً من العالم، تذكّر هذا. عندما هجر الراهب المسيحي العالم، كان ضِدّ العالم، أما انتقال الحكيم الشرقي إلى الغابة فقد كان لأنه مُنخرط بكُليّته في العالم. لقد تمّ إفساد عالم السوق وتدميره إلى حدّ كبير. اعرِف الفرق: إنه فرقٌ هائل.

لقد اعتاد الحكيم الشرقي أن يتجّه نحو الطبيعة، لأنّ الإله أكثر حضوراً هناك، ولأنّ الإنسان لم يُقحم نفسه بعد هناك. مهما بحثت بجدية، فمن

الصعب إيجاد الإله على طريق اسفلتي، ولن تحصل حتى على لمحة. من الصعب جداً أن تجد الإله في المعمل، لأنّ ضجيج الإنسان عال جداً. هناك الكثير من الآلات والتقنيات في حياة الإنسان، ممّا جعل الطبيعة تنأى بنفسها.

لقد سمعتُ....

كان هناك دراسة استقصائية في "لندن"، حيث أفاد مليون طفل أنّهم لم يروا بقرة من قبل.

حسناً، كان هذا أمراً كبيراً: لم يسبق لمليون طفل أن رأى بقرة؟ كيف سيتمكنون من فهم الإله، إذا لم ينظروا قطّ في عيني بقرة؟ إن الإله أشد وضوحاً في عينيّ البقرة، منه في عيني "البابا" أو "شانكارشاريا". هناك مليون طفل لم يروا بقرة من قبل؟ سوف يُعاني هؤلاء الأطفال مُعاناة شديدة. هناك الآلاف من الأشخاص الذين لم يسبق لهم أن رأوا جبال "الهيمالايا"، ولا القمم المغطاة بالثلج الأبدي البكر، الذي لم يلمسه أحد سابقاً. هناك، لا يزال الإله أكثر حضوراً، وأسرع نبضاً، ولا يزال على قيد الحياة، لأنّ الإنسان لم يُدمّر تلك الطبيعة بعد.

لم ينتقل الحكماء الشرقيون إلى الغابة لأنّهم كانوا ضدّ العالم، بل لأنّهم أرادوا أن يعرفوا بالفعل العالم الذي خلقه الإله، ذاك العالم الذي لم يتدخّل فيه الإنسان بعد. أما حين ينتقل المسيحيون إلى الدير فهم ينتقلون هرباً من العالم، لأنّ العالم هو مسرح الخطيئة والآثام. كلاهما ينتقل، ولكن لأسباب مُختلفة تماماً، مُتناقضة بكلّ ما تعنيه الكلمة من معنى. إن كلمة "ashram" الشرقية جميلة، وهي تعني الراحة. لقد عشتَ في العالم، وخبرتَه، واليوم تذهب إلى الزاوية كي ترتاح. لقد رأيتَ العالم، وأدركتُ قبحه، وعبثه، وأنه عديم النفع، وعديم المعنى، رُبّما ترغب الآن في الخلود إلى الراحة. أنت الآن تشقّ طريقك إلى أعماق الغابة،

كي تجلس تحت ظلال الأشجار، وتستمع إلى خرير الجداول، وتغريد العصافير، وتُشاهد أشعة الشمس وهي تُشرق على رؤوس الأشجار في الصباح، وتُراقب النجوم الصامتة، وتسترخي. بالتدريج، ستُساعدك الطبيعة الخارجية على الاستسلام إلى طبيعتك الداخلية. يتحوّل الأمر إلى تناغم وانسجام بين الطبيعة الداخلية والطبيعة الخارجية. تشرع في اللعب مع الطبيعة الخارجية. ليست المسألة مسألة بحث، فلا يُوجد بحثٌ في الزاوية الهندوسية، بل هو مكان للراحة.

حاول أن تبحث لكنّك لن تعثر عليه، لأنْ عملية البحث ستجعلك مُتوتراً. يقول الشرق: لا تبحث، وسيجدك هو. ابحث ولن تجده مُطلقاً، وسيذهب بحثك أدراج الرياح. تبارك أولئك الذين يجدون راحتهم في الصلاة، ويستطيعون الاسترخاء والثقة، ويقولون: "لا بأس، عندما ترغب في المجيء، تعال، أنا لستُ في عجلة من أمري". إنّ الشرق ليس في عجلة من أمره، وليس لديه إدراك للوقت. إنّه يقول: "لا بأس، إذا تحقق في هذه الحياة فهو أمرٌ جيد، وإذا قررتَ أن تأتي في الحياة التالية فهو أمرٌ جيد. ستجد أنّني ما زلتُ هنا. ولا داعي إلى العجلة".

أمّا الغرب فهو في عجلة كبيرة من أمره، فمفهوم الحياة الواحدة في الغرب شكّل عامل ضغط على التفكير البشري. حياةٌ واحدةٌ فقط؟ سبعون سنة فقط؟ ستون سنة زائد عشرة، وانتهى الأمر؟ ويضيع من هذه السنوات السبعين، خمس وعشرون سنة في التعليم، وحوالي خمس وعشرين سنة في النوم، وتقضي ما تبقى منها في حلاقة ذقنك، والذهاب إلى المكتب، والعودة من المكتب، وزحمة المرور، والجدال، والأولاد، والمحكمة، والطلاق، وكلّ هذه الأمور. ماذا بقي؟ لو قمتَ بحساب كلّ شيء، ستتفاجأ بكلّ بساطة، فلن يتبقَ ولا حتى سبع دقائق من أجل الإله. من هنا تنشأ فكرة الاستعجال: تحرّك بسرعة! افعل شيئاً! وإلا كيف يُمكنك أن تجد الإله؟

إنّ الإله ليس شيئاً تعثر عليه، بل هو أمرٌ ترتاح له، وهو فسحة داخلية. عندما تغيب أنت، يحضر هو، وتستطيع أن تغيب عندما تكفّ عن كونك باحثاً. يحجبك الباحث تماماً، كما تحجبك الأنا، فمَن الذي يبحث؟

إنّ الزاوية تُعبّر عن مفهوم مُختلف تمام الاختلاف: اِسترخِ، كُن أنت وحسب. قُم بأشياء بسيطة. كُل عندما تشعر بالجوع. اِذهب إلى النوم عندما تشعر بالتعب، لا داعي إلى العجلة، ولا إلى القلق. فقط اِسمح للإله أن يأتي إليك بطريقته الخاصة، وفي أوانه المناسب. هذا هو مفهوم الزاوية.

إن كنت تريد أن تعرف الزاوية الحقيقية، فزاويتي هنا هي الزاوية الوحيدة، لأنّ الزوايا الأخرى تمّ إفسادها تماماً من قِبل المسيحيين، مع أنّهم يعتقدون أنّهم هندوس، ولكنّهم ليسوا كذلك. إنّ وجهة النظر المسيحية تمتلك جاذبية معينة، ولذلك فهي مُقنعة. أولاً، إنّ فكرة الإرادة في حدّ ذاتها مُقنعة: ينبغي أن تعمل بجدية. لقد منح المسيحيون العالم أخلاقيات العمل. اِعمل! وانسَ أمر اللعب، فاللعب فقط للأطفال. اِعمل، أنت إنسانٌ ناضج، اِعمل بجدية، اعمل طوال حياتك، وفي النهاية، كالجزرة المتدلية، ستحصل على مُكافأتك في النهاية! بيد أنّ هذه النهاية لا تأتي. أنت تعمل وتعمل وتموت أثناء العمل، وفي يوم من الأيام تسقط في قبرك.

لا نملك في الشرق أخلاقيات العمل هذه، بل نقول: اِسترخِ، اِستمتع، اِلعب، قُم باللهو والتسلية، لا تكُن جدياً. والنهاية ليست هي النهاية، وليست هي النتيجة، إنّها المسيرة في حدّ ذاتها. اِسمح لي أن أُكرر: "الطريق إلى الجنة هو الجنة. ألم يقُل: أنا الطريق؟". هذا الموقف المُرتاح يُساعدك على أن تختفي بالتدريج، ثمّ تختفي تماماً. عندما تغيب، سترى الإله هناك. سوف ترى، وتندهش أنّه كان هناك طوال الوقت. عندما لا

تبحث عنه، يُمكنك التعرّف عليه في أيّ وقت. إنّ بحثك في حدّ ذاته يُشكّل عائقاً، لأنّ ما تبحث عنه يختبئ داخل الباحث، فيما أنت تجري هنا وهناك.

يُمثل الدير الفكرة الغربية، وهو حُجة الغرب. أمّا الزاوية فهو يُمثل الفكرة الشرقية، وهو حجة الشرق. أنا أقول لك إنّ كل الزوايا في "الهند" أصبحَت مسيحية، لأنّ الدير المسيحي مُقنع للغاية. إنّ العالم الحديث من صنع الغرب، بينما لم يعُد الشرق شرقاً.

إنّ الإرادة تُساعدك على أن تكون مُحباً للأنا. يرغب كلٌّ منا أن يشعر أنّه شخص مُهم، ولا يُمكنك أن تشعر أنّك شخص هامّ، إلا عندما تفعل شيئاً ما. أمّا مُجرّد اللهو، فلن يجعلك تشعر أنّك شخص مُهمّ. إنّ الاستمتاع لا يمنحك الشعور بأنّك شخصٌ مُهمّ. لا بُدّ أن تفعل شيئاً كي تُثبت أنّك شخصٌ مُهمّ. ومن ثمّ فإنّ الأخلاق المسيحية تقول: الدين هو الخدمة والمُساعدة، ولذلك اذهب واخدُم وساعد الناس.

أما الموقف الشرقي فهو أنّ الدين ليس بالخدمة. قد تأتي الخدمة كحصيلة ثانوية، ولكنّها ليست مُرادفة للدين. إنّ الدين هو التأمل والصلاة والاسترخاء، وهو الغوص في عالمك الداخلي. إذا تمكّنتَ من الوصول إلى أعماق كيانك، ربّما يكون هناك احتمال أن تبدأ في خدمة الناس. بيد أنّ الخدمة حينها لن تكون واجباً، بل مُشاركة فحسب. يقول الشرق: إنّه مجرد احتمال، لأنّه قد لا يحدث مع الجميع بالطريقة ذاتها. كلّ إنسان فريد من نوعه. عندما حصل ذلك مع "ميرا"، بدأت ترقص، ونسيَت كلّ ما يتعلق بخدمة الناس. بالطبع، كان هناك فقراء، وربّما كان أجدى لو أنّها ساعدَت هؤلاء الفقراء، ولكنّها ببساطة بدأت ترقص وتُغنّي. أنا أقول إنّها أبلت بلاء حسناً. لو أنّها ساعدَت مجذوماً أو مريضاً أو فقيراً، أو افتتحَت مدرسةً، أو قامت ببناء مشفى، لكان ذلك خسارة كبيرة، لأنّ

أغنياتها رائعة الجمال. لقد غيّرت رقصتها نوعية الوجود الإنساني، وقد عزفَت لحناً جديداً. كلا، لا يُمكن أن يكون تصرفها عكس ذلك جيداً. من الجيد أنّها فسحت المجال أمام التعبير عن ذاتها. لقد كان هناك أناس لم يبرحوا مكانهم حين أصبحوا مُتنوّرين، لقد بقوا جالسين تحت شجرتهم. هكذا حدث الأمر معهم.

نحن في الشرق نتقبّل تميّز الفرد، ولا نفرض أيّ أخلاقيات عليه. نقول له بكل بساطة: عندما تعود إلى البيت، يكون كلّ ما يحصل حينذاك أمراً جيداً، وليكن كلّ ما شاء الإله أن يكون من خلالك. آمين. أنت لا تتدخل. إن شاء أن يبقى صامتاً داخلك تحت ظلّ شجرة، دعه يبقى صامتاً. سوف يخلق من خلال الصمت نبضات من شأنها تغيير القرون القادمة. في مدة آلاف السنين ستُساعد هذه النبضات الناس على الوصول إلى مستويات أسمى من الوعي، ودرجات أعلى من الإدراك. هكذا لا تقلق ولا تتدخل. إن أراد أن يبقى صامتاً وهادئاً، دعه يفعل. إذا أراد أن يرقص من خلالك، دعه يفعل. إذا أراد أن يذهب ويخدم الناس، دعه يفعل. إذا أراد أن يُصبح مثل "ميرا"، فلا بأس. إذا أرد أن يُصبح "شايتانيا"، فهو أمرٌ جيد. إذا أراد أن يُصبح "بوذا"، فليكن ما يُريد أيّ كان ذلك.

بيد أنّ الحجة المسيحية ذات أهمية: إنّ العالم فقير، والناس يُعانون، بينما تقضي وقتك في التأمل! اخرُج وساعِد الناس! إنّها حجة منطقية، وهي تحتكم إلى المنطق، وهكذا اختفت الزوايا.

أنا أُحاول أن أخلق مُجتمعاً جديداً، وكأنّ الزوايا لم تعُد موجودة على الإطلاق، ولا كانت الأماكن الأقدم في العالم. لقد كانت الزوايا موجودة في الماضي، ولكن لم يبق منها سوى الذكرى، بل لم يبق حتى الذكرى. لقد اختفت وتلاشت تلك المجتمعات حيث يسترخي الناس بكلّ بساطة، ويقومون بأعمالهم، ويتبعون أحاسيسهم، وليس المنطق،

يتفاعلون من خلال القلب وليس من خلال التفكير، ويأخذون الأمور ببساطة.

إنّ كلمة زاوية "ashram" تعني أن تأخذ الأمور بسهولة ويسر.

السؤال الرابع

أيها العجوز الماكر! هل سأتعلم يوماً طرقك؟

ذلك غير مُمكن سيّدي، لأنني لا أملك أيّ منها. أنا الطريق. إذا كنتَ ترى من خلالي، حينها ستصل فقط. إذا كنت تُنصت إلى كلماتي، وهذا ما تفعله الآن، فالسائل ليس مريداً، لأنك تقف خارج حدودي وحسب.

أن تكون مُريداً يعني أن تقف في داخلي، وتُصبح جزءاً من عائلتي، وتنتمي إليّ. أنا الطريق. أنا هنا لا أعظك كي تتبع طريقة مُعينة، أنا ببساطة أعظك كي تتبعني، أنا لا أُقدم لكِ ولا أمنحك أسلوباً أو منهجاً مُعيناً، أو طريقةً ما. إذا كنتَ تُحاول أن تصل إلى مثل هذه الأشياء، فلن تزداد إلا حيرة، وقد أدفعك إلى الجنون. إما أن تكون مُريداً أو تهرب.

إذا كنت مُريداً، فجنونك هو منهج الوصول، وإذا لم تكن مُريداً، فستزداد حيرتك أكثر فأكثر. سوف تُصبح مجنوناً دون منهج، وعندما تُصبح مُشوشاً للغاية، وتهرب من هنا، فلن ينفعك ذلك. سوف أستمرُّ في مُطاردتك.

تقول: "**هل سأتعلم يوماً طرقك؟**". ذلك غير مُمكن يا سيدي. مُستحيل، لأنني لا أُبشّر هنا بطريقة ما. في الحقيقة، أنا أقوم بتدمير كلّ الطرق، وأُحاول تجريدك من كلّ الطرق. هنا ينصبّ كلّ جهدي على خلق فوضى وتشويش داخلك، لأنّ الطرق التي تتبناها تحجبك عن الإله. عندما تكون في حالة من الفوضى، ولا تدري مَن أنت، ولا تدري إلى أين أنت ماض، ولا تدري هذا من ذاك، في تلك الفوضى الرائعة تجد الحرية. لا يكون الإله مُمكناً إلا في تلك الحرية. أنا أسعى هنا إلى خلق

مساحة، وليس إلى خلق طريقة ما. أنا لا أعمل على تعبيد طريق سريع يُتيح للناس أن يسلكوه. أنا أُلقي بك في البراري حيث لا وجود لخريطة، ولن أُقدّم لك أيّ دليل يُرشدك. أنا هنا كي أعلّمك مبدأ مُعيناً، كلا، على الإطلاق. أنا أسعى إلى إبعاد كلّ المبادئ التي تعلمتَها في السابق. أنا هنا أسعى إلى مُساعدتك على عدم تعلّم الطرق كي تظهر الطريقة في حيز الوجود، ولكنّ هذه الطريقة ليست كأيّ طريقة من الطرق. لا علاقة للطريقة باختياراتك، أو تفكيرك، أو أسبابك، أو منطقك. عندما تكون تائهاً تماماً، تجد الطريق، وتجد الإله.

هنا المسألة ليست مسألة لاهوتية بل هي مسألة حُبّ. إذا كنتَ تقف في الخارج مُجرّد مُتفرّج، أو مُراقب، ستنال شيئاً، ولكنّه لن يكون الشيء الحقيقي، وسوف تحصل عليه بطريقة جزئية، وحسبما تكون أنت. لا يُمكنك أن تنالني وفقاً لك، تذكّر وسجّل هذه النقطة. قد تحظى بي، ولكن وفقاً لي أنا، وليس وفقاً لك أنت. ذلك هو معنى أن تُصبح مُريداً، أي أن تقول: "حسناً، سوف نقبلك كما أنت، وفقاً لك أنت". إذا حظيتَ بي وفقاً لك أنت، سيكون ذلك مُجرّد سوء فهم، وحينها سنكون قطبين مُتباعدين.

لقد سمعتُ...

كان هناك خطيب فصيح جداً، وكان في نوبة غضب أثناء تقديمه موعظة عن اللعنة والجحيم. لم يستطع طفل في الرابعة من عمره جالس بين الحشود إبعاد نظره عن الكائن الهائج الواقف على المنبر. في نهاية المطاف همس الولد لأمه: "ما الذي سنفعله إذا أفلت من قيده؟ ".

يملك الولد فهمه الخاص. إنّه هناك يستمع، ولكن وفق فهمه الخاص.

إذا حاولتَ فهمي وفق فهمك الخاص، فلن تتمكّن من استيعابي على الإطلاق. سوف تحصل على مفاهيم خاطئة وأفكار غامضة، وأيّ كان

الذي ستحمله معك من هنا فسيُشكّل عبئاً، بدلاً من أن يكون راحة. سوف يُزعجك، ويُسبب لك المتاعب على الدوام. إيّاك أن تحضر بفتور في أيّ مكان. إما أن تكون أو لا تكون، ولكن لا تكن فاتراً، وإلا فأنت ترتكب خطأ بحق نفسك.

بالتأكيد في وسعك أن تستمع إليّ دون أن تتحوّل إلى مُريد، تستطيع أن تبقى في الخارج، على الهامش، على الحياد. رُبّما تظن أنّك حاد الذكاء، ولكنّك ستقع في المتاعب. أنا أُحذّرك، فالأمر سيكون مُجازفة على مسؤوليتك أنت.

تكمن المشكلة في أنّ شيئاً ما قد بدأ في التحقق، ولكنّه لن يكون الشيء الصحيح. لأنّني لا أثق كثيراً بالأساليب، فهي مُجرّد حيل وأدوات من أجل جعلك أقرب إليّ، وهي مُجرّد وسائل تلعب بها كي تبقى مُنشغلاً.

أنا أُكلّمك ولكنّ الكلام ليس هو الغاية. يجب أن أنقل شيئاً ما يفوق الوصف، ولكن لا يُمكنني إيصال الرسالة إلا عندما يكون قلبك مُنفتحاً. ريثما ينفتح قلبك، ينبغي أن أُواصل مُخاطبة تفكيرك، ولكن أيّ كان ما أقوله لدماغك فهو ليس الشيء الحقيقي. ينبغي أن أُبلّغك الشيء الحقيقي عندما يكون قلبك مُستعداً، وتكون في حالة من الثقة الراسخة، عندما تقبلني. تذكّر، سوف تُفكّر وتقول: "هذا ما أُفكر فيه: هل أقبلك أم أرفضك؟ ". إذا قبلتني من خلال منطقك وتفكيرك، فلن يكون ذلك قبولاً. حينها سيكون قبولك لي هو قبولاً لنفسك وتفكيرك. إذا قررتَ: "أجل، يبدو هذا الرجل على حقّ، سوف أقوم بالقفزة الآن"، حينها لن تكون قفزة على الإطلاق. لقد فاتتك القفزة. ما زلتَ حتى الآن تضع ثقتك في تفكيرك أنت، لقد قررتَ واستنتجتَ أنّ هذا الرجل على حقّ: "سوف أنغمس في الرحلة الآن"، ولكنك رغم ذلك لن تذهب. لا بُدَّ من

اتخاذ هذه الخطوة بعفوية، وليس بذكاء. لا بُدَّ من اتخاذ هذه الخطوة كالطفل، لا بُدَّ من أخذها بثقة وسذاجة.

أجل، أكرر كلامي: لن يتمكّن من إيجاد الطريق سوى أولئك السذج بما فيه الكفاية كي يقوموا بالقفزة.

ألم تُلاحظ؟ لقد حدث هذا في العصور الغابرة: عندما كان "المسيح" على الأرض، لم يُؤمن به سوى ثلة من المُغفلين. رُبّما تُسميهم الآن الحواريين، ولكنّهم كانوا آنذاك مُغفلين: أحدهم كان صياداً، والثاني حطاباً، والآخر اسكافياً، فقط هذه الفئة من الناس. لم يكن بينهم ولا حبر من أحبار اليهود، ولا بروفسور واحد، ولا كبير كهنة واحد، ولم يكن فيهم ولا رجل محترم. كانوا كلّهم أشخاصاً عاديين وغير معروفين: صياد وحطاب ومزارع ومومس وسكير، ذلك النمط من الأشخاص هم الذين اتبعوا "المسيح"، إضافة إلى كونهم قلّة قليلة جداً. وقف جميع الأحبار ضدّ "المسيح"، مع أنهم كانوا يُعتبرون أذكياء، وعارفين، يعلمون كلّ شيء. لقد وقف جميع العلماء ضدّه، وتآمر في الواقع عليه كلّ العلماء والأحبار والمُتعلّمين، ودبروا أمر قتله. لقد كان هذا الرجل يُشكّل خطراً، وكانوا يخشون منه. إنَّ مُجرّد حضوره سبب لهم الذعر، لأنّه كان إنجيلاً يمشي على الأرض، فمن سيُنصت إلى هؤلاء الأحبار الموتى الذين يتحدّثون عن نصوص مُقدّسة ميتة؟ كان هو الطريق. طالما قام هؤلاء الأحبار بتعليم الناس الكثير من طرق الوصول إلى الإله، وها قد أتى الرجل الذي يقول: "أنا الطريق، أنا الحقيقة، تعالوا واتبعوني، ليتبعني كلّ من أثقلته أوزاره، وسيجد الراحة عندي". لقد كان هذا الأمر فوق احتمالهم!

بوسعك أن تحضر هنا كرجل مُتعلّم يقف على الهامش، وينظر من زاويته، ولا ينظر مُباشرة في عينيّ. عندها سوف تخسر.

السؤال الخامس

عندما تستيقظ في الصباح وتسمع تغريد العصافير وتستنشق النسيم، ألا تُراودك أبداً فكرة "أُريد أن أستمتع بهذا وحسب، لا أرغب في إلقاء محاضرة"؟

أشعر بهذا يومياً، أشعر به كلّ يوم عندما أستمع إلى عصافير شجرة اللوز، أستمتع بذلك دائماً، أشعر باستمرار بجماله العظيم. من أجل هذا أُحاضر كلّ يوم، لأنّني حينها يجب أن أُغني.

إنّ مُحاضرتي هي أغنيتي. أنا لا أُغني هنا في مقابل العصافير هناك، بل بتناغم وانسجام معهم. هذه هي طريقتي في الغناء. ثق بي، عندما تُغرّد العصافير، فأنا أشعر بالسعادة، وعندما أُغني تشعر العصافير بالشعور ذاته. إنّه أمر مُتبادل.

ما أقوله لكم ليس مُحاضرة. إنّ كلمة "مُحاضرة" كلمة بشعة. كيف لي أن أُحاضر؟ إنّها أغنية، إنّه تدفقٌ عفويٌّ. أشعر بالسعادة، ولذلك أقول لكم الكثير من الأمور. في الحقيقة، أنا لا أشرح لكم شيئاً، ولا أقوم بالتفسير. أنا ببساطة أُحاول إيصال فرحي، وبهجتي في الحياة، وتلك هي الطريقة التي أرقص من خلالها. هذه الكلمات هي إشاراتي.

استمع إليّ كما تستمع إلى شاعر أو إلى عصفور. إيّاك أن تستمع إليّ كاستماعك إلى بروفيسور: إنّها ليست مُحاضرة، وليست موعظة. أنا لا أصبُ الأخلاق في داخلك. أنا لا أُحدد لك ما يجب فعله، ولا أُقدّم لك أيّ مثاليات. أنا ببساطة أقوم بإبلاغك أنني سعيد جداً، ألا ترى ذلك؟ أنا ببساطة أنقل لك أنّني وصلتُ، وأنك تستطيع الوصول أنت أيضاً. أنا ببساطة أقوم بتأدية عدة إشارات وإيماءات، بحيث لو فاتتك إشارة فلن تفوتك الثانية، وإن فاتتك الثانية فسأقوم بألف إشارة وإشارة. في يوم من الأيام، قد تُصيبك إشارة من الإشارات في اللحظة المُناسبة. يوماً ما، في لحظة ما، قد تكون مُستعداً وناضجاً، ويحصل المطلوب على حين فجأة.

إنّ الاستماع إليّ هو مُجرّد طريقة للتواصل معي. أنا أتكلم وأنت تستمع، من المُمكن أن ينشأ تواصل رائع. عندما يكون الاستماع مثالياً وكُلياً، عندما تُصبح كلّك آذاناً، فجأة سيحدث تصاعد في الطاقة، برق، "ساتوري". حينها تكون قد فهمتَ دون أن أشرح لك. أنا ببساطة أقوم بنقل الفهم. هذه ليست تفسيرات.

قد تُفوّت تلك الفرصة معي فقط إذا كنت أصماً، وكثير هم الصمّ. يُمكن أن تفوتك تلك الفرصة فقط إذا كنت أعمى، وكثير من الناس لديهم عيون، لكنّهم لا يُبصرون بها.

خلال زيارته مصحة عقلية لاحظ رجلٌ أنّ أحد النزلاء يضع أذنه على الجدار قائلاً: "هنا، تعال، استمع إلى هذا". وجد الرجل نفسه مُضطراً لأن يضع أذنه على المكان المشار إليه.

تنهّد وقال: "لا أسمع شيئاً".

أجاب النزيل: "أعلم، لقد كان هذا هو الحال طوال هذه السنوات التي قضيتها هنا. لم أسمع أيّ شيء أنا الآخر".

لكنّه ما انفك يُنصت ويضع أذنه على الجدار.

هناك مُصيبتان في هذه الحياة. هناك من الناس من يُواصل الاستماع إلى الجدران: المُحاضرات ومواعظ الكهنة، والباباوات، "شانكارشاريا"، وهم الأشخاص الذين لم يختبروا ذواتهم بعد، الأشخاص المُستعملين، والأشخاص ذوي النسخة الكربونية. لو رحتَ تستمع إليهم، ستستمع سنوات، لكنّك لن تكون قادراً على إيجاد شيء. إنهم جدران، ولا شيء دواخلهم. هذه هي المُصيبة الأولى: التعلّق بالجدران.

هناك مُصيبة أُخرى: قد تكون في معية "بوذا" أو "كريشنا" أو "المسيح"، ولكنّك رُبّما تكون جداراً. في تلك الحال سيُواصل هو

الطرق على الجدار، ويُواصل الكلام، وأنت لا تسمع. يقول "المسيح" لأتباعه أكثر من مرة: "أنصِتوا إذا كان لديكم آذان، أبصروا إذا كان لديكم عينين. أنا هنا".

ليست مُحاضرات تلك التي أُقدّمها لكم. إنّه كياني الذي أشارككم إيّاه. كُن مُرهفاً أكثر، مُحبّاً أكثر، أكثر تقبلاً، وأنوثة، كُن كالرحم، ولا بُدّ أن تحبل بي عاجلاً أم آجلاً.

بيد أنه هناك من الناس مَن لا يُريد حقاً أن يستمع، فلديهم مصلحة ما في عدم الاستماع. هناك من الناس من يأتي كي يستمع، ومع هذا لا يرغب في الانصات، فلا هم قادرون على تفويت فرصة الاستماع، ولا هم قادرون على السماح بها. عندما لا يكونون هنا يشعرون أنّ أمراً ما ينقصهم، وأنّهم يجب أن يكونوا هنا، ولكن عندما يكونون هنا يُصبحون قساة، خائفين، مذعورين. ماذا لو أنصتوا أكثر من اللازم، ماذا لو تعمّقوا أكثر ممّا ينبغي، رُبّما لن يتمكّنوا من العودة، وهكذا يبقون مُذبذبين؛ ويبقون في البرزخ.

لقد سمعتُ.....

عرض المُلا "نصر الدين" في إعلان مُبوب في صحيفة محلية جائزةً قيمتها مئة روبية لمن يُعيد دون التساؤل قطة زوجته الأليفة.

علّق الموظف وهو يقبل الإعلان: "ولكن هذه الجائزة كبيرةٌ جداً بالنسبة إلى قطة، خصوصاً هنا في "الهند"!".

قال المُلا "نصر الدين" مُبتهجاً: "لكن ليس بالنسبة إلى هذه القطة، لقد قمتُ بإغراقها".

هذا حال الكثير من الناس: يعلمون أنّهم لا يرغبون في الاستماع، ومع هذا يحضرون ويُحاولون الاستماع. هم يعلمون تماماً أنّهم قاموا بإغراق القطة، وأنّ ليس ثمة فرصة من أجل العثور عليها مُجدداً، ومع هذا يأتون

بحثاً عنها. رُبّما يُحاولون خداع الآخرين، ولكن تذكّر، واسمح لي أن أقول: إذا حاولتَ خداع الآخرين، من المُرجح أن تخدعك جهودك عاجلاً أم آجلاً. عندما يُخدع الآخرون، سوف تنخدع أنت بانخداعهم هذا.

كُن على حذر. عليك أن تتعامل معي بيقظة تامة. فقط حينها ستتمكن من رؤية ماذا يتجلّى هنا.

السؤال السادس والأخير
ما الأسباب الثلاثة الأكثر غموضاً وراء وصولك مُتأخراً عن المحاضرة هذا العدد الغريب من الدقائق بعد الساعة الثامنة؟

هذا السؤال من "ياتري". إنّه يسأل عن سبب تأخري أحياناً. أنا نفسي مُتعجب، فالأسباب مُختلفة. أنا مُتعجب من عدم تأخري أحياناً.

إنّ الوقت غير موجود بالنسبة إليّ، إنّ تدبري للأمر أشبه بالمُعجزة. إنّه يسأل: "ما الأسباب الثلاثة الأكثر غموضاً وراء وصولك مُتأخراً هذا العدد الغريب من الدقائق بعد الساعة الثامنة؟"

أولاً، أنا ثمل.

ثانياً، أنا ثمل.

ثالثاً، أنا ثمل.

السؤال السابع والأخير هذه المرة
هل لي أن أسألك السؤال ما قبل الأول، السؤال الأول حقيقةً؟

بما أنّك لست "أينشتاين" (عبقري)، فلم لا تتخلّ عن مُحاولة ترقيم الأسئلة من الأول إلى الأخير؟

هذا صحيح. أنا لا أعرف شيئاً عن الرياضيات، ولكن دعني أُخبرك

شيئاً: حتى "أينشتاين" لم يكن أفضل حالاً مني. بل رُبّما كان أسوأ أحياناً.

حدث ذات مرة أنّ "أينشتاين" كان مُسافراً في حافلة. من أجل دفع الأجرة، قام بإعطاء قاطع التذاكر مبلغاً معيناً من المال. قام قاطع التذاكر باقتطاع ثمن التذكرة وأعاد الباقي له. قام "أينشتاين" بعدّ النقود "بضعة قطع نقدية"، وظنّ أنّه تعرض إلى الغشّ. قال" ما هذا؟ هل تمزح معي؟ أنت لم تُرجع لي المبلغ الصحيح". قام الجابي بعدّ المبلغ ثانيةً. كان المبلغ صغيراً، فقام بعدّه مُجدداً، ثمّ قال: "إنّه صحيحٌ بالتأكيد". قام "أينشتاين" بعدّ المبلغ مرة ثانية وقال: "كلا!". ثار غضب قاطع التذاكر وقال: "ما خطبك؟ ألا تستطيع العدّ؟ ألا تعرف الأعداد؟". لقد ذكر هذه القصة "أينشتاين" في مذكراته.

حتى "أينشتاين" لم يكن ذاك العبقري، وأنا لستُ كذلك بالتأكيد، تختلط عليّ الأمور أحياناً: السؤال الأول، الثاني، ثمّ أنسى. هذا صحيح. كان يجدر بك أن تتعجّب من أنّني لم أبدأ من السؤال الأخير.

الفصل التاسع

الجنة هي الطريق إلى الجنة

صباح 29 كانون الأول 1976 قاعة "بوذا".

"مورالي باجات أخاند ساديا"

يعزف مزمار المُطلق ألحانه دون توقّف،

إنّ صوت لحنه هو الحُبّ:

عندما يتخطّى الحُبّ كلّ الحدود،

فإنّه يصل إلى الحقيقة.

كم يفوح شذاه!

ليس له نهاية، ولا يقف شيء في طريقه.

إنّ صورة هذا اللحن مُشرقةٌ

كملايين الشموس:

لا شيء يُضاهي ألحان آلة "فينا".

تعزف آلة "فينا" ألحان الحقيقة.

"بهاكتي كام اراج جهينارا"

رقيقٌ هو درب الحب!

هناك يختفي السؤال واللاسؤال،

هناك يُضيِّع الإنسان نفسه عند قدميه،

هناك تغمر الإنسان سعادة البحث:

يغوص في أعماق الحُبّ.

كما السمكة في الماء.

لا يتردد المُحبّ في التضحية برأسه

من أجل طاعة مولاه.

يُعلن "كبير" سرّ هذا الحُبّ.

يتكلّم الماورائي بغير علم، في حين أنّ الصوفي يعلم، ولكنّه يلتزم الصمت. إنّ المُعلّم هو الصمت البليغ، وهو مزيجٌ نادرٌ، وتوليفةٌ عظيمةٌ من الماورائي والصوفي. يعرف الماورائي "الميتافيزيقي" كيف يتكلّم، لكنّه لا يعلم عن ماذا يتكلّم؟ يعلم الصوفي عن ماذا يتكلّم، ولكنّه لا يعلم كيف يُعبّر. إنّ الصوفي زاخرٌ بالتجارب، ولكنّه أبكم. لا يملك الماورائي تجربة، ولكنّه شديد الوضوح. ليس هناك قيمة للماورائي، وما من فائدة من الصوفي.

تستطيع أن تتواصل مع الصوفي، ولكنّك لن تكون قادراً أبداً على فهمه، لأنّ التواصل معدوم، فقد قام بهدم جسر اللغة. إنه كائنٌ في قلب الحقيقة، ولكنّه لا يستطيع إيصال الرسالة إليك.

يستمرُّ الماورائي بتبليغ الرسالة تلو الرسالة، ولكنّ الرسالة لفظية وحسب، ولو سبرت أعماقها لن تجد فيها أيّ مُحتوى، ولا أيّ شيء جوهري.

يعرف المُعلّم كلّ ما يُمكن أن يعرفه، وفوق ذلك إنه واضحٌ بما فيه الكفاية كي يُعبّر عمّا يعرفه، ويتواصل من خلاله.

إنّ الماورائي "الميتافيزيقي" موجودٌ بالآلاف، وكذلك الصوفي، أمّا المُعلّم فهو نادرٌ جداً. إنّ "كبير" مُعلّم عظيم: هو يعرف، ويعلم كيف ينقل معرفته. من أجل هذا السبب يُصرّح كبير قائلاً: يُعلن "كبير" عن أسرار هذا الحُبّ. إنّ كيانه بأكمله هو بمثابة إعلان. إنه ليس أبكم، وقد غنى طوال حياته أغنيات الحقيقة. تمتلك هذه الأغنية الأخيرة في هذه السلسلة قيمة كبيرة. اتبعني ببطء شديد وحاول أن تستوعب، لعلها تُصبح جزءاً من كيانك، وهذه الطريقة الوحيدة لفهمها.

يعزف مزمار المطلق ألحانه دون توقّف،

إنّ صوت لحنه هو الحُبّ:

عندما يتخطّى الحُبّ كلّ الحدود،

فإنّه يصل إلى الحقيقة.

كم يفوح شذاه!

ناي المُطلق....

طالما رمزنا هنا في الشرق إلى الوجود بالناي، فهو غصن الخيزران الأجوف على شفتي الإله. إنّ الأغنية أغنيته، لا يستطيع الناي الغناء، بل يستطيع فقط أن يسمح للمُغني، للأغنية، أن يتدفّق من خلاله. إنّ الوجود هو بمثابة ممر، وكذلك هو الإنسان، إنّ الإنسان ناي، وكذلك العصافير أيضاً، والأشجار، والشمس، والقمر. إنّ الوجود بأكمله عبارةٌ عن خيزران أجوف يتدفّق الإله ويرشح من خلاله، ويتمّ التعبير عنه بملايين الطرق.

عندما أتحدّث لكم، فأنا لا أتحدّث لكم، بل أنا مُجرّد خيزران أجوف، وعندما تُنصتون لي فأنتم لا تُنصتون لي، بل هو مَن يُنصت من خلالكم، فأنتم مُجرّد خيزران أجوف. كُن المُتكلّم أو كُن السامع؛ كُن الراقص أو كُن المُتفرّج، فلسنا سوى خيزران أجوف على شفتي المُطلق. إنّ الأغنية أغنيته والصمت كذلك.

بمُجرّد استيعابك لهذا المفهوم عن كونك خيزران أجوف، فأنت على درب الحُبّ. هذه هي الخطوة الأولى.

يعزف مزمار المطلق ألحانه دون توقف،

هنا يكمن جمال الأمر وتناقضه: أعني حاجة اللامحدود إلى ناي محدود، ناي من عالم الفناء. أن يحتاج عالم اللاصور إلى صورة يُعبّر من خلالها. يحتاجك الإله تماماً كما تحتاجه أنت، فالحاجة ليست من طرف واحد، وإلا لما كانت بهذا الجمال. لو كنا وحدنا مَن يحتاج الإله، لاختلّت موازين الأمور. كلا لن يكون هناك توازن: إنّ حاجة الإله لنا تعدل حاجتنا إليه. يحتاج الناي إلى عازفه، وكذلك العازف يحتاج إلى الناي هو الآخر. هذا صحيح، لا يستطيع الناي أن يعزف أغنية من تلقاء نفسه، كما أنّه لا يستطيع العازف أن يُبدع أغنيته من تلقاء نفسه. إنّ الناي هو قدر الإله الذي لا مفرّ منه، تماماً كما أنّ الإله هو قدر الناي الذي لا مفرّ منه.

هذا هو مبدأ اعتماد الأشياء على بعضها: الكلّ يعتمد على البعض، والبعض يعتمد على الكلّ. فلا البعض مُستقلّ عن الكلّ، ولا الكلّ مُستقلّ عن البعض. في واقع الأمر، إنّ فكرة الاستقلال والاستغناء في حدّ ذاتها هي فكرة عصابية. نحن مُرتبطون ببعضنا البعض، وهذا يمنحنا منزلة رفيعة.

يقول "كبير" من جهة كُن خيزران أجوف، ومن جهة أخرى يقول: تذكّر منزلتك، فمن دونك لا يستطيع الإله أن يُغني أغنيته.

أجل، لولا هذه العصافير الصغيرة التي تختبأ في شجرة "كاجورينا"، لما تمكن الإله أن يُغنّي أغنيته. إنّه يعتمد عليهم، ويحتاجهم كلّ صباح. ليس بإمكانه أن يُزهر دون الأزهار، إنّه يبحث عنهم كلّ صباح.

إنّ الإله والوجود ليسا أمرين منفصلين، بل مُتكاملين، إذ يعتمد كلّ

منهما على الآخر، ويبحث كلّ منهما عن الآخر كعاشقين. لن يشعر المُحبّ بالاكتمال ما لم يعثر على محبوبه، كما لن يشعر المحبوب بالاكتمال ما دام حبيبه ضائعاً. عندما يكونان معاً، وتكون وحدتهما على درجة تجعل كلاً منهما يذوب في الآخر، فقط حينها يُصبحان كلّاً كاملاً.

لا بُدّ من فهم هذا: لا يُمكن للبعض أن يكون الكلّ بمُفرده أبداً. ماذا أقول عن البعض؟ لا يُمكن للكلّ حتى أن يكون كُلاً بمُفرده! سوف يحتاج إلى البعض، ولن يكون الكلّ غنياً إلى هذا الحدّ دون البعض. فقط تخيّل: إنّ الإله دون الوجود، لن يكون هناك سوى فراغ وأرض خراب. تخيّل الإله دون الأشجار، دون الأنهار، دون المحيطات. تخيّل الإله دون الإنسان، دون العصافير والحيوانات، تخيّل الإله دون الشمس والقمر والنجوم، سيكون الأمر أشبه بأرض خراب أو صحراء.

يقول الشرق: يحتاجنا الإله تماماً كحاجتنا إليه، يعتمد كلٌّ منا على الآخر، نحن أعضاء مُنتمون إلى بعضنا البعض، نحن معاً. إذا عرفتَ ماهية هذه الوحدة، ستعرف ماهية الحُبّ. إذا عرفت ماهية هذه الوحدة العظيمة، ستعرف حقيقة الحُبّ.

عندما تقع في غرام سيّدة أو رجل، فما الذي تتعلّمه؟ ما الحُبّ؟ إنّك تتوصّل على نطاق ضيّق إلى معرفة أنّكما لستما مُنفصلين، وتشعر على نطاق ضيّق جداً، أنّكما خلقتما لبعضكما البعض، وأنّ أحدكما لن يكون مُكتملاً دون الآخر، وأنّ الآخر هو قدرك، وأنّه جزءٌ من روحك وكيانك، وأنّه لا يعيش خارجك، بل يسكن بطريقة ما داخلك، رغم أنّه لا زال في الخارج، وأنك تسكن في داخله، وفي الخارج أيضاً. يتغلغل المُحبّان في بعضهما البعض. إنّها ليست مُجرّد استعارة جنسية، فالتغلغل روحانيّ، وما التغلغل الجنسي إلا مُجرّد ظلّ له.

يتغلغل المُحبّان في بعضهما البعض، وتختفي الحواجز بينهما، وتغدو

الحدود ضبابية، وتُصبح هويتهما هشة. بعد سنوات طويلة من العيش معاً وعلى نحو مُفاجئ، يموت الرجل أو تموت المرأة، فيشعر الشريك الذي بقي وحيداً بالألم، المُعاناة، الأسى، ليس فقط بسبب موت الآخر، بل لأنّه لن يشعر بالاكتمال بعد اليوم، ولأنّ جزءاً من كيانه قد تمّ تدميره تماماً وكُلياً. سوف يظهر الآن في كيانه ثقب أسود، هاوية، فراغ. عندما يموت الحبيب يموت معه شيءٌ ما في أعماقك. لقد عشتما معاً فترة طويلة، فلم تعُد حياتكما مُنفصلة، وكان هناك تداخل وتشابك، وكنتما روحاً واحدة في جسدين، وذلك هو معنى الحُبّ.

عندما يحدث الأمر نفسه مع الوجود بأكمله، فتشعر أنّكما لستما مُنفصلين، وأنّ الحدود بينكما تتداخل، وأنّ مركزيكما يتداخلان، وأنّ مركزك هو مركز الكون، وأنّ مركز الكون هو مركزك أنت أيضاً، في نشوة الوحدانية هذه عطرٌ يُسمّى الحُبّ.

"مورالي باجات أخاند سادايا"

يعزف مزمار المطلق ألحانه دون توقف،

إنّ صوت لحنه هو الحُبّ:

أصل البيت عند كبير هو: "مورالي باجات أخاند سادايا". إنّ كلمة "أخاند" هذه مُحمّلة بالمعاني. لقد تمّت ترجمتها "دون توقّف": تُعزف الألحان على ناي المُطلق دون توقّف. بيد أنّ هذا ليس المعنى الدقيق لكلمة "أخاند" لأنّها تعني الاستمرار وعدم الاستمرار في آن معاً. أنت تتنفّس على نحو مُستمر وإلا ستموت، لكنّك تُدخل الهواء مرة، وتزفره مرة أُخرى. عندما تأخذ شهيقاً، أنت تتوقّف عن الزفير، وعندما تُرسل الزفير، أنت لا تأخذ شهيقاً. من المُؤكّد أنّ الشهيق عملية، والزفير عملية أُخرى. يخلق الزفير ثغرة في عملية الشهيق، كما يخلق الشهيق ثغرة في عملية الزفير.

حسب المفهوم الشرقي يستمرُّ الإله في العزف، ولكنّ ذلك لا يعني أنّه لا يُوجد ثغرات. إنّ عبارة "دون توقّف" تُعطي الانطباع بعدم وجود ثغرات. كلا، لو لم تكن هناك ثغرات، لما كانت الموسيقى موسيقى. ليست الموسيقى مُجرّد أصوات، وإنمّا الموسيقى عبارة عن مزيج وتفاعل كيميائي بين الصوت والسكون. إنّ الموسيقى هي الصوت والفواصل، وهي الفراغ والفجوة بين صوتين.

راقِب: عندما يعزف شخص على الناي، راقب النغمات، عندما يُغنّي شخص أُغنية، راقِب؛ عندما أُكلّمك، راقب: إنّ الكلمة لا تتبع الكلمة، بل تأتي الكلمة يتبعها الصمت، ثمّ تأتي الكلمة التي تليها. ثمّة فاصل بين الكلمتين، وإلا لما كان هناك حدّ بين كلمة وأُخرى، وتزاحمَت الكلمات مع بعضها البعض. حينها لن يكون هناك مُوسيقى، بل ضجيج وفوضى.

إنّ عبارة "دون توقف" تعني استمرار الصوت، ولكنّه صوتٌ حيناً، وسكونٌ حيناً آخر. يظهر أحياناً، ويختفي أحياناً كلياً وينعدم ظهوره.

في الشرق نقول: عندما يُخرج الإله زفيراً، يظهر الوجود؛ عندما يأخذ الإله شهيقاً، يختفي الوجود. يا لها من فكرة جميلة، عظيمة المعاني. إنّ الوجود كائنٌ فقط، لأنَّ الإله قد أخرج زفيراً، ثمّ يأخذ شهيقاً، فيختفي الوجود بأكمله، ثمّ يتكرر الأمر.

لقد توصّل علماء الفيزياء إلى ما يُشبه هذا، فيقولون إنَّ المادة تبدو مُستمرةً، وهي ليست كذلك أيضاً. إنّها تختفي في الوسط، ولكنّ الفجوات صغيرة جداً بحيث لا يُمكن كشفها. إنَّ حركة الإلكترونات سريعة جداً، فترى الإلكترون في مكان ما، وفي اللحظة التالية تراه في مكان آخر، دون أن تستطيع رؤية كيفية انتقاله من مكان إلى آخر، إنه لم يتحرّك، ولم يقفز. لقد ظهرت الآن فكرة شديدة الغرابة وهي أنَّ الإلكترون لا ينتقل من مكان إلى آخر، وإنّما يختفي في مكان ما في

اللاوجود، ثمّ يظهر إلى الوجود في مكان آخر، ثمّ يقفز مُجدداً. هذا غريبٌ، والحقيقة أغرب من الخيال. أجل إنها كذلك.

لقد باتت الفيزياء الحديثة أكثر ماورائية من علم ما وراء الطبيعة ذاته. إنّ معنى "أخاند" هو: موجودٌ رغم اختفاءه. عندما يظهر فهو موجود، هذا صحيح، وعندما يتوارى فهو موجودٌ أيضاً. عندما يظهر فهو هناك، وعندما يغيب فهو هناك. تستطيع أن تسمعه أحياناً كنوع من التجلي، وأحياناً من غير تجلٍ. يأخذ شكلاً أحياناً، ويُصبح بلا شكل أحياناً أُخرى، ولكنّه موجودٌ. لو كانت لديك أُذنٌ تسمع الثغرات والفراغات أيضاً، سترى أنّه موجودٌ على نحو مُتواصل هناك.

"مورالي باجات أخاند سادايا": يُواصل هذا الناي عزفه، ويُتابع إبداع الأغاني، إلى الأبد.

إنّ صوت لحنه هو الحُبّ:

إنّ الوجود مصنوعٌ من مادة اسمها الحُبّ.

تقول الفيزياء إنّ المادة تتكوّن من الكهرباء. بيد أنك إذا سألت "كبير" فسيقول: تتكوّن المادة والوجود من دفء الحُبّ، وليس من الكهرباء. إنّ الوجود مُمكنٌ فقط بفضل الحُبّ، والإله يهتمّ، لأنّه يُحبّ. لا يُمكن أن يكون الإله غير مبال، فهو مُحبّ. سيكون من الأفضل أن نقول "الإله محبة".

رُبّما ننسى كلمة "إله"، ولكن يجب ألا ننسى كلمة "حُبّ". إنّ الحُبّ أهم بكثير من كلمة "إله"، لأنّ الحُبّ هو روح الإله ذاتها. قد يكون الإله هو الجسد، ولكنّ الحُبّ هو الروح في حدّ ذاتها.

هذا الوجود بأكمله واقعٌ في الحُبّ: هذه الأشجار تتمايل من شدة الحُبّ؛ هذه النجوم، هذه الأنهار التي تندفع إلى المحيط، تندفع نحو

علاقة غرامية حيث يمكنها أن تلتقي وتندمج.

راقِب، وستجد ظلال الحُبّ في كلّ مكان، وتجد التشويق والإثارة ونشوةَ الحُبّ. أيّ كان الشكل الذي أمامك، إذا نظرتَ فيه بعُمق، ستجد دائماً شيئاً ينبض في المركز، وهذا الشيء لا يُمكن أن يكون سوى الحُبّ.

إنّ صوت لحنه هو الحُبّ:

عندما يتخطّى الحُبّ كلّ الحدود،

فإنّه يصل إلى الحقيقة.

عندما يتخطى الحُبّ كل الحدود: هناك الكثير من الحدود، وحُبّنا مُقيّد داخلها، ومن أجل هذا لا تنال السعادة أبداً على الرغم من أنّنا نُحبّ. إنّ التعاسة التي يجلبها الحُبّ ليست بسبب الحُبّ، بل بسبب القيود التي تُحيط به.

فليكن ذلك واضحاً تماماً بالنسبة إليك، فقد اكتشف الكثير من الناس أنّ الحُبّ يُسبب التعاسة، فأصبحوا بسبب قيوده عدائيين تجاه الحُبّ، وأصبحوا أعداء الحُبّ. ثم شرعوا في الهروب من جميع احتمالات الحُبّ.

لا يزال هناك بعض الأديرة في "أوربا"، قائمة منذ ما يُقارب ألف ومئتين، أو ألف وثلاثمائة عام. بمُجرّد أن يدخل الراهب إلى الدير يتعذّر عليه الخروج منه، فهو التزام مدى الحياة. هناك في الدير، لا وجود للنساء مُطلقاً، فلم تدخل الدير ولا امرأة واحدة على مدى ألف وثلاثمائة عام. إنّ الدير مخصصٌ للذكور، وللرجال فقط. هناك أديرة مُخصصة للنساء فقط، ويُمنع على الرجال دخولها. هناك تنعدم كلّ فرص الحُبّ.

يهرب الناس إلى "الهيمالايا": إنّهم يهربون من الحُبّ، وليس من العالم. إنّهم يخشون الوقوع في الحُبّ، وهناك أسباب وراء خوفهم هذا.

يعيش الإنسان حالة اضطراب في كلّ مرة يقع فيها في الحُبّ. أينما وجُد الحُبّ، وُجدت المعاناة، والصراع، والجحيم. يقول "بول سارتر": "الآخر هو الجحيم". من أجل ذلك، في كلّ مرة تقع فيها في الحُبّ، ويدخل الآخر في حياتك، يظهر على نحو مُفاجئ الصراع والصدام والنزاع من أجل هيمنة وسيطرة كلّ منكما على الآخر، وهنا تنشأ التعاسة. نادراً ما يشعر العاشقون بالسعادة. أنا لا أزعم أنّ غير العاشقين سعداء، فقد لا يكونون سعداء، ولكنّهم ليسوا تعساء أبداً بقدر تعاسة العاشقين.

إنّ تعاسة العاشقين تفوق تعاسة غير العاشقين، لأنّ الحُبّ وعدهم بالكثير في البداية، فقاموا ببناء الكثير من التوقعات، وكان هناك أمل كبير، ثمّ تحطّم كلّ ذلك على الصخور. أما غير العاشق فلا يملك أيّ توقعات، إنّه مرتاح، لأنه لم يكن يأمل بدخول الجنة. لا يُمكنك رمي شخص في الجحيم، ما لم يكن يحلم بالجنة. لا يُمكنك أن ترميه في النار، إلا إذا كان يحلم الجنة. وإلا فالإمكانية معدومة.

ليس الزواج في الشرق تعساً بقدر نظيره في الغرب، لأنّه في الشرق غير قائم على الحُبّ. عندما لا يكون الزواج على أساس الحُبّ، فأنت لا تأمل بالكثير منه، أنت تعرف الطريق، وتعرف الروتين. عندما يتمّ ترتيب الزواج بواسطة الوالدين والمُنجمين، ما باليد حيلة. في الحقيقة أنت لا شيء، أنت مُجرّد شاهد، مهما حدث أنت تُراقب، وفجأة تُرمى سيدةٌ لا تعرفها سابقاً بين يديك، فلا توقعات، ولا رومانسية، ولا آمال كبيرة. لم تكن تحلم بالقمر، وهي علاقة عادية في عالم عادي، والزواج مؤسسة اجتماعية خالية من الرومانسية. تبدآن حياتكما معاً، كما هو الأمر في الشرق، إذ يعيش الناس مع زوجاتهم تماماً كما يعيشون مع اخوانهم وأخواتهم وآبائهم وأمهاتهم. أنت لا تختار أمك وأبيك على الإطلاق. فجأةً، في يوم ما تُدرك أنّ هذه أمك، ما الذي تستطيع فعله؟ سواء كانت جميلة أم قبيحة، صالحة أم طالحة، تبقى الأمّ أمّاً، ولهذا أنت

تُحبّ أمّك. يُحبّ الناس في الشرق زوجاتهم وأزواجهم بالطريقة ذاتها. ما الذي تستطيع فعله؟ في أحد الأيام تجد أنّ هذه السيدة قد أصبحَت زوجتك، ولأنّ هذا الزواج لم يُسبق بعلاقة عاطفية، فلن يكون هناك قدر كبير من التعاسة. لم تكن تتوقّع أن يكون زواجك جنة، وهكذا فلن تشعر أنّه قد أُلقي بك في الجحيم. أنت تسير على أرض مُنبسطة. كلّما سرتَ نحو المُرتفع، زادت إمكانية سقوطك.

عندما تتسلّق قمم الجبال، من المُحتمل أن تسقط في الهاوية، ولكن عندما تسير على الطريق السريع، فلا خوف من التردي في الهاوية. الزواج الخالي من الحُبّ، مثل السير على أرض مُنبسطة. وحتى لو نشأ الحُبّ بعد الزواج، فإنّه سيكون أقرب إلى الأخوية منه إلى الحُبّ، إذ تعوزه الرومانسية.

عندما يكتشف شخصان أنهما قد ارتبطا، يتعودان على بعضهما البعض رويداً رويداً، وبالتدريج يشعر كلّ منهما بالودّ تجاه الآخر، ثمّ يتكيّفان تدريجياً. إنه أمر مُملّ للغاية، وارتباط خالٍ من الشاعرية.

ليس الزواج في الغرب درباً مفروشاً بالورود. يتارجح القارب، ويرتطم بالصخور باستمرار، إنّه دائماً على شفا الانهيار في أيّ لحظة. لماذا؟ عندما تُحبّ يكون لديك توقعات، وعندما تكون لديك توقعات يتسمّم الحُبّ ويتلوث. حينها لا يكون الحُبّ حُباً حقيقياً، فلديه الآن حدود، والسبب هو التوقعات. عندما تُحبّ شخصاً، تبدأ في الشعور بالملكية. أنت تخشى أن تُحبّ زوجتك شخصاً آخر، وتُصبح خائفاً جداً إلى درجة تجعلك عاجزاً عن احتمال نظرها إلى شخص آخر، ولا يُمكنك احتمال فكرة أنها تضحك لشخص آخر، ولا فكرة أنها من المُمكن أن تضحك دونك؟! إنه أمر مُستحيل، وأمر مُؤلم. تشرع في بناء سجن تحبسها فيه، وتُسمّي ذلك القفص الجميل بيتاً. ثمّ بالتأكيد عندما تبدأ في

بناء قفص لها، ستبني هي بدورها قفصاً لك، لأنه لا يُمكن لشخص أن يكون سجّاناً دون أن يكون مسجوناً أيضاً.

عندما تتملّك شخصاً ما، تُصبح مملوكاً أنت الآخر، وعندما تُجبر أحدهم على أن يكون عبداً، تُصبح عبداً في سياق العملية ذاتها.

إنّ المُعلّم هو إنسان لم يُحاول قطّ أن يُجبر شخصاً على أن يكون عبداً. إذا رحتَ تُحاول استعباد الناس، فسيتمّ استعبادك من قبلهم. إنّها مسألةٌ بسيطةٌ. تتملك شيئاً ما، فيتملكك ذلك الشيء. تعلّق بشيء ما، وستشعر حينها أنّك في عبودية مُؤلمة.

بسبب القيود التي تُفرض على الحُبّ، يُصبح الحُبّ مُداناً، ويشعر الناس أنّ الحُبّ هو سبب مُعاناتهم. حاول أن تفهم ما هي القيود المُحتملة.

يقول "كبير": عندما يتجاوز الحُبّ كلّ الحدود، فإنّه يصل إلى الحقيقة. لا بُدّ من فهم القيود.

قام "مارتن بوبر" أحد أعظم مفكري هذا العصر بتقسيم الحُبّ إلى قسمين. الأول يدعوه حُبّ الأنا للأشياء: عندما تُحبّ سيارتك، منزلك، وهناك حُبّ الأنا للأشخاص: عندما تُحبّ ابنك، زوجتك. يقول "بوبر": "هذان هما نوعا الحُبّ: حُبّ الأنا للأشياء، وحُبّ الأنا للأشخاص".

حسناً، راقب بعناية. إنّ علاقة حُبّ الأنا للأشياء هي علاقة محدودة للغاية، لأنّ الآخر شيء، وهو غير قادر على منحك حرية إطلاقاً. في الواقع، عندما تتعلّق بشدة بشيء ما، فإنّك تبدأ في التحوّل إلى شيء أنت الآخر، لأنّ حُبّك يُحدد كينونتك.

إنّ الشخص الذي يحبُّ سيارته ينتقص من قيمته كإنسان، إنّ حُبّك للسيارة يُبيّن أيّ نوع من الأشخاص أنت. إنّ الشخص الذي يُحبّ المال

يُصبح أكثر فأكثر مثل المال، مُجرّد أوراق نقدية قذرة. إنّه يُصبح على شاكلتها، وتستطيع أن ترى هذا في عينيه. عندما يكون الإنسان شديد الحرص على المال، يُمكنك أن ترى ذلك في عينيه، إذ تطفو فيهما العملة الورقية القذرة. إنّه يخسر روحه؛ لقد تقلّص كي يُصبح الشيء الذي يُحبّه.

احذر: إيّاك أن تُحبّ شيئاً أدنى منك، وإلا سوف تسقط، لأنّ الغرض الذي تُحبّه يُصبح هدفك، وتبدأ في الانحدار نحوه.

أيّ كان الذي تُحبّه، فأنت تبدأ في السقوط والهبوط نحوه. إيّاك أن تُحبّ شيئاً ما، وإلا ستتقلّص روحك كي تغدو ذلك الشيء. إنّ القيد الأكبر، هو حُبّ الأنا للأشياء، وتُصبح المُشكلة أكثر تعقيداً مع الأشخاص، لأنّه في حال أحببتَ سيارتك، فأنت تعلم أنّ هذه سيارة، ولكن هناك من الناس من يُحبّ زوجته بالطريقة نفسها، كما يُحبّ الأشياء، ولا يتمّ النظر إلى الزوجة كإنسان.

في الشرق يُسمّون الزوجة "تروتك". هكذا كان ينظر إلى الزوجة، على أنها "تروتك" على مدى العصور. إنّ العلاقة بين الزوج والزوجة في الشرق هي علاقة الأنا مع الأشياء، وفي بعض الدول، إذا قمتَ بقتل زوجتك، فلن يكون هناك مشكلة. إنّها ليست مُشكلة في نظر القانون: لقد كانت زوجتك، ولك الحقّ في قتلها. إذا قمتَ بضربها، فلن ينبس أحدٌ ببنت شفة، فهو شأنك أنت، وفي وسعك ضرب زوجتك. هكذا جرت الأمور.

بالطبع لقد انتقمت الزوجة بأساليبها الخاصة. رُبّما لن تقوم بضرب الزوج، ولكنها يُمكن أن تضربه بألف طريقة وطريقة، على نحو غير مباشر، وهي تفعل ذلك بالتأكيد. لقد باتت النساء ماهرات وحذقات في ضرب الزوج، بطرق مُخادعة بحيث لا يُمكنك أن تقول لها: "أنت تضربينني". لقد عثرت لنفسها على أساليب غير مُباشرة: أساليب

الضعفاء. على الضعيف أن يحمي نفسه ويثأر لها، ويجد أسلوباً خاصاً به، ومنهجاً مُختلفاً.

على سبيل المثال، رُبّما تبدأ المرأة في البكاء كي تجلدك بدموعها. رُبّما تمرض، وأنت تعلم ما الذي يُسبب لها الصداع. لن تقوم بإعداد الطعام لك، ولن تعتني بالأولاد، سوف تستلقي في السرير وتقول إنها محمومة. إنها بذلك تضربك، وتضرب الأولاد والعائلة بأكملها، على طريقتها. أو رُبّما تُصبح المرأة باردة المشاعر: كلّما دنوتَ منها، وقمتَ بمُبادرة من أجل التعبير عن حُبّك، ستجدها قد تجمّدت. سوف تُصبح بيساطة باردة، وتنظر إليك بعينين لوّامتين نظرة إدانة. سوف تمسخك إلى حيوان. سوف تعتبرك مهووساً بالجنس أو شيئاً من هذا القبيل. كلّما رغبتَ في مُعاشرتها، سوف تتمدد أمامك كالجثة، ولن تتفاعل معك. بالطبع ستكون الزوجة غيورة جداً، وتملكية جداً. لن تسمح لك بأيّ قدر من الحرية، لأنّك لم تمنحها أيّ قدر من الحرية. هذا هو قانون الفطرة. إذا كانت علاقتك بالآخر هي علاقة الأنا مع الأشياء، فسيسعى الآخر كي تكون علاقته بك هي العلاقة ذاتها. هذا هو ردُّ الفعل الطبيعي.

أنا شاهدٌ على ذلك، من بين كلّ مئة من البشر يعيش تسع وتسعون منهم علاقة الأنا مع الأشياء، حتى مع الأشخاص حولهم، فلا يعتبرون الزوج شخصاً، ولا الزوجة شخصاً، ويكون الزوج شيئاً ينبغي الاستحواذ عليه، وكذلك هي الزوجة. لقد اختزلنا الآخرين، وجعلنا منهم أشياء. هذا هو القبح الذي ينتج عن الحُبّ إذا حوى هذه القيود التي تُقيّده من خلال علاقة الأنا مع الأشياء.

أسقِط هذا العائق، وارتقِ قليلاً، وانتقل إلى مفهوم أرحب بقليل. وهذا ما يدعوه "بوبر" علاقة الأنا مع الأشخاص.

فلتكُن زوجتك شخصاً، وليس شيئاً. فليكُن زوجكِ شخصاً، وليس

شيئاً. فليكن ابنك شخصاً، احترم الآخر، فالآخر هو روحٌ عظيمة القدر، وهو الإله. سمِّ الآخر "أنت"، وليس هذا وحسب، بل تصرّف معه بطريقة بعيدة كلَّ البعد عن نظرتك تجاه الأشياء.

إيّاك أن تستغلَّ أحداً، شاركه، ولكن لا تقُم باستغلاله. احترم كرامة الآخر، ولا تتدخّل أبداً في شؤونه، حينها سوف يتمتع الحُبّ بمساحة أكبر، ويُصبح أقلّ محدودية، ولكنّه يبقى محدوداً.

لم يذكر "بوبر" سوى نوعين من العلاقات: علاقة الأنا مع الأشياء، وعلاقة الأنا مع الأشخاص. بيد أني أرغب في التحدّث عن احتمالين آخرين. الاحتمال الثالث هو أرقى من علاقة الأنا مع الأشخاص، إنّه العلاقة دون أنا مع الآخر، عندما تقول: "أنا غير موجود، لا يُوجد سواك أنت"، وهنا تحدث الصلاة، عندما تقول: "أنا غير موجود، أنت الموجود. أنا مُتحدٌ بالكامل معك. أنا لا أملك كياناً مُستقلاً". عندما تتمكّن من قول ذلك لمحبوبك، تكون العلاقة قد ارتفعت فوق حدود البشر. إنّ علاقة الأنا مع الأشياء أدنى من مستوى الإنسانية، بينما علاقة الأنا مع الأشخاص إنسانية، أما العلاقة دون أنا مع الآخر، فهي فوق إنسانية، وهي حالة الصلاة.

إنّ علاقة الأنا مع الأشياء جنسية، وعلاقة الأنا مع الأشخاص، هي ما يدعوه العوام بالحُبّ، أما العلاقة دون أنا مع الآخر فهي الصلاة. من أجل هذا السبب يقول المُحبّون للإله: "لستُ موجوداً. فلتكن مشيئتك أنت، وليس مشيئتي". يقوم المُحبّ في الصلاة بتسليم أناه، يركع ويقول: "أنت فقط، أنا مُجرّد بضعة منك وحسب، مُجرّد بضعة، فلا داعي إلى التباهي، ولا حاجة إلى إثارة جلبة حولي. أنا لستُ موجوداً".

هذا هو الاحتمال الثالث: السماء الرحبة بين يديك. أمّا الاحتمال الرابع فأدعوه: "لا أنا، ولا أنت"، وتلك هي حالة التأمل. عندما تقول:

"أنا غير موجود، أنت الموجود"؛ هنالك شعور خفيّ أنّ الأنا ستبقى، لأنّه على الرغم من مُناداتك للآخر بلفظ "أنت"، فهذا يقتضي وجود الأنا. من دون "أنا"، لا وجود لـ" أنت". رُبّما لا يكون الأمر على صعيد الوعي، ورُبّما لا تكون الأنا ضخمة، أو تأخذ شكلاً مُهذباً، ولكن يبقى ظلّ الأنا موجوداً، وإلا مَن الذي سيقول: "أنت"؟ كي تُنادي الإله "أنت"، أو حبيبك "أنت"، ينبغي أن تكون موجوداً.

الحالة الرابعة هي: "لا أنا، ولا أنت". حتى الصلاة ليست موجودة الآن، وحتى ذلك القدر من الثنائية تمّ إسقاطه. يسود ذاك الصمت التأمليّ "زازن"، فيجلس الإنسان ببساطة، دون أن يفعل شيئاً. لا شيء يُقال، ولا يُوجد من يقول، ولا يُوجد من يُقال له. لقد اختفى المُتحدِّث، كما اختفى المُتحدَّث إليه. من أجل هذا أقول إنّ البوذية تصل إلى أعلى رحلة وهي "لا أنا، ولا أنت".

تقول البوذية: لا يُوجد إله، ولا يُوجد روح. هذا هو المعنى. إنّها ليست نظرية ماورائية، بل هي أسمى درجات الحُبّ: لا إله ولا روح. أنا لا أكون وأنت لا تكون، لقد انقضى الامر. هكذا لا جدوى من النطق بأيّ كلمة. يُمكن للصمت الآن أن يسود، لا داعي الآن حتى إلى الحوار.

في علاقة الأنا مع الأشياء تلتقي الأجساد. إنّها علاقة جنسيةّ، ماديةّ، جافةّ جداً. أما في علاقة الأنا مع الأشخاص فتلتقي الأدمغة. إنّها علاقةّ على صعيد النفس، ليست جافةً جداً، ولكنها ليست رقيقة أيضاً. أما في علاقة "لا أنا، ولا أنت"، فتشرع الأرواح بالتلاقي، ولكنّها تبقى مُنفصلة عن بعضها. تدنو من بعضها أكثر فأكثر، ولكن تبقى فواصل رقيقة بينها. لا يزال المُحبّ موجوداً: لديه القليل من الحزم، والقليل من حُبّ الذات، ولكنّه شديد التواضع، ولكن في تواضعه هذا تسكن الأنا. أمّا في العلاقة الرابعة فيختفي كلّ شيء بما في ذلك الروح: لا أجساد، لا أدمغة، لا

أرواح. لقد وصلتَ إلى البيت. وحده الواحد هناك، دون أيّ حدود.

هذا ما يصفه "كبير" بقوله:

عندما يتخطّى الحُبّ كلّ الحدود،

فإنّه يصل إلى الحقيقة.

كم يفوح شذاه!

ذلك العطر الذي طالما حملتَه على مدى حيواتك السابقة، ذلك العطر الذي كنت تحمله كبذرة يفوح الآن من كيانك. لقد غدا الآن زهرة لوتس: إنّها الآن مُنفتحة على السماء، الرياح، الشمس، الأمطار، ينتشر العطر ويُواصل انتشاره في كلّ زاوية من زوايا الوجود. إنه حُبّك ينتشر في كلّ أنحاء الوجود. أنت الآن في حالة نشوة مع الوجود بأكمله. هذه هي النشوة، وهذه هي السعادة المُطلقة والبركة.

في هذه الحالة المُطلقة من الحُبّ، في هذه المرحلة من تفتح كيانك، لا يعود الحُبّ مُجرّد علاقة، بل يُصبح حالة. إنَّ علاقة الأنا مع الأشياء هي مجرد علاقة مُتقوقعة حول الأشياء، كذلك علاقة الأنا مع الأشخاص هي علاقة مع هامش بسيط من الحرية. إنّها أكثر حرية، ويكون الحبل أطول كي تتمكن من التجوال، ولكن يبقى الآخر فكرة محدودة، وتبقى علاقة الأنا مع الأشخاص علاقة. بالنسبة إلى علاقة دون أنا مع الآخر، تكون الأمور آخذة في الذوبان. أنت موجود في البوتقة، ولكنّك لم تختفِ كُليّاً وتماماً. بالتأكيد لقد أصبحت العلاقة أوسع بكثير، ولكنّها لا تزال علاقة. أما في الحالة الرابعة، لم يعُد هناك علاقة، لأنّه كي تكون هناك علاقة، فلا بُدّ من وجود طرفين. إنّها حالة وجودية.

في الحالات الثلاث الأولى يُمكنك أن تقول إنَّ الحُبّ موجود كحوار. أما فيما بعد الثالثة، يختفي الحوار. أنت الآن لا تُحبّ وحسب، بل أصبحتَ الحُبّ في حدّ ذاته. الآن لا يُوجد سوى الحُبّ، وقد اختفى

المُحبّ، واختفى المحبوب، ولم يبقَ سوى الحُبّ.

في كلّ مواقف حياتنا، لا بُدّ من تذكّر هذا الثالوث: العارف، المعروف، المعرفة. المُحبّ، المحبوب، الحُبّ. المُراقِب، المُراقَب، المُراقبة. هذا هو الثالوث. لقد ذبتَ تدريجياً. عندما يتوارى العارف، ويختفي المعروف، تتحرر المعرفة من كلّ القيود. حينها تُصبح المعرفة واسعة وسع الوجود ذاته. ذلك هو حال الحُبّ عندما يختفي المُحبّ والمحبوب.

عندما يتخطّى الحُبّ كلّ الحدود،

فإنّه يصل إلى الحقيقة.

لقد أصبح الحقيقة في حدّ ذاتها.

ليس له نهاية، ولا يقف شيء في طريقه.

إنّ صورة هذا اللحن مُشرقةٌ

كملايين الشموس:

لا شيء يُضاهي ألحان آلة "فينا".

تعزف آلة "فينا" ألحان الحقيقة.

هناك أمرٌ آخر يجب التفكير فيه: يقول "كبير" مراراً وتكراراً، أنّه عندما يُزهر الحُبّ كُليّاً، يكون هناك نور ساطع، وكأنّ ملايين الشموس قد أشرقت حولك فجأة. لا يقول هذا "كبير" وحسب، بل قاله كذلك "مُحمّد" و"المسيح" وكلّ صوفيي العالم. لقد قالوا إنّه عندما تصل إلى جوهرك المكنون، سيكون هناك تفجّر للنور على نحو مُفاجئ. لا يُمكن أن يكون الأمر مُجرّد أسطورة من بلاد مُختلفة، ولغات مُختلفة، وأزمنة مُختلفة، فقد اتفق الصوفيون حول العالم على أمر واحد، ألا وهو أنّه في اللحظة الأخيرة سيكون هناك تفجّر للنور. فجأةً ستُشرق

آلاف الشموس، ويخطف النور الأبصار، فيعجز الإنسان عن فتح عينيه. إنَّ النور مُبهر جداً، ويلزمك وقتٌ كي تتكيَّف معه، وتُحدِّق فيه. في الحقيقة، عندما يحدث للمرة الأولى، يشعر الصوفي كأنَّه وقع في ليل مُظلم. إنَّه مُبهر للغاية.

يقول الصوفيون المسيحيون إنَّه قبل حدوث النور، لا بُدَّ للمرء من أن يمرّ بليل الروح المُظلم. إنَّ الأمر أشبه بنظرك في عين الشمس، ثمّ خلال ثوان، تشعر أنَّك قد أُصبتَ بالعمى. فجأة، ستختفي الشمس، ويختفي النور، وتُصبح شبه أعمى، وتشعر أنَّك مُحاطٌ بالعتمة.

حين تكون الشمس ساطعةً للغاية، وتعجز عيناك عن استيعابها، سوف ترفضان، وتُغمضان، وبالتالي تنشأ العتمة، فما بالك لو أشرقَت آلاف الشموس، كيف لك أن تتخيّل أنَّك ستتمكّن من رؤيتها؟

في البداية يُصبح الظلام دامساً، ومُظلماً إلى درجة مُخيفة، فيشعر الصوفي أنَّه قد عمي. بيد أنه على الرغم من حلول الظلام، إلا أنَّه لطيف ومُريح جداً، ولن يرغب الصوفي في فتح عينيه من أجل رؤية العالم الخارجي. إنَّ العتمة الداخلية أفضل بكثير من النور الخارجي، إنه نسبياً وبالمقارنة أفضل بكثير. يرتاح الصوفي في عتمته الداخلية، ويُصبح بالتدريج مُتكيّفاً معها، ريثما تُصبح عيناه قادرتين على رؤية النور، ومعرفة ماهيته.

أودُّ أن أُذكّرك مرة أُخرى: تقول الفيزياء إنَّ المادة تتكوّن من الكهرباء، وإذا رحتَ تشطر العناصر ستصل في النهاية إلى حيث تنقسم الذرة إلى نور هائل، ولا يبقى سوى الالكترونات. هذه هي النظرية الكاملة للانفجار الذري، الطاقة الذرية. إنَّ انفجار ذرة واحدة يُولّد نوراً عظيماً.

عندما تمّ إلقاء القنبلة الذرية على "هيروشيما" و"ناغازاكي"، كان هناك نور لم يسبق أن شُوهد مثله من قبل، انفجار ونورٌ هائلٌ عظيم في

كلّ مكان بضع ثوان. إذا كان هذا مُمكناً من خلال شطر ذرة واحدة يتعذّر رؤيتها بالعين المُجردة، فعلى الإنسان أن يُفكّر ويتأمّل فيما يحدث عندما تنفجر خلية الحياة الداخلية، ذرة الحياة، ذرة كيانك، سوف يحدث الشيء ذاته، لأنّ الحياة تملك طاقة من الخارج ومن الداخل. إنّ المادة والوعي هما الطاقة ذاتها.

يقول الفيزيائيون إنّ الذرة تنفجر إلى ضوء، وكذلك يقول الصوفيون إنّ الروح تنفجر إلى نور. يبدو أنّهما مُتفقان تمام الاتفاق. في الحقيقة لا أحد يُحاول إقامة جسر بين الدين والعلم. لو تحقق ذلك الأمر، فسيكون ذا فائدة عظيمة، فتسير الأفكار على نحو مُتواز. يجب أن تمضي بتواز، وينبغي أن تكون كذلك لأنّه وجود واحد. في مكان ما يجب أن يتفق كلّ ما اكتشفه العلم مع كلّ ما اكتشفه الدين، على الرغم من اختلاف لغة كلّ منهما، أجل، مع أنّنا نبحث ونسعى وراء أساليب مُختلفة، ومناهج مُختلفة، ومناظر وصوراً مُختلفة، ولكننا نبحث عن الحقيقة ذاتها، ومن أجل ذلك، في مكان ما، لا بُدّ أن يتوصّل الصوفي والعالِم إلى انسجام.

إنّ صورة هذا اللحن مُشرقة

كملايين الشموس.

هناك شيء آخر: في العصور الغابرة في الشرق، كان يُعتقد أنّه لكلّ صوت لون مُعيّن. من أجل هذا يُسمّى اللحن في الموسيقى الهندية "راجا" وهذه الكلمة تعني اللون.

يمتلك كلّ صوت لونه الخاص: إنّه أحد أقدم المذاهب في الموسيقى الشرقية. يقترب العلماء اليوم أيضاً من هذا، إذ يقولون إنّ هناك نوعاً من التوافق بين الصوت واللون، لأنّ الصوت ليس سوى ذبذبات كهربائية، والكهرباء هي اللون، أي الضوء. عندما يتمّ إسقاط شعاع من الضوء على موشور ينكسر الضوء ويتحلل إلى سبعة ألوان، وعندما تجتمع هذه

الألوان السبعة من جديد، تُشكّل اللون الأبيض. هناك سبعة أصوات، تماماً كما الألوان السبعة. هناك بالتأكيد احتمالٌ بوجود شيء مُشترك بين الأصوات السبعة والألوان السبعة.

هذه هي نظرية الموسيقى الهندية، و"كبير" ليس صوفياً وحسب، وليس ماورائياً وحسب، بل إنَّه مُوسيقيّ أيضاً. يقول "كبير": يمتلك هذا اللحن صورته المُشرقة، الساطعة كمليون شمس. عندما يتفجّر اللحن الداخلي، الصوت الداخلي، الصوت الساكن، "أناهات ناد"، "أومكار"، يكون لونه أبيض دون ريب، لأنَّ كلّ العلامات الموسيقية، وكلّ الأصوات تكون قد اختفت في شيء واحد. تماماً كما تختفي الألوان السبعة في لون واحد وهو الأبيض، تختفي الأصوات السبعة في صوت واحد، وهو صوت السكون.

تسمعه أحياناً في عتمة الليل الهادئ. عندما تسدُّ أذنيك بإحكام، سيظهر هذا الصوت فجأةً في الداخل. عندما تُصبح قادراً على التأمل بعمق، وتختفي كلّ الأفكار، ستسمع الصوت الأعمق. عندما يكفُّ تفكيرك عن العمل، يختفي الموشور، لأنّه من خلال موشور التفكير يتمّ تحليل الصوت وتقسيمه. عندما يتمّ إبعاد الموشور، يتمّ إبعاد التفكير، فجأةً تُصبح كلّ الأصوات صوتاً واحداً. إنَّ لون الصوت الواحد، الذي يُسمّيه أتباع "الزن" صوت الصفقة بيد واحدة، هو الأبيض.

يبدو هذا كلاماً شديد الواقعية، أُخبرك بهذا لأنّك ستمرُّ من خلال ذلك. إذا واصلتَ التأمل، ستنتقل يوماً ما إلى هذا النور الداخلي. إنّها نقطة التسامي الأعظم، حيث الموسيقى الرائعة، واللحن العظيم. إنّها القمة حيث النور العظيم أيضاً. يجتمع النور واللحن معاً، كأنَّهما عنصران للطاقة ذاتها.

رقيقٌ هو درب الحب!

هناك يختفي السؤال واللاسؤال،

هناك يُضيّع الإنسان نفسه عند قدميه،

هناك تغمر الإنسان سعادة البحث:

يغوص في أعماق الحُبّ.

كما السمكة في الماء.

لا يتردد المُحبّ في التضحية برأسه

من أجل طاعة مولاه.

يُعلن "كبير" سرّ هذا الحُبّ.

إنّ "كبير" هو إعلانٌ لسر هذا الحُبّ، فهو يقول: هذا طريقي. إنّ طريق الحُبّ مُتاح أمام الكثيرين. إنّ السير في درب الحُبّ أسهل بكثير من السير في أيّ درب آخر، لأنّ الحُبّ قريب من قلبك.

بيد أنّ المشكلة الوحيدة التي نشأت أمام الإنسان المُعاصر، والفرد المُعاصر هي أنّه لم يعُد ينبض قلبه، وبقي عالقاً في رأسه. لقد تمّ تدريبنا أكثر فأكثر على التركيز على الرأس، وتمّ إهمال القلب وتجاهله. لم يتمّ تدريبنا على التركيز على القلب، ولا يُوجد أنظمة من أجل القلب، ولا تكترث المدارس ولا الجامعات بالقلب. نحن همجٌ مُتوحشون تجاه مشاعرنا، بل حتى أسوأ من الهمج. تتمحور الحضارة بأكملها حول الرأس، ولذلك يُصبح الرأس ثقيلاً جداً، بينما يُواصل القلب انكماشه. يجب ألا يكون الحال هكذا. هذه هي أعظم مصائب البشرية في تاريخ التفكير والوعي برمته. إنّنا عالقون في الرأس إلى حدّ كبير، فهناك الكثير من الاستثمار في الرأس، لقد قمنا برمي القلب وراءنا. في الواقع، لقد تجاوزنا القلب، ولم نمرّ من خلاله مُطلقاً.

نحن لا نسمح بالمشاعر- بل يُعتبر الإنسان صاحب المشاعر إنساناً ضعيفاً، في حين يُعتبر الإنسان دون مشاعر قوياً. نحن نُعلّم الناس ألا يكونوا عاطفيين، ونُعلّمهم ألا يبكوا، وألا يضحكوا بصوت عالٍ. نحن

نُعلِّم الناس أن يقوا مُتحكّمين، وإذا كنتَ مُتحكّماً، فلن يجد الحُبّ طريقه إليك، لأنَّ الحُبّ لا يحصل إلا عندما تكون في حالة من فقدان التحكّم.

إنَّ الحُبّ أمرٌ أكبر منك، ليس لك سلطانٌ عليه. إذا أردتَ أن تبقى مُتحكّماً فعليك بالكره، إذ يُمكن التحكّم بالكره، لأنَّ الكره أصغر منك، ولكن لا يُمكن التحكّم بالحُبّ؛ فالحُبّ أكبر منك. إذا حاولتَ أن تتحكّم بالحُبّ ستُفوّت كلّ الاحتمالات، وتُصبح كياناً فاقداً للحُبّ وهذا هو حال الميت، فهو إنسانٌ فاقدٌ للحُبّ يعيش في الرأس وقد نسي قلبه.

يقول "كبير": بهاكتي كامارا جهينارا، أي رقيقٌ هو درب الحُبّ.

أجل، إنّه ليس جافاً. إنّ الرأس جافٌ جداً، وليس الرأس سوى المنطق، الحساب، التروي، المكر، الذكاء، وهو مُناسب جداً من أجل استغلال الآخرين، مُفيد في تعذيب الناس، صالحٌ من أجل جمع المال، والحصول على حساب مصرفي ضخم، والانخراط في عالم السياسة، والسيطرة على الناس، مفيدٌ في التدمير. إنّ الرأس جافٌ جداً.

أما القلب فهو رقيقٌ جداً، إنّه عديم الحيلة ولا فائدة منه، فيما يتعلّق بهذا العالم. من خلال الحُبّ تحظى بالشعر، وليس بالحسابات. تحظى بالعاطفة، ورقة الأحاسيس، وليس بالذكاء. من خلال الحُبّ تتعلّم التعاطف، وليس الاستغلال. في السوق لا مكان للقلب، ولا يُمكن للقلب أن يشتري سلعة ما. لن يجعل القلب منك سياسياً عظيماً، ولا جنرالاً عظيماً، ولا مُحارباً عظيماً. لن يجعل منك "أدولف هتلر" الدموي أو ما شابه.

مع القلب تنأى بنفسك تدريجياً عن كلّ دروب المُنافسة، والتنافس على قطع الأعناق، والصراع العنيف حيث يُعادي الكلّ الجميع. سوف

تتنحى جانباً رويداً رويداً في هذا العالم العدواني، وهذا العالم البشع. لن تبقى على طريق القبح السريع، ولن تكون جزءاً من هذا المجتمع القبيح، ولن تلعب ألاعيب الوطنية، الفاشية، الشيوعية، الاشتراكية، ولن تكون معنياً بأيّ حال من الأحوال بالمفاهيم. سوف تُحبُّ، تستمتع، تفرح.

فليكن الفرق واضحاً تماماً بالنسبة إليك.

منذ عدة أيام قال لي شاب: "عندما أقوم بالتأمل، ينشأ في داخلي حبٌ عظيمٌ تجاه البشرية".

قلت: "البشرية؟ كيف ستُحبّ البشرية؟ أين ستعثر على البشرية؟ حسبك حُبّ البشر. أحبب إنساناً، وليس البشرية. إنّ مفهوم "البشرية" من خدع الرأس. البشرية؟ كيف عساك أن تُحبّ البشرية؟ أين ستُعانق البشرية؟ أين ستُمسك بيديّ البشرية؟ إنّك على الدوام ستجد أنّي ذهبت إنساناً تُحبّه؛ ولكنّك لن تجد البشرية في أيّ مكان. إنّ البشرية عبارة عن نظرية ومفهوم، وفكرة مُجرّدة في الرأس. إنّ الحياة مُحددة دائماً، دائما ما يكون الرأس مُقتصراً على المفاهيم. في وسعك دائماً أن تجد إنساناً، رجلاً، امرأة.

عندما قلتُ للشاب: "أحبب إنساناً"، كان مصدوماً. في الحقيقة، كان يُحاول الهرب إلى "حُبّ البشرية" كي يتجنّب البشر. كلا، لم يكن سعيداً أبداً عندما قلتُ له ذلك. لقد استطعتُ أن أرى من عينيه أنّه لم يكن سعيداً جداً، كما لو أنّني شددته إلى الأرض، بعد أن كان يُحلّق عالياً جداً. كلا، لم يكن يُحلّق أبداً، وكلّ ما في الأمر هو أنّه كان يلعب بالألفاظ.

إذا أحببتَ البشرية، في وسعك أن تقتل البشر كي تُنقذ البشرية. إذا أحببتَ السلام، يُمكنك أن تخوض الحرب. إيّاك أن تُحبّ السلام، الديمقراطية، الشيوعية، فكلّها مفاهيم ونظريات.

أحبب بشراً ملموسين، أحبب أشجاراً محسوسة، أحبب صخوراً

مُحددة، حينذاك فقط ستعرف ما الحُبّ. اِنسَ الأفكار المُجرّدة العظيمة، فهي خطيرة، وطالما اقتتل البشر في سبيلها، وراحوا يُدمّرون بعضهم البعض. كلّ أتباع الأديان مستعدّون من أجل القتال في سبيل أديانهم، سوف يقتلون البشر من أجل حُبّهم لدينهم. كم هذا سخيف! إنّ المتدين مُستعد من أجل قتل أتباع دينه حتى، تحت مُسمى إنقاذ الدين، ما هذا الدين؟

أحبب الملموس، أحبب الراهن. اِستمتع باللحظة الراهنة، لا تستعدّ من أجل الغد. إنّ اليوم جميلٌ مليء بالفرح، فليكُن يومك احتفالاً.

رقيقٌ هو درب الحُبّ!

لماذا رقيق؟ لأنه ينبغي على الإنسان أن يكون مُرهف الإحساس، وعليه أن ينطلق أكثر وأكثر من القلب، على الإنسان أن يُصبح قادراً على الإحساس والتفاعل.

اشعر، ابكِ، اضحك، اِرقُص، اِنتحب، اِصرخ، ولكن اِفعل ذلك من صميم قلبك، وستشعر بالتدريج بتغيير جديد، وتحوّل، وتشعر بالطاقة تهبط من الرأس في اتجاه القلب، وتبدأ في التحرّك بطريقة مُختلفة تماماً. سوف تظهر قيمٌ جديدة، لأنه أصبح هناك في الرأس قيمٌ مختلفة.

تقع في غرام سيدة جميلة، ولكن يقول الرأس: "ما الذي تفعله؟ إنها جميلة، ولكنّها لا تملك المال". يقول الرأس: "يجدر بك أن تبحث عن فتاة غنية"، يحسب الرأس حساباته، فيُجنّ جنون القلب. من هنا أقول لك: إذا أردتَ أن تُحبّ، كُن مجنوناً. وحدهم المجانين لا يحسبون حساباً، ويُخاطرون بالظاهر من أجل الباطن، ويُخاطرون بالغد من أجل اليوم، إنّ المجانين يستطيعون فقط أن يسيروا في درب الحُبّ.

هنالك يختفي السؤال واللاسؤال،

ينبغي أن تفهم مُجدداً أنه يُمكن أن يكون الحُبّ أربعة أنواع. الأول: أنت تطلب وحسب، وهو الحُبّ غير الناضج. يطلب الطفل، ولا يُمكن له أن يُعطي، فهو في المقام الأول لا يعرف كيف يُعطي. إنّه طفل، يُمكن أن يُصفح عنه، إنه يطلب من أمه، ومن أبيه، ومن الجميع، ويعتبر أنه يجب على الجميع أن يُحبّه، إنه مُتطلب جداً، ولكن يجب أن يتجاوز الإنسان هذا. إنّه حُبّ يفتقر إلى النضج بشدة. إنّ النوع الأول من الحُبّ هو الحُبّ غير الناضج، عندما تطلب وتقول: "أعطني هذا، أعطني ذاك. إذا أعطيتني كذا، سأتأكد أنّك تُحبني؛ إذا لم تعطني فأنت بالتأكيد لا تُحبّني". تلك هي الطريقة الوحيدة التي يعرف الطفل من خلالها إذا كنتَ تُحبّه أم لا. إذا أحضرتَ له المزيد من الألعاب، المثلجات، الأشياء، فسيعلم أنّك تُحبّه. إنه لا يستطيع فهم سوى لغة واحدة، ألا وهي أن تُعطيه ما يطلب فقط.

ليس هذا خطأً، لا بدّ لكلّ طفل أن يمرّ في هذه المرحلة، ولكن يبقى الكثير من الناس عالقاً هناك. إنهم يُصبحون بالغين، وربّما يُصبح لديهم أولاد، ويبلغ الرجل منهم الأربعين ولديه ثلاثة من الأولاد، وما زال يطلب. يعود هذا الرجل في عمر الأربعين مساء إلى البيت، وينتظر أن يعطيه ابنه قبلة، فيقول: "انظر، جاء بابا. تعال وأعطه قبلة". أيّ نوع من الآباء أنت؟ ما زلتَ غير ناضج، وما زلتَ تطلب. هذا النوع من الرجال سيطلب الحُبّ من الزوجة، وهذا النوع من النساء ستطلب الحُبّ من الزوج، إنّ الكلّ يطلب، ولا أحد مُستعد من أجل العطاء، كلّ الناس أولاد، وليس هناك أحد ناضجٌ بما يكفي كي يُعطي، وبالتالي ينشأ خلاف كبير.

أما النوع الثاني، فهو نوعٌ أرقى من الحُبّ، وهو عندما تبدأ في العطاء، وعندما تُعطي ولا تهتمّ إذا أعطاك الآخرون في المُقابل أم لا. تذكّر أنه من المُحتمل أن تبقى عالقاً في هذه المرحلة أيضاً. يعلق الإنسان في هذه المرحلة بحيث لا يسمح للآخرين أن يمنحوه أيّ شيء، ومثال

هؤلاء الناس: المُبشرين، والمُحسنين، فإذا سمحتَ لهم أن يُقدّموا لك شيئاً، فهم مُستعدون، ولكن لن يقبلوا أيّ شيء مُقابله، لأنّ ذلك يُعارض الأنا لديهم. كيف لهم أن يقبلوا؟! إنّهم أناسٌ ناضجون، يُعطون فقط ولا يأخذون. لقد تطرّفوا هم أيضاً. رُبّما يكونون أكثر نضجاً من النوع الأول، ولكن ما يزال هناك فئة أشدّ نضجاً منهم. إنها الأنا مرةً أخرى ولكن على شكل "أنا أُعطي وحسب".

أعرف رجلاً ثرياً، شديد الثراء، طالما قدّم شتى صنوف المساعدة إلى أقاربه وأصدقائه. لقد وزّع الكثير من ماله، وكان من عادته أن يأتي من أجل زيارتي. قال لي ذات مرة: "هناك شيء لا أفهمه: طالما ساعدتُ الجميع، ولكن لا أحد يشعر بالامتنان تجاهي".

أنا أعلم جيداً أنّه حاول، لقد كان يساعدهم، فقد كان رجلاً كريماً حقيقة، بل إنه رجل كريم نادر الوجود. فقط لمّح له وسيُعطيك كلّ ما في وسعه أن يُعطيك، ولن يقول كلا أبداً. لقد أصبح كلّ أقربائه وأصدقائه أغنياء بسبب ما قدمه لهم. أنا أعلم أيضاً أنّه لم يكن هناك أحد مُمتنّ تجاهه. قلتُ له: "رُبّما لن يُعجبك هذا، ولكنّ المُشكلة في أنّك تُعطي دائماً، أنت لا تسمح لهم أبداً في إعطائك أيّ شيء. أنت أناني بشدة، نعم أنت كريم، ولكنك لا تستطيع أن تتخيّل قبول أيّ شيء من أيّ أحد، فهذا يُعارض الأنا لديك".

فكّرَ ملياً في ذلك وراح يبكي، وهو يقول: "رُبّما يكون هذا صحيحاً. أنا لم أقبل أبداً مُساعدة من أحد في حياتي. أنا رجل عصاميّ. أستطيع أن أُعطي، ولكن لا أستطيع أن آخذ. رُبّما تكون على حقّ".

قلتُ: "لا داعي لأن تقبل أشياء مُهمة، اِقبل الأشياء البسيطة. فقط قُل لأحدهم: "أنا مريض، تعال واجلس قربي، وسوف أكون سعيداً بذلك".
هذا سيفي بالغرض. اِقبل الأشياء البسيطة، ولكن اعطِ الآخر فرصة كي

يُظهر حُبّه لك هو الآخر، وإلا سيبقى يشعر باستمرار أنّه مُثقل ومُرهق، وعندما يشعر الإنسان أنّه مُثقل فلن يستطيع أن يغفر لك".

النوع الثالث من الحُبّ هو عندما يستطيع الإنسان أن يُعطي وأن يأخذ، من السهل عليه أن يُعطي ومن السهل عليه أن يأخذ، وليس عنده مُشكلة في ذلك. إنّ التدفّق مُتعادل، كما الشهيق والزفير. إنّ هذا هو النوع الثالث من الحُبّ: ناضج جداً.

أمّا النوع الرابع والأخير، فهو عندما لا تدري ما الأخذ وما العطاء، لأنّ الآخر لم يعُد موجوداً، أنت جزء من الكلّ.

هنالك يختفي السؤال واللاسؤال،

هناك يُضيّع الإنسان نفسه عند قدميه،

هناك تغمر الإنسان سعادة البحث:

يغوص في أعماق الحُبّ.

كما السمكة في الماء.

لا يتردد المُحبّ في التضحية برأسه

من أجل طاعة مولاه.

تذكّر أنّ هناك تضحية واحدة تكفي، ضحّ برأسك، بتفكيرك، بأفكارك، بمنطقك، وحسبك ذلك. فقط اِقطع رأسك، واسكُن في القلب. يقول "كبير": هذا هو السرّ الذي أُعلنه لكم.

لا تُواصل تقديم الأزهار، فلن تنفع. ضحّ برأسك، بتفكيرك، بإرادتك. يقول "كبير": عندما تغمرك سعادة البحث، فإنّ العاشق الحقيقي، والسائر الحقيقي على طريق المحبّ، لا يقلق بشأن الغاية. إنّ الرحلة هي الغاية.

"إنّ الطريق إلى الجنة هو الجنة". أليس هو القائل: "أنا الطريق؟ ".

إنّه لا يكترث بما سيحدث في الغد، أو في النهاية. إنّه ليس مُهتماً بالنتيجة، فالرحلة هي الغاية، وهي جميلة جداً. كان المحبّون "بهاكتاس" في الشرق يُغنون: "إلهي، نحن لا نسعى إلى الخلاص، ولا نُريد حال "موكشا"، أو "نيرفانا". هذا العالم جميل، ولعبتك جميلة، فاسمَح لنا أن نلعب! إنّ الرحلة جميلة جداً، مَن يأبه بالغاية؟ إنّ الرحلة هي الغاية".

إنّ المُحبّ، العاشق، يُحبّ البحث في حدّ ذاته. إنّه ليس في عجلة من أمره من أجل العثور على الإله. إنه يقول: "اِبقَ مُختبأً، فلنلعب لعبة الغميضة، فالبحث جميل جداً". إنه ليس مُستعجلاً، ويتمتع بالصبر. يقول: "سوف أنتظر، وعندما تُقرر المجيء، تعال، وستجدني جاهزاً، سيبقى بابي مفتوحاً. وسأنتظرك عند الباب، وسيكون الطعام جاهزاً. تعال وسنأكل. لا داعي إلى العجلة: أمامك ألف شيء تفعله، أنجزها وخُذ وقتك. يُمكنني الانتظار".

إنّ العاشق صبورٌ جداً، وهو يستمتع بالبحث، والوجود في حدّ ذاتهما. إنّ غايته ليست المستقبل، إنّه مُستغرق في اللحظة، في الوقت الراهن، وذلك هو تأمله.

هذا مُمكن إذا قمت بإسقاط الرأس، وإسقاط تفكيرك، بمُجرّد إسقاط التفكير، ستنتقل الطاقة بأكملها إلى القلب، ويظهر الحُبّ.

إنّ الحُبّ هو مفتاح السر، الذي يفتح باب الألوهية. اضحك، أحبب، كُن نابضاً بالحياة، اِرقص، غنّ، كُن خيزران أجوف، دع أغنيته تتدفّق من خلالك.

موزالي باجات أخاند سادايا: إنّ نايه يعزف باستمرار، وأغنيته حاضرة باستمرار. في اللحظة التي تُقرر فيها أن تكون ناي الإله، سوف يأخذك بين يديه، ويضعك على شفتيه، وِيبدأ في عزف أغنيته. تلك الأغنية هي أغنية الحُبّ، أغنية الحرية، أغنية "النيرفانا".

الفصل العاشر

أرجوك إستيقظ

صباح 31 كانون الأول قاعة "بوذا".

السؤال الأول

تقول لنا إنّ الطرق هي الإرادة والاستسلام. إنّ طريق الإرادة ليس طريقي بالتأكيد، كما أنّ طريق الاستسلام لا يبدو مثالياً. ما العمل الآن؟ مُعلّمي العزيز، أنا مُحتارٌ تماماً، من فضلك دلّني على الطريق.

الأمر الأول: إذا كنتَ مُحتاراً تماماً، فسيتولد من تلك الحيرة الوضوح والصفاء. بيد أنّك لستَ مُحتاراً تماماً. ما إن تُصبح الحيرة تامة حتى تُصبح هي الطريق. حينها لا داعي إلى أيّ طريق آخر. نحن نبحث عن الطريق بسبب الحيرة، ولأنّنا في حيرة من أمرنا. بيد أننا لسنا في حيرة كاملة، وما زلنا نعتقد أننا نستطيع فهم الأمور. إنّ الحيرة التامة تعني أنّك الآن عاجز تماماً، ولا سبيل أمامك الآن، أنت الآن لا تعرف شيئاً عن الغاية، ولا عن نفسك، ولا عن الطريق. أنت لا تعرف شيئاً. أنت في حالة من الفراغ. عندما تكون الحيرة تامة، يغدو العقل فارغاً. بيد أنّك لم تصل مُطلقاً إلى الحيرة الكاملة. لقد وصلتَ جزئياً، وليس على نحو مُؤكّد، ولا على نحو تامّ أبداً.

إنّ الحيرة التامة هي أحد طرق الوصول إلى الإله. إنّها تعني أنّ معرفتك بأكملها قد أثبتت أنّها بلا معنى؛ وعندما أقول بأكملها، فأنا أعني بأكملها، ولا مجال لأن تقول: "أنا أعرف القليل. هذا القدر صحيح، وهذا القدر حقيقي". إنّ الحيرة التامة تعني أنّ روحك تُعاني في ليلها شديد الظلمة، حيث ليس هناك ضوء مُتاح، ويبدو حتى أنّه لا إمكانية لذلك. أنت يائس، ولا أمل لديك. لقد اختفى المُستقبل، بينما أثبت الماضي أنّه بلا معنى. لقد وصلَت المُعاناة إلى ذروتها المُطلقة، ومن تلك الذروة ذاتها يختفي التفكير، لأنّه لا يُمكن للتفكير أن يستمرّ إلا في حال الحيرة الجزئية. ليس بمقدور التفكير أن يتواجد في الحيرة التامة، ولا في أيّ شيء يتصف بالتمام.

في حال الحُبّ الكليّ، يختفي التفكير. كذلك عند الإرادة الكلية، والاستسلام الكليّ، يختفي التفكير. إنّ الكُليّة تُعارض التفكير، ولا يُمكن أن يجتمعا سوياً. في حال الحيرة الكُليّة، يختفي التفكير.

حاول أن تفهم هذا: يُمكن أن تبقى تلك الحيرة فقط إذا لم تكن تامة. يُمكن أن يبقى التفكير فقط في حال لم تكن مُنخرطاً كلياً في الأمر. كُن حاضراً بكُليّتك في أيّ شيء تفعله، وحينها لن يتمكّن التفكير من التشبث بك ولا حتى لحظة واحدة. بيد أنّك في السؤال استعملتَ كلمة "تماماً" فقط من أجل التأكيد، بينما لا تعرف معناها.

يعجز الشخص المُحتار كُليّاً عن مُجرّد طرح السؤال. كيف له أن يسأل؟ كيف له أن يصوغ السؤال؟ فالسؤال يأتي من المعرفة. إنّ الشخص المُحتار كُليّاً، يأتي إليّ، وينظر إليّ بعينين خاويتين، وعينين مجنونتين، دون أن يستطيع صياغة أيّ سؤال. إنّ وجود السائل يعني وجود التفكير، ويعني أنّك لا تزال مُتمسّكاً ببعض المعرفة، وما يزال لديك أمل أنّك قادر على إيجاد الطريق، وأنه بإمكان أحد أن يهديك إلى الطريق. لا زلت

تعتقد أنّك قادر، وأنك ستتمكّن من إيجاد مخرج ما. إنّ يأسك ليس مُطلقاً، وتعاستك ليست كاملة.

إذا لم تستطع التفكير أنّ الإرادة هي طريقك، ولا تستطيع أن تُفكّر أنّ الاستسلام هو طريقك، حينها أقول: يبدو أنّ الحيرة تُناسب طبيعتك، فلتكُن هي طريقك، ولكن كُن مُحتاراً كُليّاً. ولا تكن فاتراً حيالها. كُن مُحتاراً كُليّاً بحيث لا يبقى لك أيّ بقايا من معرفة، ولا يقين، ولا أمان، ولا نصوص مُقدّسة، ولا ديانة، ولا إيمان. أقولها لك لأنّني شخصياً أعمل على طريق الحيرة.

بالطبع، عندما تدنو الحيرة الكُليّة منك، ستُصبح أكثر فأكثر جنوناً. لن تعرف هذا من ذاك. حينذاك ستكون في حاجة إلى شجاعة عظيمة. يدعو الصوفيون هذه التقنية "تقنية الحيرة". تقتلعك الحيرة من كلّ ما تعرفه، وتقودك إلى الفراغ، وإلى الظلمة. عندما يتمّ إسقاط كلّ المعارف، كيف يُمكن للحيرة أن تبقى؟ فقط أنصِت إليها.

تأتيني مُؤمناً بوجود الإله، فأقول إنّ الإله غير موجود، وهناك تنشأ الحيرة، وليس لأنني قلتُ بعلم وجود إله، بل لأنك مُؤمن بوجوده. هناك الآن أمران مُتصارعان في داخلك: يقول بعضك: "الإله موجود"، ولكنّ بعضك الآخر بات مُقتنعاً معي أنّ الإله غير موجود، ومن هنا الحيرة. إنّ الحيرة تعني الصراع، وأنّ هناك نوعان من المعرفة يسيران في اتجاهين مُتعاكسين بكلّ ما في الكلمة من معنى، الأمر الذي من شأنه تمزيقك.

في المستقبل سوف تُصبح تقنية الحيرة هذه أكثر فأكثر أهمية. لم تكن هذه التقنية مُهمّة بهذا الشكل في الماضي، لأنّ الهندوسي وُلد هندوسياً ولم يكترث قطّ بأتباع الديانات الأُخرى. لقد علم منذ البداية أنّه على حق، وأنّ كلّ مَن سواه على باطل. لقد وُلد أتباع كلّ دين ضمن دينهم، وعلموا أنّ الحقيقة موجودة في كتابهم المُقدّس، وأنّ كلّ ما سواه هراء،

وأنَّ الطريق يمرُّ من خلال نبيهم، وأنه لا طريق سواه، وأنَّ باقي الطرق تودي به في الجحيم.

كان اليقين مُطلقاً، ولأنه مؤسس على الجهل، فأنا لا أُؤيده، ولكن لم يكن هناك حيرة. كان هناك يقين وكان الجميع سعيداً بيقينه. إنّ اليقين خطير، فلا أحد وصل إلى الحقيقة من خلال اليقين. بيد أنّ الناس كانوا مُرتاحين أكثر، وكان الأمر أكثر مُلائمة. لقد شعرَت العقول الساذجة مُتوسطة الذكاء، أنها على ما يُرام، لأنها تعرف. تُشكّل فكرة أنّنا نعلم، وأننا على حقّ، وأنّ غيرنا كلّهم على خطأ في حدّ ذاتها حماية عظيمة. إنّها لا تقودنا إلى أيّ مكان، لأنّه ما لم يتقدّم الإنسان من خلال الحيرة، فلن يحظى بالصفاء والوضوح.

إنّ الصفاء ليس اليقين، واليقين ليس الصفاء. إنّ اليقين هو إيمانٌ أعمى. لقد عاش العالم في يقين، ولكن لم يعُد ذلك مُمكناً اليوم. لم تعُد تلك الراحة مُتاحةً، فقد بات العالم أصغر وأصغر، وأصبح قرية عالمية صغيرة. لا بُدّ للهندوسي أن يعرف عن المسيحي، ولا مجال إلى تفادي ذلك. لا بُدّ للمسيحي أن يعرف عن الهندوسي. يستطيع الناس أن يقرؤوا، يستمعوا إلى الراديو، يُشاهدوا الرائي. لقد أصبح الناس أكثر قدرةً على تحصيل المعرفة، وقد تفجّرت ينابيع المعرفة من كلّ مكان. هذا الكمّ الكبير من المعرفة يُسبب الحيرة اليوم: "مَن منا على حقّ؟".

يُؤمن المسلمون والمسيحيون واليهود بالحياة الواحدة. لم يكن هناك حيرةٌ من قبل، فقد كانت تلك هي الحقيقة. بيد أنّ الأمر أصبح اليوم شديد الصعوبة. لقد أصبح من الصعب حتى بالنسبة إلى مسيحيّ ساذج الإيمان بحياة واحدة، لأنّ ملايين الهندوس، وملايين البوذيين، واليانيين، والسيخ، يُشكّلون نصف العالم، وليس ذلك بالأمر الهين. يقول نصف العالم هذا بالولادة من جديد، والتناسخ. لقد أصبح من المُستحيل اليوم

ألا تستمع إلى نصف العالم هذا، فلديهم منطقهم وحجتهم أيضاً. هنا تنشأ الحيرة والالتباس.

إنّ الحيرة تعني أنّك أصبحتَ مُتاحاً أمام شتى صنوف المعرفة، وعندما تأتي إليّ، من المُؤكّد أنّ حيرتك ستزداد أكثر فأكثر! أنا أتكلّم يوماً عن أتباع دين، وأتكلّم في يوم آخر عن أتباع دين آخر، وهكذا دواليك. أنا أجعل كلّ أسرار المعرفة مُتاحة أمامك. من الطبيعي أن تقع في الحيرة، ولكن لا تكن في عجلة من أمرك.

يتمّ استعمال الحيرة هنا كتقنية، وسوف تغدو الحيرة أهمّ تقنية في العالم المُقبل، لأنّه لا مجال أمامك الآن كي تعود إلى النفق الذي كنتَ فيه، فتكون هندوسياً مثلاً، وتغضّ الطرف عن كلّ شيء آخر، أو تكون تابعاً لأيّ دين وتغضّ الطرف عن كلّ ما سواه، إنّ ذلك غير مُمكن أبداً. لقد بات من المُستحيل على المسيحي أن يُنكر "بوذا"، وعندما يحضر "بوذا"، من الطبيعي أن يبدأ إيمانك بـ"المسيح" بالتأرجح. ينبغي الآن على البوذيين أن يثقوا أنّ "المسيح" قد وصل هو الآخر إلى مكان قريب، رُبّما لم يصل إلى المركز والجوهر تماماً، ولكن اقترب منه كثيراً. رُبّما لم يكن مثل "بوذا"، ولكنّه على الأقل "بودهي ساتفا"، أي "بوذا" مُحتمل، قريبٌ جداً من الأمر. بيد أنه هناك مصاعب ومشاكل، لأنّ "المسيح" بكلّ ما يُمثله من خلال سلوكه، منهجه، فلسفته، طريقته في الحياة، مُتناقضٌ إلى حدّ كبير مع "بوذا". يجلس "بوذا" بصمت في ظلّ شجرته، غير مُبالٍ بالعالم. في حين أنّ "المسيح" مهتمّ بالعالم إلى حدّ بعيد، ومُنخرط فيه إلى حدّ كبير، ولذلك لم يكن قتل "المسيح" على يد اليهود مُجرّد صدفة. كما لم يكن مصادفة أنّ "بوذا" لم يُقتل على يد الهندوس. لم يُحرّك "بوذا" ساكناً، فقد كان يجلس تحت شجرة "بودهي" ويتأمل فحسب. بينما راح المسيح يتعاطى بالشأن العام: السياسة، المُنظمات، المُجتمع، الكنيسة، الدين. لقد كان على وشك تدمير البناء برمته، وكان ثورياً، ولذلك كان لا بُدّ أن يُقتل.

حسناً، لقد كان هناك "المسيح" وكان هناك "بوذا"، وكان هناك "كريشنا" أيضاً، الذي يُشكّل بُعداً آخر: بينما كان "بوذا" جالساً تحت الشجرة، كان "كريشنا" يعزف على نايه. لا يُمكنك تخيّل "بوذا" وهو يعزف على الناي. لقد كان "المسيح" مُعلقاً على الصليب، بينما كان "كريشنا" يرقص مع عدد من صديقاته. لقد غدَت هذه الأبعاد المُتنوّعة مُتاحة لك في آن معاً، أنت الآن في حيرة من أمرك.

إنّ الحيرة بالنسبة إليّ أجدى من اليقين. فاليقين هو الذكاء العادي، وهو نوع من الغباء، وهو يعني أنك ببساطة لا تعلم. يُمكن للجاهل فقط أن يكون مُتيقناً.

حدث ذات مرة أنّ أحدهم كان يتحدّث إلى "فولتير" وأتى على ذكر اسم، كان هذا الاسم يعود إلى عالم لاهوت وفيلسوف مشهور، وراح الرجل يُحدّث "فولتير" أنّ ذلك العالِم يعرف كلّ شيء. نظر "فولتير" بدهشة وقال: "أهو غبي إلى درجة معرفة كلّ شيء؟".

يتردد الحكيم، فليس بمقدور الحكيم أن يكون مُتيقناً، لأنه يُدرك تعددية الحياة، ويُدرك أنّ للوجود الكثير من الأبعاد، ويعلم أنّ الذي نعرفه لا يُعدّ شيئاً مُقارنةً بالذي نجهله، وأنّ المجهول يفوق المعلوم دائماً. إنّ المعلوم مُجرّد حبة رمل أمام المجهول، وهذا ما قاله "بوذا": "إنَّ كلّ ما أعرفه، ما هو إلا حبة رمل، أمّا ما أجهله فهو رمال العالم بأكملها، وكلّ أنهار الغانج"، أي كلّ الأنهار، وكلّ البحار.

ليس اليقين أمراً ذا قيمة. إنّه مُريح، هذا صحيح، ولكنّ الغباء مُريحٌ هو الآخر أيضاً، بل يبدو أنّ الغبي هو أكثر الناس سعادةً. لماذا؟ ليس لديه أيّ حيرة، فهو في الحقيقة لا يملك عقلاً كي يحتار. لديه ومضة خافتة من الوعي ولكنه غير قادر على تحمّل الحيرة. كلّما عظم وعيك، تحمّلتَ الحيرة أكثر، ولذلك أقول إنّ هذا العصر هو عصر الحيرة، لأنّ هذا العصر هو عصر الوعي.

لقد انتهى عهد اليقين القديم والغباء القديم كذلك، وهذا أمر جيد! وأنا أرجو أن يختفيا إلى الأبد. لقد بدأت الحيرة، وهذه هي الخطوة الأولى تجاه الصفاء. إذا كنتَ شجاعاً حقيقة، سوف تتساءل عن كلّ أمر تعرفه، وتتساءل على نحو مُطلق، ولا تكون مُتساهلاً في ذلك. ينبغي أن تتساءل عن كلّ شيء تعرفه، ومن خلال التساؤل والتشكيك، سوف يتمّ حذف كلّ ما تعرفه. لا تكن على عجلة من أمرك كي تصل إلى اليقين، وإلا فلن تتمكن من التساؤل، ولن يكون تساؤلك صادقاً. إذا كان تساؤلك صادقاً، يجب أن يطال جوهر كيانك في حدّ ذاته.

يُصبح الباحث عن الحقيقة ناراً، ظمأ، نهماً عظيماً. إنّه يضع حياته بأكملها على المحكّ. بالطبع، عليه أن يُجازف من خلال كونه في حيرة من أمره، سوف يحتار. بيد أنك إذا واظبتَ، ولم تتمسّك بشيء فقط من أجل الوصول إلى الصفاء، فقط من أجل اليقين، فقط من أجل راحة البال؛ إذا لم تتعلّق بشيء، وكان بحثك حقيقياً، يوماً ما سوف ترى، ويختفي كلّ شيء.

في البداية هناك الحيرة التي تقطع كلّ جذور معرفتك. ما إن تختفي كلّ المعارف، تختفي الحيرة هي الأخرى، لأنّه لا يُمكن للحيرة أن تكون دون المعرفة. أنت تُؤمن بالإله، فيأتي شخص آخر ويقول بعدم وجود إله، وبما أنّ إيمانك ليس سوى إيمان، فستتخلى عن إيمانك. تقول: "حسناً، سوف أُؤمن فقط عندما أعرف، وأنا لم أعرف بعد. من الجيد أنّ هذا الرجل الذي يقول بعدم وجود إله قد ساعدني على التخلّص من الإيمان، لقد كان مُجرّد إيمان، ولم يكن تجربتي الخاصة، لقد كان إيماناً مُستعاراً مُزيفاً، وأنا أُسقطه".

إذا قمت بترك الاعتقاد بوجود إله، فأنا لا أطلب منك أن تشرع في الاعتقاد بعدم وجود إله، لأنّه حينها سوف تحتار مُجدداً يوماً ما. حينذاك

تستطيع أن تأتي إلى شخص آخر في مُنتهى السعادة والورع، وكلّ ما فيه يقول إنّ هناك ما هو أكثر في الحياة، فيقول لك إنّ الإله موجود، وإنه قد تعرّف على الإله، وها أنت من جديد في حيرة من أمرك. لقد كنتَ مُتمسّكاً بالاعتقاد بعدم وجود إله، وها قد أتى هذا الرجل. كلا، لا تتعلّق بأيّ اعتقاد. أسقط كلّ المُعتقدات. ابقَ في الفراغ حيث لا يُوجد أيّ اعتقاد لا بوجود الإله ولا بعدم وجوده. ليس هناك اعتقاد من أيّ دين، لا مُوحد ولا مُلحد، ليس هناك إيمان، وحينها مَن يستطيع إرباكك؟ إذا أتاك أحدهم بخبر ما، ستقول: "أشكرك. سأُفكّر في الأمر، وأتأمله. أنا لا أؤمن بأيّ شيء، ولذلك لا مجال للوقوع في الحيرة".

إذا تمّ توظيف الحيرة على نحو كُليّ، سوف تختفي كلّ اعتقاداتك، ويتمّ تنظيف الأرضية بأكملها. في مرحلة عدم الإيمان، تُصبح الحيرة مُستحيلة، وعندما تُصبح الحيرة مُستحيلة، ينشأ الصفاء، والصفاء هنا لا يأتي نتيجة الإيمان، ولا النصوص المُقدّسة، ولا الانتماء إلى كنيسة، ولا الراحة، ولا المُلائمة، ولا نتيجة أيّ شيء. إنّه حالةٌ من تجلّي الإدراك، ومن خلال ذلك الصفاء تتألّق الحقيقة.

تقول: "أنا مُحتارٌ تماماً". آسف، لا يُمكنني أن أتفق معك. في الحقيقة، أنت تطلب مني أن أمنحك شيئاً تستطيع معه إسقاط حيرتك، والعودة إلى اليقين من جديد. كلّا، أنا لستُ عدوك. أنا لن أهبك أيّ إيمان. أنا مُستعدٌ كي أهب لك نفسي، ولكنّني لن أهب لك أيّ إيمان. أنا على استعداد كي أشاركك تجربتي الخاصة، أنا مستعدٌ كي أشاركك كياني، ولكنني لن أهبك أيّ إيمان. لن أجعلك تركن إلى الراحة، لأنّ ذلك يعني الموت. لم تصل إلى بيتك بعد، ولكنّ أحدهم يجعلك ترتاح على جانب الطريق، ويُعطيك دواءً مُهدئاً، فتنام، وتحلم، وتعتقد أنّ هذا هو البيت، وأنّ كلّ شيء جميل. كلّا، أنا لن أفعل هذا بك. طالما كان هذا ما يفعله بك كهنتك والباباوات حتى اليوم.

سوف أهزّك وأصدمك كي أُخرجك من راحة البال التي كنت تعيش فيها، وأُخرجك من يقينك. أنا هنا فقط كي أُحدث فيك حركة. سوف أكون كالإعصار. أنا هنا كي أُدمّر تفكيرك تماماً. فقط إذا كنتَ على استعداد من أجل ذلك التدمير، سوف يُولد الإبداع في داخلك.

تسألني قائلاً "تقول لنا إنّ الطرق هي الإرادة والاستسلام. أمّا طريق الإرادة فليس طريقي بالتأكيد"، كيف تسنى لك معرفة ذلك؟ كيف أصبحتَ مُتأكّداً أنّ طريق الإرادة ليس مُناسباً؟ جرِّب أولاً، كُن تجريبياً. يتعلّم الإنسان من خلال الخطأ والتجربة، ولا سبيل آخر. لا تكن بديهياً: لا تقُل منذ البداية: "هذا ليس لي، أنا مُتأكّد"، وإلا سوف تحتار من جديد. رُبّما تلتقي يوماً ما بشخص حاز الوصول من خلال طريق الإرادة، وترى كيف تفتّح وفاح عطره، ثمّ تبدأ في التفكير: "قد يكون طريق الإرادة مُناسباً لي أنا أيضاً، فقد حاز هذا الرجل الوصول". سوف يتصاعد جشعك، وتحتار مُجدداً.

أنت بهذه الطريقة تخلق إمكانية الحيرة. لا تقُل: "إنّ طريق الإرادة ليس طريقي بالتأكيد"، لأنّك لم تُجرّبه بعد. جرّبه. لا ضير في أن تُجرّب طريق الإرادة، وإذا لم تنجح، فهو أمرٌ جيد أيضاً، لأنّك حينها تكون على الأقل عرفتَ أمراً واحداً، وهو أنّ هذا الأمر ليس مُناسباً لك، وهذا إنجاز عظيم. عندما تعرف أنّ هذا الباب ليس لك، فهو أمرٌ جيد، وإلا قد يستمرُّ الإنسان أحياناً في قرع الباب الخطأ.

ذات مرة جاءني رجلٌ وقال: "مُعلّمي المحبوب، هناك حلمٌ يُراودني باستمرار، وقد أصبح كابوساً، لقد أتيتُ إليك كي تجد حلاً لمشكلتي".

قلتُ: "ما هو حلمك؟".

قال "وهو الآن تقريباً في الخمسين من عمره": "منذ طفولتي يأتيني هذا الحلم مراراً وتكراراً، تقريباً مرة أو مرتين في الشهر. حتى أنّني لا أرى مخرجاً منه، مع أنه حلم بسيط: أنا أقف على باب جميل جداً من

الخشب المحفور، لا بُدَّ أنَّه باب قصر، أقرع الباب، وأشعر كياني بأكمله يدفعني كي أدخل هذا القصر، أشعر برغبة مُلحّة. ولكن لا أحد يُجيب. ثمّ أشرع في دفع الباب، أبذل قصارى جهدي، وأبدأ بالتعرق. ثمّ يُصبح الجهد محموماً، وينشأ لديّ شكّ أنّ الباب لن يُفتح أبداً، من أجل ذلك أشعر أنني أخفقتُ. هناك رغبة لا واعية في الدخول، وأشعر بعبثية ذلك، ثمّ أستيقظ مُرتعشاً، والعرق يتصبب مني. إنّ تنفّسي مُبعثر وغير طبيعي. ثمّ أعجز عن العودة إلى النوم على الأقل مُدة ساعتين. أُفكّر في هذا الحلم وأقول: "لماذا هذا الحلم؟".

سألتُ الرجل: "هل تستطيع أن تتذكّر؟ هل هناك أيّ علامة على الباب؟".

قال: "أجل، هناك علامة! لكنّني لم أُفكّر فيها. كيف عرفتَ أنّ هناك علامة على الباب؟".

قلتُ: "ما هي؟".

أغمض الرجل عينيه وراح يضحك قائلاً: "هذا لا يُصدّق! تقول الإشارة: اِسحب، وأنا كنتُ أدفع الباب طوال الوقت!".

قلتُ له: "في المرة القادمة، اِتبع الإشارة".

جاءني بعد شهرين أو ثلاثة، وقال: "أنا أنتظر وأنتظر، ولا يأتي الحلم".

قلتُ له: "رُبّما لن يأتي، لأنّ الهدف قد تمّ تحقيقه. لقد أصبحت مُتيقظاً، واعياً له".

جرّب طريق الإرادة، فقد يكون مُناسباً لك، وقد لا يكون. لا يُمكنني أن أرتجل وأقول إذا كان مُناسباً لك أم لا، لأنني إذا قلتُ ذلك وصدقتني، فأنت بذلك تخلق احتمال وقوعك في الحيرة ذات يوم. لا تُصدّقني،

جرّب بنفسك. ما الخطأ في ذلك؟ كُن أكثر ميلاً إلى اللهو واللعب، إنّها رياضة جميلة، جرّب طريق الإرادة.

لماذا تقول: "بالتأكيد ليس مُناسباً لي"؟ كيف يُمكنك أن تكون مُتأكداً؟ لا بدّ من إسقاط خدعة التأكّد دون معرفة، يجب إسقاطها تماماً. جرّب. إذا نجحتَ فهو أمرٌ جيد، وإذا لم تنجح، فأنت ناجح أيضاً، لأنه حينها لا يبقى أمامك سوى طريق الاستسلام. إذا أخفقتَ في طريق الإرادة، يبقى هناك أمل، فمع المزيد من الطاقة، والمزيد من الكُليّة، تستطيع أن تتحرّك على طريق الاستسلام. إذا لم تُجرب طريق الإرادة، قد تتحرّك على طريق الاستسلام، ولكنك ستبقى دوماً في حالة شكّ فيما إذا كان هذا الطريق طريقك أم لا.

الأمر الأول: إيّاك أن تُقرر دون تجربة. كُن علمياً، فكلّ شيء فرضية، وعليك أن تُجرّبه حتى تستطيع أن تُثبت صحته فقط من خلال التجربة، وقد يثبت العكس أيضاً من خلال التجربة، ولكن لا سبيل آخر كي تُقرر. دع القرار يصدر عن تجربتك الوجودية. ثمّ تقول: "**كما أنّ طريق الاستسلام لا يبدو مثالياً**"، ولكن كيف يُمكن لشيء أن يكون مثالياً إذا لم تكن أنت مثالياً؟ إنّ الاستسلام سيكون استسلامك أنت، وليس استسلامي أنا، ولا استسلام "ميرا" أو "مهافيرا". سوف يكون هذا الاستسلام عائداً إليك، وليس إلى "كريشنا" أو "المسيح". لا بُدّ أن يكون هذا الاستسلام من طبيعتك ذاتها.

إنّ طريق الإرادة أو طريق الاستسلام ليسا كالطريق السريع حيث يُمكن أن يسير الإنسان عليهما ويبقى الطريق على حاله. كلا، يتغيّر الطريق حسب حال الشخص الذي يسير فيه. أنت تفرض نوعيتك عليه. على سبيل المثال، أنت ترى لوحة "بيكاسو"، بإمكانك استعمال الفرشاة والألوان والقماش ذاتها، ولكن هل تأمل في رسم لوحة "بيكاسو"؟ سوف

تكون اللوحة لوحتك أنت. قد تكون الفرشاة والألوان تخصّ "بيكاسو"، بل رُبّما تطلب الأذن بالرسم في استديو "بيكاسو"، ولكن على الرغم من كل ذلك ستبقى اللوحة لوحتك، ولن تكون لوحة "بيكاسو".

يحدث الشيء ذاته تماماً عندما تتحرّك في أيّ طريق، فالطريق ليس ملكية عامة. يجب على كلّ فرد أن يخلق دربه الخاص به بينما يمشي فيه.

إنّ استسلامك سوف يكون استسلامك أنت، وسوف يكون مثالياً بقدر مثاليتك أنت. لا تتوقّع منه أكثر من ذلك، وإلا فأنت تخلق العقبات منذ البداية في وجه تطورك ونموك. في الحقيقة، لا يُصبح الطريق مثالياً إلا عندما تصل، وليس قبل ذلك. حينها لا يعود الطريق ضرورياً.

هكذا ينبغي علينا أن نسير على طريق يفتقر إلى الكمال، لأنّنا جميعاً لسنا كاملين. لماذا تطلب الكمال؟ أنت تطلب الكثير. هل تذهب إلى الصيدلي وتطلب دواءً مثالياً؟ قد تطلب الأحدث والأفضل، ولكنك لا تطلب المثالي لأنّ المثالي لم يحصل بعد. رُبّما يأتي دواء أفضل، ويتمّ نبذ هذا الدواء. في كلّ شهر يتمّ التخلّص من أدوية مُعينة، ويتمّ تركيب أدوية جديدة، ولكن لا يُوجد دواء مثالي، ولن يكون. إنّ الكمال يعني هنا أنّه لا مجال أمام النمو والتطوّر. إنّ الكمال يعني الموت، ويعني أنّ كلّ شيء الآن قد انتهى، لقد حانت اللحظة النهائية.

بيد أنّ الحياة مسيرة، وليست مثالية أو كاملة. ليس هنالك شيء مثالي في الحياة، بل كلّ شيء يعوزه الكمال. من أجل ذلك، فإنّ أقصى ما يُمكنك أن تطلبه هو: "ما الطريق الأمثل بالنسبة إليّ"، هذا كلّ ما في الأمر؛ ليس الطريق المثالي بل الطريق الأمثل، فالأمر نسبيّ. رُبّما لا يكون طريق الإرادة مثالياً بالنسبة إليك بقدر طريق الاستسلام، ولكن إذا كنتَ تطلب بشدة أن يكون مثالياً مئة بالمئة، فأنت منذ البداية جشعٌ للغاية. تحرّك ببطء، فطريقك هو طريقك. سوف يُغيّرك الطريق، وأنت سوف

تُغيّر الطريق، وستكون عملية حركية، ومسيرة جدلية. سوف تُغيّر الطريق بفعل تغيّرك أنت، ثمّ سيُغيّرك الطريق، وسوف يُثري كلّ منكما الآخر. عندما تمشي "ميرا" في طريق الاستسلام، سيكون الطريق بالطبع أكمل مقارنة مع طريقك عندما تمشي أنت. عندما يسير "مهافيرا" في طريق الإرادة، سيكون الطريق أكمل مقارنة مع طريقك عندما تمشي أنت.

هناك أمرٌ آخر: لن نعرف إلا عندما تصل "ميرا"، لأنَّ عطرها سوف يفوح. عندما يصل "مهافيرا"، ينتشر حينها الخبر حول العالم أنَّ أحدهم قد أصبح مُستنيراً. ثمّ يُهرع الناس، وعندما يأتون كي يروا، يكون الشيء مثالياً، فقد أنجز "بيكاسو" لوحته، وهي على نحو مثالي. بيد أنك لا تعرف أنّ "مهافيرا" تحرّك مثلك تماماً، مُتخبطاً بين عدم اليقين والحيرة والضلال، وعاد أدراجه مراراً، وارتكب ألف خطأ وخطأ. إنّك لا تعرف أنّ "مهافيرا" كان يُصارع في العتمة وحده. لقد وصل "مهافيرا" الآن وأصبح نوراً، فيأتي الجميع كي يُقدّموا له الاحترام. بيد أنّ "مهافيرا" تحرّك بالطريقة ذاتها وعبر العوائق نفسها. لم يعرف الناس أولئك المستنيرين "بوذا"، "مهافيرا"، "كريشنا"، "زرادشت"، إلا بعد أن أصبحوا أرواحاً كاملة "سيدها"، لم يعرفونهم إلا بعد أن وصلوا إلى تلك المرحلة، بيد أنهم لم يعلموا ما المراحل التي مرّوا بها خلال بحثهم.

تذكّر أنك لم تصل إلى مقام "سيدها" حتى الآن، وإلا فما الجدوى من البحث؟ أنت لم تصل بعد. اختر أفضل ما يُمكن، ولا تلهث وراء الكمال. وإلا فلن تبرح مكانك مُطلقاً. إذا كنتَ في انتظار قدوم الطائرة المثالية كي تذهب، رُبّما لا تذهب على الإطلاق، لأنّه يتمّ تطوير الطائرات كلّ يوم. لا تنتظر القطار المثالي. بل اختر الأفضل من المُتوفّر أيّ كان. كُن انتقائياً. فكّر، وتأمّل في الأمر، اعرف الحسنات والسيئات، ولكن لا تنتظر المثالي.

ابدأ، مع أنه في البداية، لن تحدث أموراً عظيمة. بيد أنّ هذه الأمور

العظيمة لن تحدث ما لم تبدأ. ابدأ بأيّ شيء. فقط ابدأ. تحرّك. قد تتعثر قدماك، وقد يكون جسمك غير متوازن. تماماً مثل الطفل الصغير الذي يبدأ المشي، كم مرة يقع؟ كم مرة يُحاول من جديد، يترنح، ثمّ تقوى ساقاه تدريجياً. هكذا يتحرّك الإنسان على طريق الأبدية.

هناك شيءٌ آخر: إنّ هذه الحركة ليست في اتجاه غاية خارجية، بل هذه الحركة تتجه نحو غاية داخلية، موجودة في الأصل. هكذا قد تسألني: "ما العمل الآن؟"، فأجيب افعل شيئاً واحداً فحسب. دعني أقصُّ عليك قصة رائعة. استمع لها بانتباه. إنّها قصة "خورخيه لويس بورخز" أحد أعظم كتاب الماورائيات "الميتافيزيقية" في هذا العصر.

واقعة العدو:

مضت الكثير من السنوات بينما كنتُ أترقّب، والآن يقف العدو على بابي. من النافذة رأيته يشقّ طريقه إلى أعلى التلة. كان يُكافح كي يرتقي على هذا الطريق الشاهق، متكأ على عصا خرقاء كانت بين يديه مُجرّد عكاز لرجل عجوز ولم تكن سلاحاً. رغم أنني كنتُ أنتظره، إلا أن طرقه على البابِ كان ضعيفاً للغاية بحيث سمعتُه بالكاد. عند الباب تعاركتُ مع المفتاح كي اسمح للرجل بالدخول. كنتُ أخشى أن ينهار دفعة واحدة، لكنّه خطى بضع خطوات مُتداعية، ثمّ تعثر ووقع مُنهكاً تماماً على سريري.

دنوتُ منه كي يسمعني وقلتُ له: "يعتقد المرء أنّ الزمن يمرُّ عليه وحده، لكنّه يمرُّ على الآخرين أيضاً. ها نحن نلتقي أخيراً وجهاً لوجه، وما مضى أصبح الآن بلا معنى". بينما كنتُ أتحدّث حلّ زر معطفه، وأدخل يده اليمنى في جيب سترته، وكان في داخل الجيب شيء مصوبٌ تجاهي، علمتُ أنّه مُسدس.

ثم قال لي بصوتٍ ثابت: "كي أتمكّن من دخول بيتك كان عليّ

الاعتماد على شفقتك. أنت الآن تحت رحمتي، ولن أتسامح معك". حاولتُ أن أجمع بعض الكلمات، فلستُ بقوة الرجل، والكلمات وحدها قد تُنقذني. تمكّنتُ من النطق وقلتُ: "صحيح أنّني أسأتُ مُعاملة ذلك الولد منذ وقت بعيد، لكنّك لم تغْد ذلك الولد، وأنا لم أعُد ذلك المُتوحّش قاسي القلب، إلى جانب ذلك، فإنّ الانتقام لا يقلّ عبثاً وسخرية عن التسامح".

أجاب: "تماماً، لأنني لم أعُد ذلك الولد، أنا على وشك قتلك. لا علاقة لهذا بالانتقام. إنّها مسألة عدالة. حجتك يا "بورخس" ليست سوى حيلة منك، لأنّك خائف وتُريد أن تُثنيني عن مُهمتي. لا يُمكنك عمل شيء الآن".

قلتُ: "أستطيع عمل شيء واحد".

سأل: "ما هو؟".

قلتُ: "أن أستيقظ".

كذلك فعلتُ.

إنّ الحياة بأكملها التي اعتدتَ عليها ليست سوى حُلم، كابوس حقيقي. الصديق والعدو، كلاهما جزءٌ من حلمك. الاستسلام والإرادة، كلاهما جزءٌ من حلمك. النظريات، الفلسفات، العقائد، الكنائس، كلّها أجزاء من منامك، وأحلامك كإنسان. الشيء الوحيد الذي يجب فعله هو: أرجوكَ إستيقظ. ليس بمقدور أحد أن يُوقظك ما لم تُقرر أنت ذلك. إنّه قرارك. لا داعي إلى الركض وراء أيّ مُعتقدات خارجية كي تتمسّك بها، لأنّ كلّ المُعتقدات مُزيفة. لا داعي إلى البحث عن فلسفة الحياة، فالحياة كافية. كلّ الفلسفات مُزيفة، بما في ذلك فلسفتي أنا. عندما أقول الكلّ، فأنا أعني الكلّ. إستيقظ! أرجوك إستيقظ! هذا كلّ ما يُمكن أن يُقال.

السؤال الثاني

أُريد أن أُصبح مريداً "سانياسين"، ولكن هناك الكثير من المُنافقين هنا بين طلابك، وهذا يمنعني. ماذا يجب أن أفعل؟

سأُجيبكَ من خلال طرفة قصيرة.

سأل كاهنُ القرية صاحبَ الفندق: "لماذا لا تحضر إلى الكنيسة؟".

أجاب بصراحة: "لأنّه هناك الكثير من المنافقين".

قال الكاهن: "أرجوك لا تدع ذلك يمنعك، فهناك دائماً مُتسع لشخص جديد".

السؤال الثالث

لقد اشتركتُ في الكثير من المجموعات، وحظيتُ بالكثير من تجارب النمو ذات الأهمية، ومن خلالها شعرتُ حقيقة أنّني تغيّرتُ واكتسبتُ بصيرة جديدة وعظيمة. بيد أنني على الرغم من هذا لا أزال أرتكب الأخطاء ذاتها، وعلى الرغم من كلّ شيء فعلتُه، لا زلتُ أُكرر الماضي كما لو لم أنني لا أملك أيّ خيار. ما العمل؟ هل يُمكن أن يكون التغيير دائماً؟ أم أنّ العمل الذي نقوم به تجاه أنفسنا هو مُجرّد وهم، ولا يُمثل أيّ شيء؟ هل يُمكن أن تكون المُريدية تغيّراً دائماً؟

أولاً: إنّ كلّ الجهود المبذولة من أجل تحسين ذاتك محكومةٌ بالفشل، لأنّ مَن يقف وراء بذل الجهد هو المُشكلة وهي أناك. تقوم الأنا باستمرار ببذل مجهود كي تتحسّن، فتمتلك المزيد من المال، وتمتلك منزلاً أكبر، سيارة أكبر، زوجة أجمل، أو زوجاً، وتمتلك هذا وذاك. تلك هي الأنا، وعليك أن تفهمها.

حينها تلعب الأنا لعبة أُخرى أيضاً، فتقول: "كُن مُسالماً أكثر، كُن مُحباً أكثر، مارس التأمل، كُن "سيدها"، كُن مثل "بوذا". من جديد، إنها اللعبة ذاتها، ولكن في اتجاه آخر. إنها الأنا نفسها التي كانت تُحاول أن

تتجمّل بالأشياء المادية، تُريد الآن أن تتجمّل بالأشياء المعنوية الداخلية.

إذاً فالأمر الأول: إذا كنتَ تُحاول تحسين نفسك، فأنت محكومٌ بالفشل. عندما تفهم أنَّ الأنا هي المشكلة، وأنّ جشع الأنا هو الذي يُريدك أن تتحسّن وتصبح هذا أو ذاك، وأنّ الفكرة هي أن تُصبح انعكاساً للأنا، هنا تُحدث الثورة. ليست الثورة هنا أمراً تقوم حياله بشيء، بل تنشأ تلك الثورة من خلال فهم أساليب الأنا. عندما تفهم أنَّ الأنا التي كانت تسعى إلى المال، السلطة، المكانة، السياسة، هي الأنا ذاتها التي تسعى الآن نحو لعب ألعاب داخلية كالتأمل والتنوير، وكلّ هذا الهراء، عندما تفهم أنّها الأنا ذاتها، ترتسم من خلال فهمك ذاته، ضحكة في داخلك، وتبدأ تشعر بسخافة ذلك.

لا يُوجد تحسّن، أنا لا أقول إنه لا يُوجد تغيّر، ولكن أقول لا يُوجد تحسّن، فالتغيّر حاصل، والتغيّر التام موجودٌ، ولكن لا تحسّن. إنّ التحسّن يعني أنموذجاً مُختلفاً، إذ تبقى كما أنت مع بعض الإضافات من سيارة، ومنزل كبير، وامرأة. تبقى كما أنت، ولكن هناك الآن امرأة مُرتبطة بك، وسيارة مُرتبطة بك. بيد أنك كما أنت. تُصبح الآن مُتأملاً، ولكنّك تبقى على حالك. تُصبح مُريداً "سانياس"، ولكنّك تبقى هناك في العمق كما أنت، وتستمرُّ في تكديس الأشياء: السمات، الصفات، الميزات، الأخلاق، الفضيلة، المعرفة. أنت تتقدّم في الظاهر، ولكن في العمق تبقى الرحلة القديمة ذاتها، ولا شيء جديد. إنّ التحسّن غير مُمكن بهذه الطريقة.

إنّ التحسّن غير مُمكن على الإطلاق. عندما تفهم هذا الجشع، وهذا التوق كي تكون شخصاً آخر أكثر أهميةً، وأكثر قيمة، وأعظم، وأكبر. عندما تفهم أنّ كلّ هذا ليس سوى ألاعيب الأنا، في لحظة الفهم هذه، فجأةً سوف يكون هناك تحوّل، وقفزة نوعية. أنت لم تعُد الشخص القديم ذاته، بل أصبحتَ شخصاً جديداً.

تذكّر أنّ الجديد غير مُتصل بالقديم إطلاقاً. ولهذا لا أقول إنه تحسّن. إنّ الجديد هو جديدٌ تماماً، أي جديد كُليّاً، ولا علاقة له بالقديم. لقد اختفى الرجل القديم كُليّاً. أنت كائن جديدٌ تماماً، مُنقطعٌ تماماً عن الماضي. مع وجود مثل هذه الفجوة، لا يُمكن أن نُسمّي ذلك تحسّناً.

إنّه يُعتبر إنجازاً من الناحية الروحانية. إنّها رحلة طموحة.

تقول: "لقد اشتركتُ في الكثير من المجموعات، وحظيتُ بالكثير من تجارب النمو ذات الأهمية". لم تكن تجارب النمو تلك مُهمّة أبداً. لقد كانت مُجرّد ألاعيب من الأنا، كي تشعر أنك على ما يُرام. لقد هنّأتك الأنا وقالت لك: "أحسنت، أنت ولد صالح. سوف تتحسّن. يوماً ما سوف تُصبح "بوذا" أو "المسيح". أنت على الطريق، وتُبلي بلاء حسناً"، ممّا جعلك تشعر بشعور جيد. لم تكن تلك التجارب مُهمّة، فقد تمّ استغلالها من قِبل أناك، فأصبحت خطيرةً تماماً. يُصبح كلّ شيء تستغلّه الأنا مُسمماً على الفور. لقد بدأتَ تشعر بالسعادة الغامرة: "إنّه يتحقق الآن!". لا بُدّ أنك رحتَ تنتظر "ساتوري"، "سامادهي"، قائلاً: "لم يعُد الآن ذلك بعيد المنال! قد يحصل في أيّ لحظة".

لقد قامَت أناك بتقليص كلّ تلك التجارب إلى ألعاب، ورحتَ أنت تلعب بها، وأصبحتَ تتوقعها أكثر فأكثر. لقد أصبحتَ فاضلاً، مُتديناً، وسوف تتكرر معك هذه الأمور أكثر فأكثر. تذكّر أنه في كلّ مرة تبدأ في التساؤل: "لقد كان هذا الأمر رائعاً، لقد سعدتُ به، ليته يحدث معي مرة أُخرى"، فأنت بذلك تُحاول أن تخلق استمرارية.

لا يُمكن للإنسان الجديد أن يحدث إلا عندما تغيب أنت. لن تُغادر ذاتك الآن على الإطلاق، وستبقى جالساً هناك. حتى لو اشتركتَ بالمجموعات ذاتها ثانية، لن يجعلك ذلك أكثر ثراء، لأنّك ستبقى مُنتظراً: "سوف يحدث ذلك الآن". عندما تنتظر لا يحدث شيء،

لأنك حاضر في انتظارك ذلك. تحدث الأمور على نحو غير مُتوقّع، وعندما لا تنتظرها. في بعض الأحيان، ترى الإله فقط عندما لا تنظر إليه، لأنك عندما تنظر تكون مُتوتراً. يتجلّى الإله في لحظات عادية وبسيطة لا يُمكن توقّعها. عندما تتوقّع، تكون حاضراً هناك، وحينها لا يُمكن للإله أن يكون هناك لأنك هناك. عندما لا تتوقّع، فتسبح مثلاً في النهر، وحولك الأشجار والعصافير وأشعة الشمس، وتكون تائهاً تماماً. بالطبع ما من أحد ينتظر الإله في مثل هذه اللحظة، وفجأةً هو هناك. أنت لا تفعل شيئاً سوى اللعب مع قطتك، تنظر في عيني القطة، بالطبع أنت لا تنتظر حدوث أيّ أمر عظيم، ثمّ على نحو مُفاجئ تتغيّر عينا القطة، وهناك في العمق، تجد الإله، ويغمرك فجأة ذاك الشعور.

يأتي الإله دائماً على حين غرة، وعلى نحو غير مُتوقّع. عندما تقوم بتقنية "بوجا"، وتقرع جرسك الصغير، وتقوم بأشياء من هذا القبيل، لن يتجلّى الإله أبداً، لأنك مُفعم بالتوقعات. أنت تنتظر وتنظر بطرف عينك: "هل أتى أم لا؟"، ثمّ تسمع نقرة على الباب، قد يكون ساعي البريد، فتأجج مشاعرك: "رُبّما أتى الإله!". لا يأتي الإله أبداً عندما تنتظره، لأنّك عندما تنتظر تكون حاضراً بقوة. إنّه يأتي فقط عندما لا تكون كذلك.

"لقد اشتركتُ في الكثير من المجموعات، وحظيتُ بالكثير من تجارب النمو المُهمّة، ومن خلالها شعرتُ حقيقة أنّني تغيّرتُ واكتسبتُ بصيرة جديدة وعظيمة".

أنا، أنا، أنا، هل رأيت؟

"بيد انني رغم هذا لا أزال أرتكب الأخطاء ذاتها، وعلى الرغم من كلّ شيء فعلته، لا زلتُ أكرر الماضي كما لو لم أنني لا املك أيّ خيار".

من جديد أنا، أنا، أنا....

سوف ترتكب الأخطاء ذاتها لأنّها الأنا نفسها. لا يُمكنك أن تأمل بحدوث شيء آخر مُختلف.

إنّ الأنا آلية، وهي تستمرُّ في عمل الشيء ذاته، فتُصبح فعّالة جداً في عملها. إنّها مثل الحاسوب الذي يخلق العادات، ثمّ يُواصل تكرار تلك العادات نفسها. والآن أرجوك، أوقف أيّ فكرة عن النمو. ليست هذه هي الطريقة. انسَ أمر النمو، لأنّ النمو يحدث في المستقبل. إنّ النمو أمر مُؤجّل أصلاً: سوف يحدث في الغد. انسَ أمر الغد، فالغد لا يأتي أبداً. كن هنا الآن. هذه اللحظة هي اللحظة الوحيدة. استمتع بهذه اللحظة باستغراق تامّ. أيّ كان ما تفعله، مارسه بكُليّتك، واسمح لنفسك أن تغرق فيه. أنا لا أُحدد طبيعة ذلك الشيء. عندما تغرق فيه، يُصبح عبادة، ويُصبح صلاةً.

قد يتحوّل تنظيف الأرضية إلى صلاة، وقد يتحوّل مُجرّد القيام بالأفعال الاعتيادية في مطبخك إلى صلاة، وقد يتحوّل حفر حفرة في حديقة منزلك كذلك إلى صلاة. لا حاجة بك إلى الذهاب إلى المعبد. لا يذهب إلى المعبد سوى أولئك الذين يعجزون عن جلب الصلاة إلى حياتهم. لا حاجة بك للذهاب إلى أيّ معبد، لأنّ الإله حاضرٌ في كلّ مكان. حيثما تتمكّن من الاستغراق بكُليّتك، سوف يُفتح لك باب المعبد.

"هل يُمكن أن يكون التغيير دائماً؟ أم أنّ العمل الذي نقوم به تجاه أنفسنا هو مُجرّد وهم، ولا يُمثل أيّ شيء؟

إنّ ذاك الذي تفعله مُجرّد وهم، لأنّك وهمٌ في حدّ ذاتك، ولا يُولد من خلالك سوى الوهم. لا يُمكنك أن تُنجب الحقيقة. أنت مُؤقت، ولا يُمكن للخلود أن يُولد من خلالك. يجب أن تفسح المجال، وتتنحى جانباً، فلا أحد يعترض طريقك سواك أنت، ولا أحد سواك. إنّ الإله مُتاح أمام الجميع، ولكن لا تعترض الطريق.

هل تسمع؟

لا تقف في طريق الإله، هذا كلّ ما في الأمر. حينها ستجد الإله

في الزهرة، وفي جناح العصفور، حينها ستراه في النسيم وهو يُداعب الأشجار. عندما لا تكون حاضراً هناك كي تُشوش، ستجده في كلّ مكان، لأنّه كلّ شيء. عجيبٌ أمرنا، كيف نستمرُّ في فقده. بيد أنك تطلب ما هو دائم. لا يُمكن ان تكون الأنا أمراً دائماً، فهي أمرٌ خاطف. كلّ ما تحصل عليه من خلال الأنا سوف يتبدد.

كأنّك تسأل: ألا يُمكن جعل الموجة أمراً دائماً؟

لا يُمكن جعل الموجة أمراً دائماً. الطريقة الوحيدة هي تجميدها وجعلها قطعة جليد، ولكن حينها لن تبقى موجة، بل ستُصبح مُجرّد قطعة جليد. لم تعُد موجة، لأنّها عاجزة عن التموّج. لقد اختفى نشاطها، واختفت حركتها. تقع في حُبّ امرأة وترغب في جعل الحُبّ دائماً؟ أنت الآن في خطر، فأنت تسعى من أجل جعل الموجة أمراً دائماً. تذهب إلى المحكمة، كي تضع المحكمة ختمها على زواجكما. لقد أصبح الأمر شرعياً الآن، ثمّ يختفي الحُبّ. إنّه الآن عقد بشع.

إنّ الحُبّ هو أجمل شيء في الدنيا، أمّا الزواج فهو أقبح شيء في الدنيا، لأنّه يُقحم القانون في الحُبّ. لماذا الذهاب إلى المحكمة؟ لأنّك تُريد أن تجعل الحُبّ دائماً: "مَن يدري، رُبّما تُغرم المرأة بشخص آخر غداً"، والآن ستُعطي المحكمة الضمانة. "مَن يدري رُبّما يهرب هذا الرجل"، الآن المحكمة هي الضمانة: بإمكانكِ جرّه إلى المحكمة، ولن يتمكّن من الهرب بسهولة. ماذا تفعل عندما تتزوج في المحكمة؟ إنّك تطلب من المُجتمع أن يحميك، وتطلب من القانون، ومن الشرطي أن يحميك. ما نوع هذا الحُبّ الذي يحتاج إلى شرطي كي يحميه؟ إنّه نوع من السجن. سمّه ما شئت أن تُسمّيه، ولكنّه عبودية. سوف يكون كلّ واحد منكما سجّانَ الآخر، وهكذا نُدمّر كلّ شيء.

إنّ الأنا غير دائمة. إذا كان حُبّك نابعاً من الأنا فهو غير دائم. كذلك

التفكير مُؤقت، وزمنيّ. إنّ التفكير في حقيقة الأمر هو الوقت. لا يُمكن لشيء أن يكون دائماً في الدماغ. إذا كنتَ تبحث عمّا هو دائم، وكلمة "دائم" ليست الكلمة المُناسبة، بل لعلّ كلمة "أبدي" هي الكلمة الصحيحة، حينها ابحث في أعماق الموجة، وهناك ستجد المُحيط. إذا كنتَ تبحث عمّا هو أبدي، انظر في أعماق الحُبّ وستجد الإله هناك. بيد أنك تذهب من أجل إحضار الشرطي، بدل أن تبحث عن الإله.

عندما يحدث الحُبّ، لا تلهث وراء الديمومة. فكّر وأطل التفكير، تأمّل، وتدبّر ذاك الأبدي. إنَّ لحظات الحُبّ لحظات نادرة. تُفتح النوافذ بسهولة، ويتمّ الذوبان بسهولة. أنت مُنبهرٌ بشيء مجهول. لا تكترث بالزواج الآن. اذهب حالاً إلى تلك اللحظات، وتلك الأمواج، واعثر على المُحيط، لأنّه حيثما وُجدت الموجة، فلا بُدّ أن يكون هناك محيط خلفها. إذا عثرتَ على موجة حُبّ، يجب أن يكون مُحيط الحُبّ خلفها، ومُحيط الحُبّ هذا هو الإله.

من أجل ذلك، أرجوك لا تبحث عمّا هو دائم، وإلا ستبقى مُحبَطاً. لأنَّ من يسعى وراء الديمومة يكون زائلاً في حدّ ذاته. لقد اخترتَ الوسيلة الخطأ عن طريق التفكير، والأنا. ابحث في كيانك أنت.

"هل يُمكن أن تكون المُريدية تغيّراً دائماً؟". من جديد أنت تُواصل استعمال الكلمة القذرة ذاتها "دائماً". إنّ المريدية هي الموجة والمُحيط معاً، ويعتمد الأمر عليك. إذا كنتَ ترى الموجة وحسب، فهي أمرٌ غير دائم وشيء زائل، بينما لو نظرتَ في أعماقها فستجد المُحيط الأبدي، والأبدي ليس دائماً، بل يتخطّى الزمن. إنّ كلمة "دائم" تعني البقاء فترة أطول من الزمن، ولكن ما أهمية أن تكون مُريداً مدة يوم أو سنة أو آلاف السنين، ما جدوى ذلك؟ يبقى الزائل زائلاً، سواء استمرّ يوماً أو سنة أو آلاف السنين.

ابحث عمّا يتجاوز الزمن، وحالما تجده ستعلم أنه طالما كان هناك، وسيبقى دائما هناك. إنّ الأبدي هو طبيعتك الجوهرية المكنونة "سوابهافا". إنّه كيانك الجوهري.

أيّ كان ما تبحث عنه، ينبغي أن يكون بعيداً عن الجشع والطموح، وينبغي ألا يكون رغبةً في التكرار. انسَ أمر الماضي. عندما يختفي، دعه يختفي، ولا تُفكّر في الغد. بما أنّه لَم يأتِ بعد، لِمَ الاكتراث؟ عندما يأتي سوف تكون هنا كي تنظر إليه. مهما حدث البارحة، لا تطلبه اليوم ثانية، لأنّه رُبّما حدث البارحة لأنّك لم تكن تنتظره، واليوم أنت تنتظره.

يحدث الأمر يومياً خلال التأمل. يصل أحدهم إلى الفسحة الداخلية ويشعر بالإثارة، وتنشأ لديه رغبةٌ في تكرار ذلك. في اليوم التالي، لا يحدث شيء، فيشعر بالإحباط الشديد. في اليوم التالي يغرق أكثر في كآبته، لأنّه لا يأتيه الحال. يأتي إليّ ويقول: "كان الحال أفضل من قبل. على الأقل لم أكن أعرفه. لكنّني الآن أعرفه، إنّه هناك، وأنا الآن أتعذب. لماذا أعجز عن تكرار ذلك؟". لا يُمكنك أن تُكرر حدوثه، لأنّه من طبيعة الإله أنّ يتجلّى على نحو غير مُتوقع. إنّه الضيف الذي يزورك دون إعلامك.

إنّ الكلمة الهندوسية التي تعني ضيف هي" أتيتهي": وهي تعني الذي يأتي دون موعد مُسبق. إنّ كلمة "تيتهي" تعني موعد، وكلمة " أتيتهي" تعني الشخص الذي يأتي دون إعلامك مُطلقاً.

إنّ الإله ضيف. عندما يأتي، كُن شاكراً، وعندما لا يأتي، كُن شاكراً. لا بدّ أن يكون في صالحك أنك لا تحتاجه اليوم، وأنّك تحتاج إلى فسحة، وراحة، كي يتمّ استيعاب ما حدث بالأمس.

كان هناك ربّ عمل سريع الغضب، وكان يميل إلى إلقاء محاضرات مُطوّلة مُزعجة على طاقم موظفيه الذين طالت مُعاناتهم. تحمّلت إحدى

المُوظفات الشابات ذلك وقتاً طويلاً، ولكن عندما تمّ التشكيك بشرفها، طفح بها الكيل، وغادرت المكتب مُباشرة وبصمت.

في اليوم التالي مشَت إلى مكتب ربّ العمل المُستبد ودفعت بورقة تحت أنفه، وقالت بحزم: "هذا التقرير من طبيب عائلتي، وهو يُؤكّد أنّني عذراء، ولم يمسسني أحد".

ألقى نظرة خاطفة على التقرير ودفع به إليها وقال: "هذا لا ينفع، إنّه بتاريخ الأمس".

أجل الأمس هو الأمس؛ ما فات مات. مَن يدري؟ رُبّما تغيّرت. إنّ كلّ الصفات، وكلّ الفضائل تأتي من البارحة. عندما تصف أحدهم بالقدّيس، فما الذي تقصده؟ أنت تقصد: "لقد كان في الأمس شديد الورع"، ولكنّ ذلك يعود إلى تاريخ الأمس، لعله ارتكب خطيئة في الليلة الماضية. قد تدعو أحدهم بالمذنب، ولكنّ ذلك غير صحيح، لأنه حدث في الأمس. أجل، رُبّما ارتكب الذنوب، بل لعله في الليلة الماضية صلّى، أو تأمّل، أو حظي بلمحة. من أجل ذلك، لا تصف أحداً بالقدّيس، لأنّ القدّيس ينتمي إلى الماضي، ولا تصف أحداً بالمُذنب، لأنّ المُذنب ينتمي إلى الماضي، والحياة والكينونة مُتحرران من الماضي على الدوام.

تُعتبر الكينونة من الحاضر، وعندما ترغب في تكرار شيء ما، فأنت ببساطة ترغب في تكرار الماضي من جديد. ما جدوى ذلك؟ لقد عرفته. ألا ترغب في معرفة شيء أسمى، وأمر أعظم؟ ابقَ جاهزاً ومُتاحاً. تلك واحدةٌ من تعاليمي الأساسية: لا تتمنَّ، بل ابقَ جاهزاً ومُتاحاً. انتظر الإله، ودعه يقوم بأعماله.

السؤال الرابع

ألسنا هنا كي نُساعد ونخدم الآخرين في هذا العالم؟

سأُجيبك من خلال هذه الطرفة.

سمعتُ عن ولد صغير، راحت أمّه تُلقي عليه مُحاضرة عن الأنانية. قالت: "تعلم يا عزيزي، نحن هنا في هذا العالم من أجل خدمة الآخرين".

فكّر الولد ملياً فيما قالته الأمّ عدة ثوان. ثمّ سألها بقدر كبير من الجدية: "حسناً، ما الذي يفعله الآخرون حينها؟".

من فضلك اهتمّ أولاً بنفسك. لا تُحاول أن تكون فاعل خير. هؤلاء الناس خطيرون. إنهم تحت شعار مُساعدة الآخرين يقومون ببساطة بالتدخّل في شؤون الآخرين.

مَن أنت كي تُساعد الآخرين؟ أنت لم تتمكّن حتى من مُساعدة نفسك. طبب نفسك أولاً.

كثيراً ما يتكرر ذلك من حولي: استمع إليّ، يُصبح تفكيرك أكثر اطلاعاً، وتبدأ في جمع المعرفة، ثمّ تنشأ لديك فجأة الرغبة في مُساعدة الآخرين. ما تُريده حقاً هو أن تصبّ هراءك في رؤوسهم. أنت تُريد الآن تلقين المبادئ للناس، وتُريد أن تُساعدهم كي يُصبحوا روحانيين. أرجوك، ما لم تكن على دراية بما أقوله، فلا تُحاول تبليغه للآخرين، لأنّه سوف يكون على نحو مُشوّه. إنّ الكذب أفضل من نصف الحقيقة، على الأقل يُمكن للآخر أن يعرف أنّها كذبة ويُسقطها. إنّ نصف الحقيقة أمرٌ خطير جداً. لن يتمكّن الآخر من اكتشاف كونها كذبة، لأنّ نصف الحقيقة سوف يمنعه، ولن يتمكّن مُطلقاً من إسقاطها، وسيُصبح مُشوشاً بسببها.

اقتنت العجوز ببغاءً أربع سنوات، وحاولت طوال هذه السنوات الأربع أن تجعله يتكلّم ولكن دون جدوى. لقد جرّبت كلّ شيء، من تكرار عبارات بسيطة دون توقّف، إلى شراء الأجراس، والمرايا، وأفضل الطعام. أما الآن فقد نفذت منها كلّ الحيل. التفتت بيأس إلى الببغاء وصرخت: "بحقّ الإله، لماذا لا تتكلّم!".

نظر إليها الببغاء بعينيه الخرزيتين، وأجابها فجأةً: "سأصدقك القول، طالما شعرتُ أنّه من غير المُستحسَن أن يُكرر المرء الأمور التي يسمعها".

على الأقل كُن بمثل ذكاءه.

السؤال الخامس والأخير

كيف يُمكن تحقيق التحوّل الداخلي بمُجرّد التواجد في حضرة المُعلّم؟ كيف يُمكن ذلك؟

إنّه كالعدوى، عدوى روحانية، عدوى صحية. تماماً كما تلتقط المرض، كذلك من المُمكن أن تلتقط "العافية". كما أنّ للمرض ذبذباته، وطول موجة مُحدد، كذلك فإنّ "العافية" تمتلك ذبذبات مُحددة، وطول موجة خاص بها. عندما تكون قرب شخص روحاني، تبدأ بالاهتزاز بطريقة جديدة، فحضوره في حدّ ذاته يلعب على أوتار روحك، ويخلق حلاوةً في داخلك.

إنّ الحضور ليس مُجرّد أمر بسيط كما تتخيّل، بل هو أمرٌ حيويّ للغاية. إنّ الوسط المُحيط بالشخص الروحاني خطيرٌ جداً، ومن شأنه أن يُغيّرك كُليّاً. كما قال فتى في حافلة مُزدحمة: "أنا مُتخمٌ بالبنسلين، إذا عطستُ هنا وسط هذا الحشد، أنا مُتأكد أنّني سوف أشفي شخصاً ما".

الفهرست

الفصل الأول: الحب هو المفتاح الرئيس........................ 5

الفصل الثاني: حتى الآن هذا جيد..................... 33

الفصل الثالث: لم يعد البيت بعيداً جداً................... 65

الفصل الرابع: الدين إزدهار فردي.......................... 95

الفصل الخامس: أُغني مجد الأشكال و الصور.................. 125

الفصل السادس: الثالوث الداخلي........................ 157

الفصل السابع: إنسجام الحب و التخلي.................... 189

الفصل الثامن: لا يزال لدى الإله أمل........................ 223

الفصل التاسع: الجنة هي الطريق إلى الجنة.............. 253

الفصل العاشر: أرجوك إستيقظ......................... 283

درب الحب

محادثات عن أغاني «كبير»

الحُبّ أربعة أنواع: الأول، أنت تطلب وحسبه وهو الحُبّ غير الناضج. والموجود عند الطفل الذي لا يُمكنه أن يُعطي، فهو في المقام الأول لا يعرف كيف يُعطي. أما النوع الثاني والأرقى فهو عندما تبدأ في العطاء، وعندما تُعطي ولا تهتمّ إذا أعطاك الآخرون في المُقابل أم لا. النوع الثالث من الحُبّ هو عندما يستطيع الإنسان أن يُعطي وأن يأخذ، من السهل عليه أن يُعطي ومن السهل عليه أن يأخذ وليس عنده مُشكلة في ذلك. هذا النوع الثالث من الحُبّ ناضج جداً. أمّا النوع الرابع والأخير، فهو عندما لا تدري ما الأخذ وما العطاء لأنّ الآخر لم يعُد موجوداً، أنت جزء من الكلّ.

عندما أتحدّث لكم، فأنا لا أتحدّث لكم، بل أنا مُجرّد خيزران أجوف، وعندما تُنصتون لي فأنتم لا تُنصتون لي، بل هو مَن يُنصت من خلالكم. كُن المُتكلّم أو كُن السامع؛ كُن الراقص أو كُن المُتفرّج، فلسنا سوى خيزران أجوف على شفتي المُطلق. إنّ الأُغنية أغنيته والصمت كذلك. بمُجرّد استيعابك لهذا المفهوم عن كونك خيزراناً أجوف، فأنت على درب الحُبّ. هذه هي الخطوة الأولى.

إنّ "كبير" هو إعلانٌ لسر هذا الحُبّ، فهو يقول: هذا طريقي. إنّ طريق الحُبّ مُتاح أمام الكثيرين. إنّ السير في درب الحُبّ أسهل بكثير من السير في أيّ درب آخر، لأنّ الحُبّ قريب من قلبك.

إذا أردتَ أن تُحبّ، كُن مجنوناً. وحدهم المجانين لا يحسبون حساباً، ويُخاطرون بالظاهر من أجل الباطن، ويُخاطرون بالغد من أجل اليوم؛ وحدهم يستطيعون فقط أن يسيروا في درب الحُبّ.

9789953821235

دار الخيال

بناية يعقوبيان- بلوك B طابق 3 . شارع الكويت-
المنارة- بيروت . لبنان . تلفاكس: 009611.740110
www.dareikhayal.com E-mail: alkhayal.com.lb